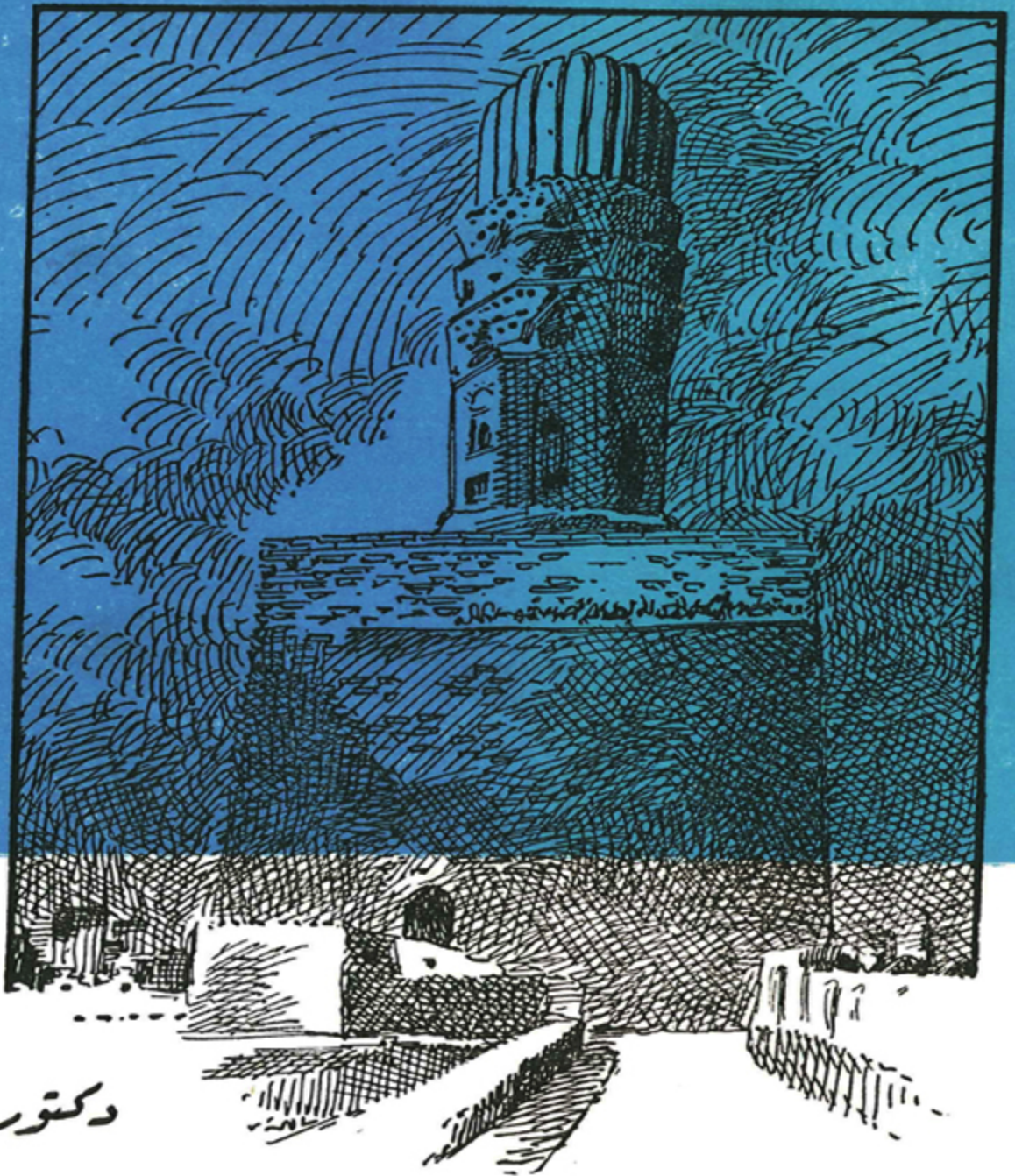


الحاكم بأمر الله

الخليفة المقتدر عليه



دكتور عبد المنعم ماجد

الحاكم بأمر الله للخليفة المفترى عليه

بضم

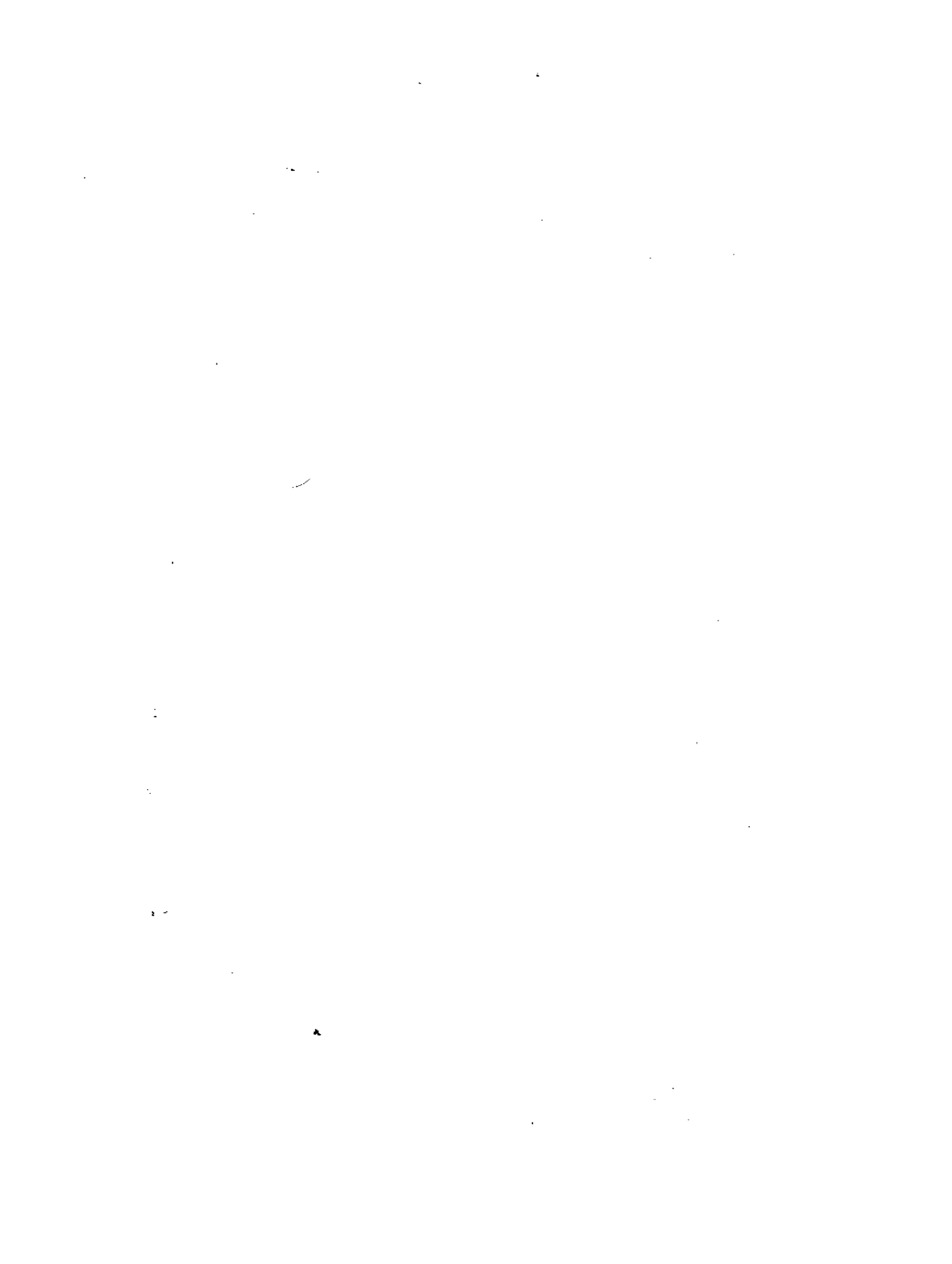
الدكتور عبد المنعم واجد

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب
ومدير مركز الدراسات البريدية
بجامعة عين شمس

الطبعة الثانية
(منقصة)

القاهرة
١٩٨٢

الناشر
مكتبة الأبحاث المصرية



أصبحت لا أرتجو ولا أتق ، إلا إلهي وله الفضل .

جدي نبي وإمامي أبي ، ودينني الإخلاص والعدل .

والحاكم بأمر الله

فهرس الكتاب

فهرس :

الفصل الأول : مقدمة

الفصل الثاني : تولية الحاكم بأمر الله

الفصل الثالث : طريقة حكمه

الفصل الرابع : النزعات الدينية

الفصل الخامس : الأحداث الخارجية

الفصل السادس : فسطاطه

الخاتمة

المصادر

المراجع

تقدير الطبعة الثانية

هذه الطبعة الثانية لهذا الكتاب ؛ تدل على تقدير القارئ لموضوعه التاريخي ، الذي عرض بمنهجية وحيدة تامة ؛ فهو تاريخ الحاكم بأمر الله ، الخليفة المقتري عايقه ؛ ترجمة لحياة رجل عظيم ، من رجالات مصر العظام . مسلكه في الحكم هو مسلك الحاكم السوي ، المتكامل الشخصية ، الذي كان حساسا بعمق لكرامة الانسان ، ولحق والعدل ، ثم هو أول خليفة مصري ؛ يحكم ولادته ونشأته في مصر ، وسوف تبقى مآثره يثاء الدهر ؛ متمثلة في طائفة الدروز العربية بالشام ، وطوائف شيعية أخرى في أنحاء بلاد الاسلام الأخرى ، لا سيما طائفة البهرة ؛ وذلك على الرغم من تقولات أعدائه ، الذين صوروه بصور مختلفة ، من تأليه وسوء سلوك ؛ فأعادة طبع هذا الكتاب ؛ هو ثابتة لرغبة شديدة لدى المثقفين في بلدان الاسلام ، من القاطنين لمصر حقة صيرته ، والله ولي التوفيق .

الدقي في يناير ١٩٨٢

✉ المؤلف

صالح

✉ كل نسخة مبيعة تكون ممتصاة من المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تخصيص

هذا الكتاب يحاول لأول مرة أن يتناول بالعرض تاريخ الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ؛ بالاعتماد على كتب مختلفة ، لاسيما كتب الفاطميين ، التي كانت إلى وقت قريب مجهولة لنا تماماً ، وحفظت في المكتبات الخاصة بمئات القرون ، دون أن تستخدم . فهذه المصادر الجديدة التي ظهرت للنور ؛ بسبب تغيير روح العصر وإقبالها على المعرفة ؛ ساعدتنا على فهم نواح كثيرة من تاريخه المظلم .

والثابت أن أكبر مشكلة تقابل من يتعرض للكتابة عنه ، هو كثرة أعدائه من المسلمين السنة ، وحتى من القبط واليهود . وقد أدرك الحاكم بأمر الله بنفسه بشاعة هجوم أعدائه ، وما يلصقونه به من كباتر التهم كالإلحاد والنال ؛ فحاول جهده أن يوضح ما يروونه عنه ؛ بالالتجاء إلى حث دعائه المخلصين على نشر العقيدة الفاطمية الصحيحة ، وتأليف الكتب التي تبين خطأ إدعاء أعدائه . ولا مرأه فإن كثرة أعدائه ، أتت من نجاح أسرته في تكوين خلافة ثابتة الأركان ؛ حققت أحلام الشيعة لأول مرة .

وَمَعَ اعتقادنا بأن الحاكم بأمر الله طاغية من طغاة المسلمين — فاسمه يدل على طغيانه — إلا أننا نأسف في شخصيته شواهد مدهشة ، لا نجد لها في غيره من طغاة زمنه ؛ جديرة بالتأمل والتعجب . فقد أسبغ على حكمه

المثالية من إخلاص وعدل ، وتقوى وورع ، مما جعل سيرته تتشابه في بعض نواحيها مع سيرة العمرين : عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، اللذين أُعتبرت سيرتهما من الأساطير . وإذا كانت هذه المثالية قد أتت من طاغية مثل الحاكم بأمر الله ؛ فإن تصرفاته بدت غريبة لأهل عصره ، ولم تفهم الفهم الصحيح .

وليس أقل غرابة أن نعتبر الحاكم بأمر الله من أصحاب النحل الدينية ؛ بمحاولته إعادة الاعتقادات الفاطمية الفاسدة إلى جوهرها الأصيل ؛ حيث شمر عن ساعد الجد ، وكانت لديه الشجاعة في دعوة أتباعه إلى مذهب جديد عُرف معتنقه بالموسحين ، وفيما بعد بالدروز . فبقاء الدرزية إلى الآن لتمثل الحياة الدينية لجماعة بشرية متميزة تعيش بيننا ، يدل على قوة تأثير شخصية الحاكم بأمر الله الدينية .

وأخيراً ؛ إذا كان هذا الكتاب عن تاريخ الحاكم بأمر الله قد تم ظهوره ؛ فيفضل ما أطلعنا عليه صديقنا الدكتور حسين فيض الله الهمداني من بعض مخطوطات مكتبته الخاصة . فشكراً له ؛ ولتلميذتنا منيرة غنيم ، التي ذهبت إلى مكتبة الدكتور الهمداني ، وصورت لنا بعض مخطوطاتها ؛ لتكون تحت تصرفنا في كل وقت .

* المؤلف

المعادي أكتوبر ١٩٥٨

الفصل الأول

مقدمة

يرجع ظهور الخلافة الفاطمية في المغرب، ثم في مصر، إلى نجاح دعوة التشيع؛ إذ أن الفاطميين شيعة؛ وهي لفظة في اللغة أصلها من المشايعة، وهي المتابعة والمطابرة، والشيعه هم الفرقة من الناس، الذين تابعوا علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً^(١)؛ وهذا الاسم له سند في القرآن بقوله: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۚ﴾ (٢٨: ١٥).

والشيعة كفرقة دينية سياسية، اختلف المؤرخون في وقت ظهورها. فيقول النوبختي (القرن الثالث الهجري) في كتابه فرق الشيعة: إنهم فرقة علي بن أبي طالب، المسمون بشيعة علي، ظهروا في زمان النبي وبعده؛ وعرفوا بانقطاعهم لعلي والقول بامامته^(٢). وعلى النقيض يقول ابن النديم (م ٣٨٣ / ٩٩٣) في كتابه الفهرست: إن هذه التسمية ظهرت لأول مرة عندما حارب علي طلحة والزبير، اللذين أياهما اطلب بدم عثمان بن عفان واتهماه به؛ فتسمى من اتبع علياً في قتالهما بالشيعة، وكان علي يقول شيعتي^(٣). وعلى أي الرأيين؛ فإن المحن التي حلت بعلي بقتاله طلحة والزبير، وبقتاله معاوية بن أبي سفيان من بعدهما، وهو الذي طالب بدم عثمان كذلك؛ لقرابته لعثمان؛ زادت الشيعة تضامناً، بحيث أن أغلب أهل الكوفة أصبحوا من شيعة علي، كما يذكر المؤرخون بالتخصيص^(٤).

ولقد أصبحت الشيعة موضع اضطهادا لخلافة الأموية ، التي قامت بعد مقتل عليّ سنة ٤٠ / ٦٦١ ، مستندة إلى عصبية البيت الأُمويّ عدو بيت بني هاشم الذي ينتمي إليه عليّ ؛ إذ تمتدّ عداوة البيتين إلى أيام الجاهلية (٥) . فاعلن الأمويون سب عليّ ولعنوه في الخطب على منابر المساجد ، وسموه أبا تراب وحقّروا الشيعة وسموهم الترايبية ؛ وكانوا يرمون بذلك إلى جعل عليّ كقاطع طريق ، مع أن الشيعة لم يكونوا يعرفون هذا الاسم من قبل (٦) . وكذلك قتلوا كل من فكر في الخروج عليهم من بني عليّ ، ودوننا كتاب مقاتل الطالبين (٧) ، يحتوي على أسماء من قُتل منهم ولا سيما الحسين بن عليّ ، الذي أُعتبر سفك دمه عند الشيعة في سهل كربلاء بالعراق ، ذا قيمة في التضحية تشبه سفك دم المسيح عند المسيحيين .

وقد استفاد بنو العباس من هذه الحالة — وهم سلالة العباس عم النبي ، ومن بيت بني هاشم أيضاً — ودعوا إلى الرضا من آل البيت أي إلى بني هاشم ، بقصد القضاء على خلافة أعدائهم الأمويين . ولم يكن بنو العباس الأوائل يسعون إطلافاً إلى الخلافة ، مع علو مركزهم كسادة لبني هاشم ؛ وإنما كان كل همهم تعضيد عليّ وأبنائه في المطالبة بها . ولعل ظهور طموح بني العباس في آخر عهد الخلافة الأموية ؛ كان بسبب أن الطريق قد خلت لهم ؛ لكثرة من قتل من بني عليّ . ومع أن بني العباس لم يذكروا في أول الأمر المقصود بالدعوة إلى الرضا من آل البيت ؛ فهو فرع آل عليّ أو آل العباس ؛ فإنهم لما تمكنوا من القضاء على الخلافة الأموية ، تولوها من من دون بني عليّ (٨) .

وكان المفروض أن يكون بنو العباس أخف وطأة على بني عليّ من

الأمويين ؛ لأنهم من بيت واحد ؛ ولكن هذه القرابة بالذات ، جعلتهم أشد قسوة عليهم ؛ خوفاً من أن تضيق الخلافة من أيديهم . وكما قال خلفاؤهم : إن العم وارث النبي ، وأولى الناس به ، وأحق من ابن العم ، وأن كل من دخل الخلافة بعده غاصبون متوثبون^(٩) ؛ فسموا بنى عليّ بالطالبيين ليميزوهم عن أنفسهم ، على اسم أبي طالب أبي عليّ ، وأظهروا أنه مات كافراً^(١٠) . ثم تتبعوا الدراري العلوية فقتلوهم : فتظاهر المأمون بالرغبة في رضاهم ، فأمر بالنداء في البلدان أن من كان من نسل عليّ فليصل إلى المأمون ؛ فوصل إليه جماعة منهم ، فقتلهم^(١١) . كذلك أتى محمد المنتصر بالله بن المتوكل ، بشيء لم يسمع به ، وهو أنه كتب إلى الآفاق بأن لا يملك علوي أرضاً ، ولا يركب فرساً ، وأن يمنعوا من إتخاذ العبيد إلا العبد الواحد ، ومن كان بينه وبين أحد الطالبيين خصومة ، فقبل قول خصمه ، ولم يطالب بيئته^(١٢) .

ولكن الشيعة في ظل العباسيين ثابروا على الدعوة لآل عليّ ؛ وإن كثروا وقتئذ ؛ لكثرة أفراد آل عليّ ؛ وكانت كل فرقة تدعو إلى إمام منهم ؛ حتى بلغت فرقهم ثلثمائة فرقة^(١٣) ؛ وإن بقي اسم الشيعة يدل على طوائفهم المختلفة . وفي ظل العباسيين تكونت للشيعة أيضاً أراؤها الدينية وعقائدها^(١٤) ؛ وأصبحت كلمة شيعة تقابل كلمة سنة ، التي ظهرت لأول مرة في عهد العباسيين ؛ لتعني العقيدة العباسية ؛ فكانت بعض فرق الشيعة تتميز عن السنة ، والبعض الآخر يميل إليها^(١٥) .



وكانت أهم فرق الشيعة في عهد العباسيين وأكثرها تطوراً في العقائد الدينية ، هي الفرقة التي قالت بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب^(١٦) . فهذه الفرقة تؤمن مثل

غيرها من فرق الشيعة إيماناً لا جدله ، بوصاية النبي لعلّي في غدِير خَمْ كَ
مكان بين مكة والمدينة (١٧) - لتبقى الإمامة وهي حكم المسلمين في بيت عليّ
إلى يوم الدين (١٨) ، فكانت عقيدتها : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ،
عليّ وليّ الله (١٩) . ولكنها تميّزت عن غيرها بأن الإمامة تكون بالنص أو
التنصيب ، أي بوجوب تعيين الإمام لخلفه ، وأنها في الأعقاب لا ترجع
القهقري ، فلا تنتقل من أخ إلى أخ ؛ ولا بد أن تكون من أب إلى ابن ؛
فإن موت إسماعيل (م ١٤٥/٧٣٣ - ٣) في حياة أبيه جعفر الصادق ، يجعل
النص ينتقل لابنه محمد ، وليس لأخيه موسى الكاظم (٢٠) ، لذلك عرفت
بالفرقة الإسماعيلية ، على اسم إسماعيل (٢١) . وكانت تعتقد أيضاً بأن الأئمة
منهم ، يتوارثون طبيعة روحية ، فإن النبي نقل إلى عليّ بعض علومه الإلهية
مباشرة ؛ ليتوارثها الأئمة من نسله بعده (٢٢) ، وهي علوم تتمثل على الخصوص
في تفسير القرآن ، أو ما عرف بالتأويل أو المعنى الباطن (٢٣) ؛ إذ لكل
تنزيل تأويل ، فقد قال الرسول : «أنا صاحب التنزيل وعليّ صاحب التأويل» ،
وكل كتب الدعوة الإسماعيلية تشير إلى تأويل القرآن ؛ كما ردوا كل
الأحاديث النبوية إلى أئمتهم ؛ وهي ما عرفت عندهم بالأخبار (٢٤) . وقد جعلهم
ذلك يثبتون لأئمتهم صفة إلهية أو عصمة عن الكبار والصغار (٢٥) ؛ فكانت
معرفة الإمام واجبة على المسلمين ؛ بحيث أن من مات لا يعرف إمام دهره
حياً ، مات ميتة جاهلية (٢٦) . ومع ذلك فعتايد الإسماعيلية كانت متطورة
في كل بيئة وزمن ؛ مما زاد من أهميتها بين الفرق الشيعية .

ولكن أمام اضطهاد العباسيين اضطرت هذه الفرقة إلى الدعوة السرية
واضطرت أئمتها إلى التستر أو التكميم ، وهو ما عرف بالتيمة (٢٧) ؛ حتى أن
محمد بن إسماعيل ، سمي بالمسكوم ، سمته بذلك شيعته لما اتفقوا عليه

من إخفائه ؛ حذراً من العباسيين (٢٨) . وعلى النقيض كان الأئمة يُظهرون دعواتهم ، الذين عرفوا بالحجج (٢٩) ؛ لينقلوا عقائدهم وينشرونها بين الناس ، وإن لم يكشفوا إطلاقاً عن شخصية الإمام (٣٠) . وكان الأئمة الإسماعيليون في تسترهم يلجأون إلى وسائل متعددة ؛ فأربعة من ولد جعفر الصادق ادعوا الإمامة لنفسهم بقصد ستر الإمام الحقيقي ؛ بحيث أن بعض الروايات تقول : إن إسماعيل نفسه إمام ظاهر ، ولم يكن غير صورة للامام الحقيقي عبد الله ، الأخ الأكبر (٣١) ؛ أو خلطوا أنفسهم بغيرهم ؛ فمحمد بن إسماعيل المكتوم اختفى مع شخص اسمه ميمون القنداح وابنه عبد الله (٣٢) ؛ أو تسموا بغير أسمائهم كمحمد وعبد الله ؛ أو بأسماء حججهم كسعيد وبارك وميمون (٣٣) ؛ أو أن دعواتهم سموهم بأسماء مختلفة لم يتفق منها في ذلك اثنان (٣٤) .

ومع أن الفرقة الإسماعيلية أرسلت دعواتها إلى كل مكان ، لاسيما منذ أن تستر محمد بن إسماعيل (٣٥) ؛ في البحرين ومصر واليمن والهند والمغرب (٣٦) ؛ أي إلى أطراف الخلافة العباسية ؛ فإنه لم يكتب لها الفوز الباهر كما كتب لها بالمغرب ، وهو النجاح الذي توج بإنشاء خلافتهم فيها . فقد كانت هذه البلاد بعيدة عن مركز الخلافة ، تسكنها قبائل من البربر متمردة ؛ بحيث أن العرب الأوائل لم يتمكنوا من فتحها ؛ إلا بعد حروب استمرت من ٦٤٦/٢٦ إلى ٧٠٢/٨٣ . وبعد إسلام البربر ، ومشاركتهم للعرب في الجهاد ؛ أساءت الخلافة الأموية إلى البربر ، وفرقت بينهم وبين العرب في المعاملة ؛ فزد ذلك والمغرب ملجأ للخارجين على الخلافة في الشرق ، مثل : الخوارج بفرقها من الأباضية والصفيرية (٣٧) ، أو الأدارسة العلويين الذين ساعدتهم البربر من زناتة وغيرهم على إنشاء دولتهم في المغرب الأقصى ، طابعها سني وإن حكمها الأدارسة العلويون ، وذلك في سنة ٧٨٩/١٧٢ (٣٨) .

وقد اختصت الدعوة الإسماعيلية من قبائل البربر قبيلة كتامة في بلاد إفريقية^(٢٩)، الممتدة من طرابلس إلى طنجة ؛ لاسيما وأن هذه القبيلة عرفت بأنها أكثر القبائل عدداً وأصعبها مراساة؛ إذ كانت تسكن في إفريقية جبال أوراس الوعرة في جنوبها^(٤٠). وقد بدأت الدعوة الإسماعيلية بين كتامة منذ وقت مبكر على يد الحلواني وأبي سفيان في سنة ١٤٥/٧٦٢^(٤١) ؛ وبعد موتهما ، على يد أبي عبد الله المحتسب ، المشهور بالشيخي الصنعاني ، أي أنه جاء من اليمن ؛ وذلك في سنة ٢٨٤/٨٩٢^(٤٢) . فوجد أبو عبد الله الأرض موطأة ممهدة له ، وبدأ يجمع الأتباع ، وسما الكتامين بالمؤمنين ؛ كناية عن أنهم قبلوا الدعوة الإسماعيلية ، ودخلت في قلوبهم . ومن أرض كتامة الوعرة أخذ أبو عبد الله يهاجم دولة الأغالبة ، وهي التي كانت قامت بتشجيع المأمون العباسي ؛ لتقف في وجه الأدارسة العلويين ، وغيرهم من الخوارج ؛ فكان أبو عبد الله يكتب على راياته : « سيهزم الجميع » ، وعلى أنفاذ الخيل : « الملك لله »^(٤٣) . فاستطاع أن يتغلب بنجاح على الأغالبة ، ويدخل دار ملكهم في رقاد سنة ٢٩٦/٩٠٨ - ٩٠٩^(٤٤) .

أدركت الخلافة العباسية الخطر من نجاح دعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب ، فأرسلت الكتب إلى ولاياتها في أنحاء الخلافة بالقبض على إمام الإسماعيلية ؛ وذلك بصفته وهيئته . فخرج الإمام الإسماعيلي متخفياً^(٤٥) ، من ساسية من أرض حماة بالشام^(٤٦) ، ومعه وليّ عهده أبو القاسم محمد وهو يومئذ غلام حدث ، حتى انتهى إلى مصر ، التي كان له فيها دعاة وشيعة^(٤٧) . وأمل الإمام أن يقصد اليمن ، إلا أن دعواتها كانوا مختلفين^(٤٨) ؛ فبقى مستتراً في مصر ؛ ليرحل منها إلى المغرب ؛ لاسيما وأن أبا عبد الله كان يستحثه على المجيء إلى المغرب ؛

وسير إليه في سلبية رجالا من كتامة ، ليخبروه بما فتح الله عليه^(٥٩) ، وكان يرسل إليه كتبه تطلبه حيثما نزل^(٥٠) ، فخرج الإمام من مصر في زىّ التجار إلى المغرب ، وإن دهمه اللصوص وسرقوا كتبه ، بما فيها من علوم الأئمة^(٥١) . وكان مع الإمام في صحبته ، أبو العباس أخو أبي عبد الله الشيعي ، وجعفر الحاجب الذي ترك لنا تاريخ سيرته مع الأئمة ؛ فسبقهم أبو العباس إلى القيروان ، فقبض الأغالبة عليه . وكان الإمام قد وصل إلى طرابلس الغرب ، فلم يذهب إلى أبي عبد الله حتى لا يقتل الأغالبة أبا العباس ، وقصد سجلماسة في جنوب بلاد المغرب^(٥٢) ، إلا أنه ما لبث أن قبض عليه هو وولّى عهده . فلما انتصر أبو عبد الله في رقادة أسرع إلى سجلماسة ، واستنقذ الإمام وولّى العهد . فسار الإمام من سجلماسة ، ونزل رقادة سنة ٢٩٧/٩٠٩ ، وتلقب بالمهدي عبيد الله أمير المؤمنين^(٥٣) ، وأقام خلافته ، التي اشتهرت بالعلوية والفاطمية^(٥٤) ، مننسبة إلى بيت علي وفاطمة مباشرة ، أو حتى باسمه : بني عبيد^(٥٥) .

وتردد بعض كتب الشيعة أن عبيد الله لم يكن الإمام الحقيقي ، وإنما هو سعيد الخير ؛ وأن الإمام ابن عمه عليّ بن محمد ، الذي مات وهو يتأهب للسفر إلى المغرب ، فجعل سعيد الخير هذا ستاراً لابنه أبي القاسم وأباً روحياً له ؛ بحيث أُعتبر أبو القاسم بعد موت عبيد الله الإمام الظاهر الأول ، بعد فترة التقية^(٥٦) . ويؤيد هذا القول ، ما يذكره المؤرخ السنّي ابن حنّاد من أن أبا القاسم ، كان يركب في أيام أبيه بالمظلة — شعار أئمة الفاطميين — وباسمه كانت تنفذ الكتب والعهود^(٥٧) . ولكن إتخاذ عبيد الله لقب المهدي ، دل على أنه هو الشخص الذي أظهره الله بالحق ؛ ليملك الأئمة الفاطميون الأرض بأسرها^(٥٨) . ولعل فكرة المهدي^(٥٩) ، أخذها المسلمون من النصراني أو

اليهود أو المجوس ، الذين رددوا في كتبهم المقدسة ، مجيء المهدي في آخر الزمان ليصلح حال الناس ، ويملاً الدنيا عدلاً . وليس لدينا روايات شيعية او سنية تبين أن هذه التسمية منحت عبيد الله صفة خارقة ؛ وإن اعتبر الفقهاء فكرة المهدي جزءاً من النبوة ، لما فيها من الهدى الصالح^(٦٠) . ولقد اطلقت تسمية المهدي من قبل علي الخلفاء الراشدين ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ؛ لأنهم مهديون من قبيل الله للسير على سنة الحق ، كما أطلقتها الشيعة على أئمتهم مثل محمد بن الحنفية^(٦١) ؛ وتسمى بها عمر ابن عبد العزيز^(٦٢) ، بل وتسمى بها أحد الخلفاء العباسيين^(٦٣) .

*

والثابت المحقق أن نجاح الإسماعيلية في تكوين خلافة لهم بالمغرب ؛ حدث هام في الإسلام غدير من نظمه . فإلى هذا الوقت ، كان الأمير المستقل عن الخلافة العباسية ، لا يستطيع أن يدعى هذا اللقب ، لأن العقلية الإسلامية لم تكن تقبل تعدد الخلفاء . وحفظاً لطبيعة الخلافة ، وحتى لا تتعطل الأحكام الشرعية ؛ لما صاحب الخلافة من سلطة دينية وشرعية ، سُمي الأمير المستقل بالأمير المسؤول ، أي أنه خرج عن طاعة الخليفة العباسي ، واستأثر بالإقليم لنفسه ، فيقلده الخليفة تقليداً صورياً على كره منه^(٦٤) . فتجد الأمراء الأمويين ، الذين التجأوا إلى الأندلس ، وكونوا فيها أمانة مستقلة بعد سقوط دولتهم في دمشق على يد العباسيين ؛ ومع عداوتهم الشديدة للعباسيين ، لم يأخذوا لقب خليفة ، وتسموا بالأمراء أو أبناء الخلائف^(٦٥) . ولكن الفاطميين منذ عبيد الله ، خرجوا على هذه القاعدة ، وتلقبوا بالخلفاء ؛ لاعتقادهم بأن الإمامة لا تخرج من أولاد علي ، وإن خرجت فيظلم^(٦٦) . فكان اتخاذ عبيد الله لقب الخلفاء ، فاتحة لظهور

خلافات أخرى ؛ ففي الأندلس أعلن الأمويون الخلافة لعبد الرحمن في سنة ٣١٧ / ٩٢٩ ؛ الذي اتخذ ألقابها ؛ فتسمى بالناصر لدين الله أمير المؤمنين (٦٧) . كذلك كان تعددها سبباً في أن جعل الفقهاء من السنة ، يقدرون إمكان عقد بيعة لأكثر من خليفة ، بحجة اتساع رقعة الإسلام (٦٨) ؛ أي أنهم أقروا الأمر الواقع .

ومع ذلك ؛ فإن خلافة الفاطميين لم تكن تؤمن برأي فقهاء السنة في إمكان تعدد الخلفاء ، وأن طاعة المسلمين تكون جزئية ؛ وهو ما عبروا عنه بالولاية ، ففي اعتقادهم أن خلافتهم وحدها ، هي التي يجب أن تكون لها الولاية في دار الإسلام (٦٩) ، فالولاية فرض على المسلمين من فروض الدين ، وأول دعامة فيه (٧٠) . فكان لا بد للفاطميين إذن من أن يخضعوا جميع المسلمين لخلافتهم ؛ وفي سبيل ذلك عملوا على التوسع غرباً في أملاك الأمويين ، وشرقاً في أملاك العباسيين .

ومع أن الفاطميين لم ينفسوا العداوة ، الذي كان بين بني هاشم وبني أمية ؛ وهو عداوة أصيل يرجع إلى أيام الجاهلية ؛ فإنهم لم يستعجلوا القضاء على أمويي الأندلس كما يبدو . وقد يكون هذا التراخي راجعاً إلى أن الأندلس رقعة محدودة من دار الإسلام ، يفصلها البحر عن بقية أمة الكشيرة ؛ بحيث شبهها الجغرافيون بالكم من ثوب الإسلام (٧١) ، كما أن أمويي الأندلس أنفسهم كانوا نشيطين في حربهم ضد أنصارى (٧٢) ؛ فلم يكن يخاف على المسلمين فيها . ومع ذلك ، فإن الفاطميين غزوا أجزاء كثيرة من أملاك الأمويين بالمغرب ، واستولوا عليها (٧٣) .

وعلى خلاف ذلك ، وجه الفاطميون همهم نحو العباسيين ، الذين كانوا أشد عداوة لهم من الأمويين ، وقاسوا على أيديهم الأمرين ، لاسيما وأنه كان يخضع لهم الشرق ، مجال الإسلام الواسع بأمة الكشيرة . يضاف

إلى ذلك ، ضعف العباسيين ، بما جرأ أعداء الإسلام من اليونان أو ما عرف بالروم ، على أن يصلوا ويحاولوا في أراضي الشام وبلاد الجزيرة ؛ فكان لا بد من وجود خلافتهم الفتية في الشرق ؛ لتدافع عن المسلمين . ويتبين عزم الفاطميين ورغبتهم الأكيدة في سحق العباسيين ، قول المهدي : « لفلان كن أنا وولدي ولد العباس ، ولندوسن خيولي بطونهم (٧٠) » .

وقد كان الفاطميون يقدرون عدم إمكان تحقيق الأمانى في القضاء على العباسيين ، ووراثتهم في دار الإسلام الواسعة ؛ يبقائهم في ركنهم المنعزل من إفريقية . وكخطوة أولى نحو تحقيق أهدافهم ، وضعوا نصب أعينهم غزو مصر ؛ إذ لم يرغب عنهم أن فتحتها معناه فتح الشام ، والسيطرة على الحجاز ، وأنها طريق العراق ؛ فضلاً عن أن غناها وثروتها يساعدهم في تحقيق أهدافهم . وإن كنا لا نستطيع أن نتلمس قصد الفاطميين الأول من فتح مصر ، وهل هو بقصد البقاء فيها ، أو بقصد إتخاذها منطراً لتحقيق مشروعاتهم ضد العباسيين . ولا نزاع في أن الفاطميين لم يرحلوا إلى المغرب ؛ إلا ليعودوا في قوة إلى المشرق .

فأرسل المهدي حملات قوية إلى مصر ، بقيادة وليّ عهده أبي القاسم دفتين : الأولى في ٣٠١ / ٩١٣ ، ملكت الإسكندرية والفيوم وبعض الصعيد ، والثانية في ٣٠٦ / ٩١٨ — ٩١٩ ، ملكت الإسكندرية والفيوم ، وكان معها الأسطول ، كما أرسل من قبل قائداً يقال له حياصة في ٣٠٢ / ٩١٤ (٧٥) . ولكن قواد العباسيين صدوهم ، إذ كانوا من الترك الأقوياء ، ومنهم مؤنس الخادم الذي عرف بالفحل (٧٦) ، ومحمد بن طنج الملقب بالأخشيدي أو الملك ، الذي كوسن له في مصر إمارة استيلاء قوية ، وقدرت عدة عساكره بأربعمائة ألف (٧٧) . ولما أرسلت حملة رابعة على مصر في أول عهد أبي القاسم

— الذى تلقب بالقائم بعد موت المهدي — صدها الإخشيد وهزمها (٧٨) .
وبعد ذلك تمردت القبائل البربرية ، بتحريض الأمويين فى الأندلس ،
فشغلت ثوراتهم معظم أيام القائم (٣٢٢ — ٣٣٤ / ٩٣٤ — ٩٤٦) ، وابنه
المنصور من بعده (٣٣٤ — ٣٤١ / ٩٤٦ — ٩٥٣) ؛ وكاد ملك الفاطميين
ينهار بالمغرب ، ولم ينبق لهم فيه إلا مدينة المهدية ، التى كان المهدي قد
أنشأها فى أول خلافته سنة ٣٠٣ / ٩١٥ (٧٩) . لكل هذا تأخرت محاولة
فتح مصر إلى عهد المعز لدين الله الخليفة الرابع ، الذى تولى الخلافة
منذ ٣٤١ / ٩٥٣ ، حينما أرسل قائده جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب
الرومى (٨٠) — إذ أصله من صقلية — فى جيش بلغ أكثر من مائة ألف
فارس ، فى ربيع الأول ٣٥٨ / ٩٦٩ (٨١) ؛ وهذا العند لم ترمصر له مثيلاً
منذ عهد الإسكندر الأكبر . وقد قال الشاعر المعروف محمد بن هانىء
فى رحيل جوهر ، قصيدته المشهورة ، ومطلعها :

رأيت بعين فوق ما كنت أسمع ، وقد راعى يوم من الحشر أروع .
ولم يكن المصريون سعداء فى ظل الحكم العباسى ، وكانوا يرغبون
فى مجيء الفاطميين ، بحيث أن كثيراً من المؤرخين يذكرون أن مجيئهم
كان بناء على دعوة المصريين . فيذكر المؤرخ المقرئ أن من أسباب
مجيء الفاطميين الضنك الذى ساد فى مصر ، مما جعل كثيراً من
المصريين يكتبون للمعز . فقد وقعت مجاعات ، وتعدت وجود الأقوات ،
وكان جند العباسيين الترك يتحاربون فيما بينهم ؛ فقتل خلق كثيرون ،
وانتهت الأسواق والبيوت وإحرقت ، وضاعت أموال الناس (٨٢) . كما
أن شيعة المعز بمصر وجدوا الفرصة سانحة ، فطلبوا منه إنفاذ العسكر ،
وقالوا له : إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز الدنيا كلها (٨٢) ؛

ويقصدون بالحجر الأسود كافور الخصى الأسود ، الذي توصل إلى السيطرة في مصر بعد الإخشيد .

ولما وصل جيش المعز إلى نواحي الإسكندرية ، أرسل المصريون إلى جوهر وفداً منهم ، باتفاق جميع طبقاتهم ، كالأئمة والكاتب والقاضي والتاجر والمسلم والقبطي . فكتب لهم جوهر كتاباً طويلاً ، التزم فيه بأن يحترم ملتهم إذاً الإسلام سنة واحدة وشرعية متبعة ، وأن يعتنى بأحوال بلادهم الاقتصادية بتجويد العملة ، وأن يجاهد الروم الذين غزوا في الشام وبلاد الجزيرة^(٨٤) . وتم سهل المصريون لجوهر التغلب على بقايا الإخشيدية والكافورية - ومعظمهم من الترك - في ناحية الجزيرة ، فجعلهم يرسون له شاطئ النيل من ناحيته^(٨٥) : بحيث اضطرت الإخشيدية والكافورية إلى الهروب إلى الشام ولما طالب المصريون جوهرأ بتجديد الأمان جده لهم^(٨٦) ، كما كتبت لأهل الريف والصعيد أماناً ثالثاً^(٨٧) . وحينما دخل الفسطاط عاصمة البلاد بطبولة وبنوده ، نشر كل من كان عنده بند من المصريين بنداً ، عليه اسم المعز لدين الله . وبذلك أخذ جوهر مصر بلا ممانعة كما لاحظ السيوطي^(٨٨) ، وانتهى الحكم العباسي في مصر ، بعد أن استمر حوالي ٢٢٥ سنة^(٨٩) . وقال ابن هانيء الشاعر في هذه المناسبة :
يقول بنو العباس هل فتحت مصر ، فقل لبني العباس قد قضى الأمر .
بات المصريون في أمان ، فلما أصبحوا وحضروا للتهنئة في المكان ،
الذي نزل فيه جوهر وبنوده ، وجدوا أنه وضع أساس عاصمة جديدة^(٩٠) ،
بما فيها الجامع والقصر ، وأنه حفر الخندق وأدار السور حولها ، كما اختطت كل قبيلة من القبائل المغربية التي جاءت معه حارة أو مكاناً لها ، عرف باسمها .

هذه المدينة التي أنشئت خلف الفسطاط ، بجوار جبل المقطم ، سماها جوهر أول الأمر المنصورية ربما تقرباً إلى سيده وخليفته المعز بإحياء ذكرى والده المنصور ، وبعد ذلك سُميت بالقاهرة أو القاهرة المعزّية ، تفاؤلاً بأنها ستقهر العباسيين^(٩١) ؛ لا سيما وأن المؤرخين نسبوا تسمية القاهرة إلى ظواهر فلكية ؛ فكثير من المدن الإسلامية نشأت على أثر تعويذات فلكية . فكانت القاهرة رابع عواصم مصر منذ الفتح العربي ، وهي : الفسطاط والعسكر والقطائع ، وكلها توجد تقريباً في مكان عاصمة مصر القديمة منف عند رأس الدلتا ؛ حيث شبهت بيد المروحة (Bouton de l'éventail) ، لوقوعها عند ملتقى فروع النيل وقنواته^(٩٢) . وقد كان بناء عاصمة جديدة ، دائماً يعني قيام دولة جديدة : فكان بناء القاهرة في مصر يعني قيام خلافة الفاطميين في مصر .

ولقد أصبحت القاهرة بحق قلعة تقهر أعداءهم ؛ فقد تمكنت من صد اعتداء قبائل عربية كثيرة خرجت من البحرين ، بتحريض العباسيين ، الذين هالهم انتصار الفاطميين في مصر ، وزحفهم إلى الشام . وكان عرب البحرين أول أمرهم قد اعتنقوا مذهب الإسماعيلية على يد دعاة ، على الأخص حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط حوالي ٢٧٦ / ٨٨٩^(٩٣) ؛ بحيث عرفوا بالقرامطة نسبة إليه . ولما خلفه في الدعوة أبو سعيد الحسن ابن بهرام الجعنابي^(٩٤) ، تمكن من إنشاء دولة لاتباعه ، وبني مدينة عرفت بالأحساء في ٢٨٦ / ٨٩٩^(٩٥) ، وغزا هجر بالقرب منها بين البصرة وعمان^(٩٦) ، وهدد العباسيين ، وغزا الشام ربما لتسهيل خروج المهدي إلى المغرب^(٩٧) . وفي خلال المدة التي وليها بعده ابنه أبو طاهر سليمان^(٩٨) ،

من ٣٠١ - ٣٣٢ / ٩١٤ - ٩٤٣ ؛ عمل أشياء تؤيد إخلاصه هو الآخر للفاطميين بعد تكوين خلافتهم بالمغرب ؛ فسار نحو الكوفة ، وتوغل في العراق وهدد بغداد ، ووصل الشام حتى حدود مصر ؛ كما غزا في الجزيرة العربية ؛ وذلك في الوقت الذي كان الفاطميون يغزون مصر .

ولكن بعد موت أبي طاهر ، وسير عساكر المعز إلى مصر ، نجد أن الدعوة في البحرين ، لا تسير بنفس التضامن السابق مع الدعوة الفاطمية ، وتظهر عوامل تدل على استقلالها عنها . فقد خرج من نسل أبي سعيد بن مؤسس دولتهم - حفيده الحسن بن أحمد المعروف بالأعصم أو الأعظم (٩١) ، في جمع كبير من أعراب البحرين ، ومعهم بنو هلال وبنو سليم (١٠٠) ، وهما قبائل رحالة على أطراف العراق والشام ؛ يدفعهم في الغالب الفقر للاستيلاء على مصر الغنية ، والرغبة في الحصول عليها من المغاربة ؛ وقد حملوا رايات الخليفة العباسي المطيع لله ، التي نقشوا عليها عبارة : السادة الراجعون إلى الحق ؛ أي أنهم لم يعودوا متضامنين مع الدعوة الفاطمية . فنجح الأعصم في طرد جيش الفاطميين من الشام ، وقتل قائده جعفر الكتامي بدمشق في ٣٦٠ / ٩٧١ (١٠١) ، وأمر الأعصم بلعن المعز ، وأظهر التشكيك في نسب الفاطميين إلى بيت علي وفاطمة ، ثم تقدم إلى مصر ، ووصل أمام القاهرة في أوائل سنة ٣٦١ / ٩٧٣ . ولكن أنقذ الفاطميين ، خندق القاهرة الذي كان حفره جوهر حولها ، وبمساعدة أبناء مصر بالذات ؛ فبقول المقرئ إن جوهر أوزع السلاح على المصريين (١٠٢) ، مما يدل على تمسك المصريين بخلفاء الفاطميين ؛ بحيث اضطر القرمطي إلى الانسحاب .

فاسرع المعز بإرسال المدد ، ولم يلبث أن جاء بنفسه ، حاملاً أمامه توابيت آباءه الذين ماتوا بالمغرب ؛ دلالة على عزمه النهائي على نقل الخلافة

إلى مصر . وقد تمكن المعز عن طريق الدبلوماسية من القضاء على محاولة ثانية
للحسن الأعصم في غزو مصر ؛ فقد أرسل إليه كتاباً يبين له فيه أن
أبا سعيد وأبا الطاهر كانا يدينان بالطاعة للأئمة ، ودعاها إلى طاعته (١٠٣) .
ولكن القرمطي كان مصمماً على القتال بجاء إلى مصر ؛ فاستمال المعز عرب
الشام إليه ، بأن أرسل إلى حسان بن الجراح زعيم الطائيين مائة ألف دينار
مصنوعة من النحاس ، جعلها في أسفل أكياس ، بعد أن وضع في رؤوسها
الدنانير الذهب الخالصة (١٠٤) . فلما نشب القتال ، انسحب حسان على حسب
الاتفاق ؛ فقبض المعز على القرمطي ، الذي اضطر إلى الانسحاب إلى الشام .
ومنذ ذلك الوقت وتوقف خطر القرامطة على مصر ، لاسيما بعد موت الأعصم
في حروبه بالشام ، مع العزيز بالله خلف المعز في سنة ٣٦٦/٩٧٦ (١٠٥) . وبذلك
خلصت مصر للفاطميين ، واستقرت خلافتهم ثابتة الأركان بالقاهرة قاعدة
ملكهم ؛ وأخذوا يتتابعون فيها إماماً بعد إمام ؛ إلى أن تولاها الحاكم بأمر
الله بن العزيز بالله .

الفصل الثاني

تولية الحاكم بأمر الله

تعتبر سيرة الخليفة صاحب الترجمة من أغوض السير^(١) ؛ فلا نعرف إلا النزر اليسير عن نشأته الأولى ؛ فهو المنصور ، أول إمام فاطمي ولد في أرض النيل ، بالقاهرة المعزية ، ليلة الخميس في الساعة التاسعة من الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ١٣/٣٧٥ أغسطس ٩٨٥^(٢) . أما تكنيته بأبي علي ؛ فعرف بها لما أنجب ولداً اسمه علي ، وهو الخليفة الظاهر بعده ، فاشتهر بها .

ومع اتفاق المؤرخين على أن أباه نزار العزيز بالله ثانی خلفاء الفاطميين بمصر ، وجده المعز لدين الله مؤسس خلافتهم فيها ؛ إلا أنهم اختلفوا اختلافاً شديداً عن أصل أمه وديانها ، لاسيما وأن الخلفاء في الإسلام كانوا يأتون إلى قصورهم بنساءٍ من مختلف الجنسيات والأديان . فيسميها المقريزي : السيدة العزيزية^(٣) ، دون أن يشير إلى أصلها وديانها . وعلى التقيض من ذلك ، يصرح الأنا ميخائيل بأن : أم المنصور لم تكن زوجة للعزيز ، وإنما سرية رومية أي يونانية^(٤) . ولكن جرجس بن العميد يقول : إن العزيز تزوج من امرأة نصرانية ، ورزق منها بنتاً^(٥) ؛ ولم يقل إنها أم المنصور . وبرغم هذا التناقض ، واقتضاب المعلومات ؛ لنا أن نؤكد أن النصرانية ليست أم المنصور ، وإنما أم أخته من أبيه سيدة (أوست) الملك ، التي ولدت

بالمغرب في سنة ٣٥٩/٩٧٠^(٦) ، وكانت تكبره بست عشرة سنة ، لاسيما وأن مراجع نصرانية أخرى قالت: إن أرسانيوس البطريرك القديس ، هو خال سيدة الملك^(٧) . ولا نزاع في أن نسبه إلى أم نصرانية ، ضمن حملة أعدائه عليه ؛ ومعظمها كما نرى أتت من مصادر نصرانية^(٨) .

ولسنا نعرف شيئاً هاماً عن صباه ؛ إلا أن أباه أحسن تعليمه وتهذيبه^(٩) ؛ ليعده للمنبص الخطير بعده . ولسوء حظنا لا نعرف أيضاً كيف نص أبوه عليه في ولاية عهده ، وإن ذكر ابن الأثير أن توليته كانت بعهد من أبيه^(١٠) ، دون أن يبين إن كان النص عليه بوصية أو شفوية أو تلميحاً ، كما هي القاعدة في تعيين الأئمة لخلفائهم^(١١) . ونرجح أن عهده كان بوصية مكتوبة ، اعتماداً على رواية المقرئ في وجود وصية من العزيز بالله لولده المنصور ، ويضيف المقرئ وغيره أن المنصور ورث عن العزيز أسراراً ومعارف^(١٢) . ويقرر الداعية إدريس ، أن العزيز نصب ابنه المنصور في ولاية عهده ، وهو في سن ثمانى سنوات ، في شهر شعبان من سنة ٣٨٣/سبتمبر - أكتوبر ٩٩٣^(١٣) . فيبدو أن العزيز كان له ابن آخر اسمه محمد ، منحه ولاية عهده قبله ؛ ولكنه توفى إبان حياته^(١٤) ؛ فاستحق المنصور النص عليه .

ولما توفى العزيز بالله يوم الثلاثاء ٢٧ من رمضان سنة ٣٨٦/١٣ أكتوبر ٩٩٦ ؛ أفضت الخلافة إلى المنصور وهو يومئذ صبي عمره أحد عشر عاماً وبضعة شهور^(١٥) . وكان المنصور في صحبة أبيه في بليس ، حيث كان العزيز يستعد للخروج لجهاد اليونان (الروم) ؛ لما هددوا بغزو الشام . وقد استدعاه العزيز قبل موته وضمه إليه وودعه ؛ ولا تشير الرواية إلى بكاء المنصور ، وإنما أخذ الأمر بصرامة ، ورجع بجثة أبيه بعد أن وضعها في قبة

على ناقة بين يديه ، وقد لبس زى الخلفاء وأمسك برمح في يده ، وتقلد سيفاً ، وعلى رأسه المظلة شعار أئمة الفاطميين ، يحيط به جميع العساكر ورجال الدولة ، إلى أن وصل إلى القاهرة التي خرج أهلها للقاءه ، فجهز أباه ودفنه .

وتتم جرت مراسيم بيعته بالخلافة على حسب الرسوم المعروفة في يوم الخميس ٣٠ سلخ رمضان (أى آخره) / ١٥ أغسطس - وهو نفس اليوم الذى ولد فيه - فقد خرج من داره راكباً إلى مكان عرف بالإيوان الكبير ، وهو قاعة كبيرة ذات أعمدة سامقة ، بناها أبوه العزيز بالقصر الكبير^(١٦) ، لتقام فيها رسوم القصر ، فنصب له فيها عرش الخلافة « سرير الملك » ، عبارة عن تخت مرتفع من ذهب ، عليه مرتبة مذهبة ، وكان جوهر أقامه للمعر^(١٧) . وتم لبس المنصور لهذه المناسبة البياض - لون خلفاء الفاطميين المفضل ؛ ليعارضوا به لون السواد العباسى - ووضع على رأسه عمامة مشدودة بترتيب خاص ، يطلق عليها التاج الشريف ، مرصعة بجوهرة في مقدمتها تعرف بالتيمة ، حولها جواهر أخرى دونها من ياقوت أحمر ، تحيط بها في شكل حافر^(١٨) . فلما دخل الإيوان ، قبل له الحاضرون من رجال الدولة وأفراد أسرته الأرض ، ومشوا بين يديه حتى جلس على السرير ، فوقف من له رسم الوقوف ، وجلس من له عادة أن يجلس . فبايعه الجميع بذكر عبارات الاحتراف بأمامته . ولا سيما بتبجيل الأرض ، دلالة على المنصوع والإعظام ، ولا يبنى العبادة ، كما هو في رأى علماء الشيعة^(١٩) .

وبمقتضى هذه البيعة أصبح المنصور إماماً^(٢٠) ، إقتداءً بأمامة علي بن أبي طالب ، الذى كان أول من اتخذ هذا اللقب . وقد تمسك الأئمة الفاطميون بلقب الإمام ، لما فيه من معنى دينى فى إمامة المسلمين كإمامة

الضلالة ، وفضلوه على لقب خلافة ، الذي كان يعنى النيابة وحدها ،
والاستخلاف فى الزمن . وكذلك تلقب بأمير المؤمنين ، وهو اللقب الذى أضافه عبيد الله المهدي
عند تأسيسه الخلافة الفاطمية بالمغرب ، فكان من أحب الألقاب إلى
المنصور (٢١) . وقد كان لهذا اللقب مقام كبير عند الفاطميين ، لأنه بين
صفتهم الروحية ، ويشرخ كنه عقائدهم ، فكلمة مؤمن فى رأيهم مشتقة من
الإيمان ، الذى هو إقرار بالله وبالنبى وإمامتهم للمسلمين (٢٢) .

وقد أُختير له أيضاً اللقب ، مثلما فعل الأئمة قبله منذ عبيد الله المهدي ،
فتلقب : بالحاكم بأمر الله (٢٣) . وقد قيل إن المعز لدين الله ، لما قدم إلى مصر ،
طلب من بعض علماءها كتابة مجموعة من الألقاب ، تصلح لتسمية الخلفاء
منهم ، حتى إذا تولى واحد منهم تلقب بها ، فكتبت له ألقاب كثيرة (٢٤) .
وقد صار لقب الحاكم بأمر الله من دون بقية ألقابه السابقة علماً على
وطني على المنصور اسمه .

وقد جرت العادة آنثذ أن تصدر سجلات إلى حكام الولايات بالخلافة
الفاطمية تعلن فيها أخبار بيعة الخليفة الجديد ، وأن يدعى له على المنابر فى خطبة
صلاة الجمعة ، وأن ينقش اسمه على قطع النقود « السكة » ، ويطرز على
رايات الجيش وبنوده ، وعلى الملابس الرسمية « الطراز » .

ولما كان الحاكم صغير السن جداً ، نجد أن رجالاً طامحين سعوا إلى
السيطرة عليه ، عن طريق السيطرة على الجيش ، لاسيما وأن الخلافة
الفاطمية فى مصر ، كانت مثل غيرها من دول الإسلام ، لا تعتمد على عنصر

واحد في الجيش ، وإنما على عناصر متعددة . فقد كان المبدأ السائد وقتئذ في دول الإسلام ، أن يعتمد الأمير على عناصر متعددة من أجناس مختلفة ، حتى يوجد التنافس بينها في خدمته (٢٥) .

فنعلم أن الخلافة الفاطمية ، كانت تستمد قوتها الحربية أول ظهورها في المغرب من العنصر البربري ، وهو ما عرف بالمغاربة نسبة إلى إقليمهم الذي أتوا منه ، وهو بلاد المغرب ، فعرفت منهم طوائف متعددة أشهرها : زويلة وكتامة والبرقية والمصامدة وصنهاجة (٢٦) . فكانوا يسكنون في معسكرات أو حارات أشبه بالمدن ؛ فثلاً المصامدة وخدم ، كانت لهم حارة تضم أكثر من عشرين ألفاً (٢٧) . وقد كان المعز يقرب طائفة كتامة على حساب الطوائف الأخرى ؛ وذلك لأنها أصل خلائقهم بالمغرب ، ويبدو أنها أتت معه إلى مصر بكل عناصرها وبهم أخذ مصر ؛ فكان شيوخها يحتلون وظائف الخلافة الكبرى (٢٨) .

ولكن بعد استقرار ملك الفاطميين في مصر ، أخذوا يبحثون عن عناصر أخرى يستخدمونها في جيوشهم ، حتى لا يستبد بهم البربر ، خصوصاً وأنهم قدروا أن المغرب قد يحاول الانفصال ؛ بما يجعل طاعة البربر وإخلائهم غير موثوق فيه . ففي يوم مجيء المعز إلى مصر ، شرع في تكوين جيش منهن ، أفرد له ثكنات في قصره عرفت بالحجر ؛ يعلم فيها أفراد الفنون الحربية ، وسماهم بسبب سكنهم في هذه الحجر باسم : صبيان الحجر أو غلمان الحجر ، أو حتى الغلمان المصطنعين في القصر (٢٩) . ومن المحتمل - كما يقول المقرئ - إن هذه الطائفة الخاصة ، كان معظمها من أولاد المصريين ،

إذ يقول : « أولاد الناس » ، أو من عناصر الماليك الذين كان يؤتى بهم صغاراً ، وقد بلغ عددهم زهاء خمسة آلاف نسمة .

وبعد ذلك ظهر عند الفاطميين ميل إلى استخدام عناصر موجودة في الشرق من الديلم والآتراك ، كانوا يستخدمون كجند مرتزقة في جيوش المسلمين ، وعرفوا بسبب أنهم من الشرق بالمشاركة (٣٠) . وقد أعتبر العزيز أول من أدخل المشاركة من الديلم والترك في الجيش الفاطمي (٣١) ؛ حتى أن عددهم كثر في عهده ، وعرفت لهم بعض الحارات : كحارة الديلم وحارة الآتراك (٣٢) . وقد كان العزيز على خلاف المعز يقرّب المشاركة على حساب عناصر الجيش الأخرى ، مما أوجد بينهم وبين طوائف المغاربة تحاسد (٣٣) .

ويبدو أن الفاطميين استخدموا أيضاً السود من السودانيين والعبيد ، وهم الذين عرفوا بعبيد الشراء أو الشرى ، لأنهم عبيد مشتركون (٣٤) ؛ فكانت لهم حارات عديدة معروفة ، مثل : الحسينية والفرحية والميمونية . ولكن عددهم ازداد على الخصوص في عهد خلفاء العزيز ، بحيث كونوا الجزء الرئيسي من جيش الفاطميين إلى وقت سقوط خلافتهم ، وكان الخليفة يسمى بهم : صاحب السودان (٣٥) .

فلما تولى الحاكم — الصغير السن — الخلافة ، طمعت طوائف المغاربة في استعادة نفوذها ، الذي كان قد ضعف على يد العزيز باستخدامه طوائف المشاركة وغيرهم ؛ فدخل على الحاكم مقدم كتامة وهددوه بالامتناع عن تقديم فروض الطاعة والولاء ، بل بالقتل ، إذا لم يعطوا المشاركة ، ويعين شيخ كتامة أبا محمد ابن عمار شؤون الحكم (٣٦) . فظهر لابن عمار ما عرف برتبة الوساطة ، وهي أشبه بالوزارة ، أي أن يكون ابن عمار الوسيط بين الخليفة والرعية (٣٧) . فالتخذ

ابن عتّار لقب أمين الدولة؛ فكان أول من تلقب من رجال الفاطميين بمصر، كما أن ظهور كلمة دولة في لقبه — لأول مرة — ربما كان يعني أن ابن عتّار سيطر على السلطة الزمنية، دون السلطة الدينية، التي بقيت للحاكم بحكم أنه الإمام (٢٨). فكان ابن عتّار مثل الخليفة ينقش اسمه ولقبه على الملابس الرسمية « طراز »، التي توزع على رجال الدولة، وإن موته بإضافة عبارة: عبد أمير المؤمنين (٢٩). كذلك قام ابن عتّار بتفرقة الأموال الكثيرة على طوائف المغاربة، وقرب كتابة وولي شيوخها الوظائف الرئيسية في الدواوين والولايات، كما كانت في أول عهد الفاطميين. وفي نفس الوقت عزل المصريين من الدواوين وقتل بعضهم، وتوقف عن صرف العطاء للمشاركة وأساء معاملتهم، فهرب كثير منهم إلى الشام. وقد ترتب على هذه الحالة، أن تعاضمت طائفة المغاربة على طوائف الجيش الأخرى، وعاثوا فساداً في البلاد؛ فكانوا يتناولون على أموال الناس وحرمتهم؛ وابن عتّار يُغض عن عدوانهم، مع أن المعز كان قد نقل المغاربة إلى أطراف القاهرة في نواحي عين شمس، وجوهر قبله منعهم من المبيت بمصر، وكان من يسيء منهم للأهالي يعاقب بالجلد أو الحبس (٣٠). كذلك ابن عتّار نفسه طغى وتجبر، حتى أنه كان يدخل قصر الحاكم راكباً، ويعرض لجوارى القصر بالبيع والأخذ وكأنها ملك يديه؛ كما أمر الناس ورجال الدولة بالترجل له، وشرف أكابر الناس بتقبيل ركابه، وأجل الناس من يقبل ركبته. وقد أشير على ابن عتّار بقتل الحاكم؛ إلا أنه لم يفعل أحداً إلا للحاكم واستصغاراً (٣١).

ولكن رجلاً آخر قوياً، نافع ابن عتّار، اسمه أبو الفتوح برجسوان أو أرجسوان (٣٢)، وهو خصي أبيض من الصقالبة، وهم جنس كان يُجلب حين وسط أوربا كآرقاء، ويعملون كخدم في القصور الإسلامية (٣٣)؛ فكان

برجوان يعمل في القصر الفاطمي منذ أيام العزيز ، ووصل فيه إلى مرتبة أستاذ ، أي كبير للخدم (٤٤) . وقبل ذلك ، ظهر طموح برجوان ، فكان أول من سلم على الحاكم بالخلافة بعد وفاة العزيز ، ويذكر المؤرخون أن هذا الأخير جعله مديراً لدولة ابنه ، ولكن ابن عمّار استبد بشئون الدولة دونه (٤٥) . ومع أن برجوان لم يكن شيخ طائفة من طوائف الجيش كما بن عمّار ؛ إلا أنه اشتهر بالدهاء والسياسة (٤٦) ، فاستفاد من عداوة المشاركة للمغاربة ، لا سيما وأن المشاركة قدروا في برجوان الطموح ، فلجأوا إليه لينصرهم على المغاربة (٤٧) . فحرض برجوان من هرب من المشاركة بالشام على الهجى إلى مصر لمحاربة المغاربة (٤٨) ؛ ولكن ابن عمّار سيطر نحوهم جيشاً هزمهم قبل أن يدخلوا مصر . فعاد برجوان وأثار همم المشاركة من جديد ؛ لكي يعيدوا الكرة على المغاربة ، كما استمال عميد الأشرى (٤٩) ، وسار على رأسهم وهزم ابن عمّار ، الذي اضطر إلى الهروب والإختفاء ، ولم يمض على وساطته عام ؛ وذلك في رمضان ٣٨٧ / أكتوبر ٩٩٧ . فلما تم لبرجوان النصر ، أخرج الحاكم وأخذ له البيعة من جديد من وجوه كثامة وقوادها والمشاركة وغيرهم ، وتقلد الوساطة . كان ابن عمّار . ثم أخذ برجوان في توطيد نفوذه ، بأن كوّن لنفسه طائفة خاصة من الجنود أو المماليك ، كانت حارتها تعرف باسمه (٥٠) ، وزاد في عطاء رجال الجيش من أنصاره ، لا سيما الغلمان في القصر (٥١) . وفي نفس الوقت ، تقرب من المصريين بأن أعاد الكتّاب القبط إلى الدواوين مكان المغاربة (٥٢) . ولما استقر له الحكم ، تعلق بباين عمّار ، ومنحه أقطاعه التي كانت له أيام العزيز ، واشترط عليه الطاعة ، وبذلك استمال إليه المغاربة أيضاً .

ولكنه مالبت أن نزع إلى الطرفين مثل ابن عمّار ، فلم يعد يقيم اعتباراً لأي شيء . فكان يعتبر نفسه الخليفة الحقيقي ، فيخرج من دون الحاكم

في المواكب الرسمية ، على رأس طوائف الجيش ، ورجال الدولة، والاستاذين من القصر . ومالبت أن استصغر هو الآخر خليفته ، ؛ بحيث أن الحاكم لما استدعاه ذات يوم وهو راكب معه، فسار إليه وقد تى رجله على عنق فرسه، وصار باطن قدمه وفيه الخنزير تيمالة وجه الحاكم ، ونحو ذلك من سوء الأدب (٥٣) .
يضاف إلى ذلك أنه استغل منصبه في جمع المال لنفسه ، بحيث قدرت ثروته بأكثر من مائتي مليون دينار ذهب ، وخمسين أردباً من الدراهم الفضة ، واثني عشر صندوقاً من الجواهر ، هذا عدا الأملاك والضياع والخدم والبقر والأنعام والجاموس ، والخواصل وهي اسطبلات الخيل ، وأهراء الغلال ، وشون الأتبان ، ومخازن البضائع ، ومناخات الجمال ، وغير ذلك الثياب ، التي كانت تعد قطعها بالآلاف من المناديل والقمصان والسراويل والنسكات ، وآلاف قطع القماش من كل صنف (٥٤) . وأدهى من ذلك وأنكى ؛ أنه تشاغل عن أعمال الدولة بملاذاته ، ومال إلى اللهو ، ولم يعد يهتم بغير الغناء والقصف ، وأصبح له مذنون من الرجال والنساء ، يتعصن معهم معظم ليله ، وجزءاً من نهاره ، فتعطلت أعمال الدولة ، وفسدت السياسة ، مما هدد بانهيار الدولة داخلياً وخارجياً .

والظاهر أن برجوان في غفلة طغيانه ، نسى أن الصبي كان قد طوى مرحلة الصبا ، وبدأ يدخل مرحلة الشباب ؛ فقد أشرف على الخامسة عشرة ، وأن من كان في مثل هذه السن لا يحتمل الإهانة ، لا سيما إذا كان الخليفة . ونسى أيضاً أنه في هذه السن المراهقة ، تميل النفس إلى الفضائل ، فتكره تبذله ، وإفساده لأداة الحكم ، وليس من شك في أن فتوة الحاكم جعلته يشور على حجب برجوان عليه ، ولسلطانه المسلوب . وقد كان الحاكم فطناً فلم يصرح بما يجول بخاطره ، لما كان لبرجوان من التغلب على الدولة ، وإنما

أنفذ إليه من يديه بقوله : إن الوزعة — وهم اسم الحية الصغيرة ، وكان
برجوان قد سماه به في صغره — صارت تيناً كبيراً^(٥٥) . ولكن برجوان
استمر متجاهلاً للفتى ، ومغزى رسالته إليه ، غارقاً في ملذاته ومجونه .

ومع وضوح أسباب غضب الحاكم على برجوان ؛ نجد المؤرخين
المتعصبين ، لا سيما من أهل العراق ، يطمسون الحقائق ، وليس عندهم ثمة كلة
صدق تتفق مع منطوقها . فيقول الروذراورى^(٥٦) (٣٦٩-٣٨٩/٩٧٩-٩٩٩) ،
بصدد غضب الحاكم على برجوان : إن الحاكم كان يحتاج إلى تهذيب ، فمنعه
برجوان من نزواته ، وأكثر من مراقبته ، فضايق ذلك الحاكم ؛ بحيث
أصبح النصح ذنباً ، والنصح للبلوك خطر على الناصح . ويضيف إلى ذلك
أن زيدان أوريدان ، وهو صقلي من كبار رجال القصر مثل برجوان ، كان
صاحب المظلة التي تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه في المواكب
الرسمية ، أراد أن يأخذ محل برجوان ، فخرض الحاكم عليه بقوله : إن
برجوان يريد أن يجعل نفسه في موضع كافور من أبناء الإخشيد ، ويحجر
عليك . وعلى النقيض ، فإن برجوان في رأى الروذراورى شخصية جديرة
بالاحترام ، ذات دهاء وسياسة .

ومهما يكن ؛ فقد أخذ الحاكم يفكر في كيفية التخلص من برجوان ويعمل
الفكر عاماً كاملاً^(٥٧) ؛ وأخيراً وضع خطة محكمة قرر فيها الغدر به .
وفي سبيل ذلك ، اعتمد على زيدان صاحب المظلة هذا — وكان مخلصاً
للحاكم — ومعه أخوه ، وبعض خدم القصر من الصقالية . فدعى برجوان
إلى مقابلة الحاكم في البستان الكافورى^(٥٨) ، المظل على الخليج — الآخذ
من النيل — الذى كان متنزهاً للخلفاء الفاطميين ، ويتوصلون إليه من
قصورهم عن طريق سراديب مبنية تحت الأرض ، يسرون فيها

بالدواب ؛ بحيث لا تراهم الأعين . وقد كان الحاكم يعمر في هذا البستان مباني
بجوار قصر اللاؤلؤ^(٥٩) ، الذي أقامه العزيز ؛ ولما سيطر برجوان على
الدولة ، نزل فيه ، وتعود برجوان أن يأتي مع الحاكم ؛ ليشاهد ما تم من
المباني والزروع . فلما طاف برجوان في البستان ، تقدم إليه زيدان يقبل رجلاه
وركبته ، ويعتذر إليه بانشغاله عن خدمته بالحاكم ، وهو يتحسس ثياب برجوان
خوفاً من أن يكون لابساً درعاً « الحديد » . فلما تأكد زيدان أن برجوان
لا يلبس شيئاً ، طرحه أرضاً وضربه بحديدة على قلبه ضربة عظيمة ، وأقبل
الحاكم وطعنه برمح ونزعه عنه ، وعلاه بقية خدم القصر بالسيوف إلى أن
قتل . فخرجت والددة الحاكم وأخته ؛ خوفاً عليه من برجوان أو غيره من
المستبدين بهم ، فطمأنهما الحاكم بنجاح خطته وأمرهما بالرجوع ، ثم دخل
قصره ؛ وذلك في يوم الخميس ٢٦ من ربيع الآخر من سنة ٣٩٠هـ / أبريل
سنة ١٠٠٠ (٦٠) .

ويبدو أن إسقاط رجل قوى مثل برجوان أثار الدهشة الممتزجة
بالخوف ، بحيث أن طوائف العسكر من المغاربة والمشاركة — وكان
برجوان قد قرب كثيراً منهم للاحتفاظ بسيطرته — خرجوا وتجمعوا أمام
القصر . فخرج إليهم الحاكم ، وهو على ظهر فرس أشقر ، وتحدث إليهم
بصوت قوى شارحاً الأسباب التي دعت إلى قتل برجوان ، فكان مما
قاله^(٦١) : « إن برجوان عبيد ، استخدمته فتصح ، فأحسنْتُ إليه ، ثم أساء في
أشياء عملها فقتلته » . وتوجه الحاكم إلى المغاربة قائلاً : « أنتم شيوخ دولتي ،
وأنتم الآن عندي أفضل مما كنتم فيه مما تقدم » . ثم التفت إلى المشاركة وقال
لهم : « أنتم تربية العزيز بالله ومقام الأولاد ، وما لكل أحد منكم عندي

إلا ما يؤثره ويحبه ، فكونوا على رؤسكم ، وامنوا إلى منازلكم . . . فيقول المقريني : « فدعوا جميعاً ، وقبلوا الأرض وانصرفوا » .

وفي اليوم التالي أصدر الحاكم سجلاً إلى المصلين في جوامع ومساجد القاهرة ومصر ، يبرر فيه قتله برجوان ، ونسخ منه نسخاً أنفذت إلى سائر النواحي والأعمال ، وذلك بتاريخ يوم الجمعة ٢٧ من ربيع الآخر من عام ٣٩٠ / ١ أبريل ١٠٠٠ ، لاسيما وأن برجوان كان محبوباً من المصريين ، جاء فيه : « معاشر المسلمين ، إن برجوان كان فيما مضى عبداً ناصحاً ، أرضى أمير المؤمنين حيناً ، فاستخدمه كما يشاء فيما شاء ، وفعل به ما شاء . . . ولقد كان أمير المؤمنين ملكه ، فلما أساء إليه النعم . . . ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ ، أن رآه استغنى ٩٦ : ٦ - ٧ . ثم نصح معاشر التجار والرعية بالعودة إلى أشغالهم ، دون الاهتمام لما حدث ، وطمانتهم إلى أنه يقوم بأعباء مهمته ، وأنه مباشر ذلك بنفسه ، وأن بابه مفتوح بينهم وبينه » .

وكان لا مناص للحاكم بعد ذلك أن يخطو خطوة أخرى ؛ ليخلص له حكم مصر ؛ فقتل أعوان برجوان من رجال الجيش والقصر . ثم أعد الحاكم كميناً لقتل ابن عمّار زعيم كتيامة ؛ وذلك بأن حرض عليه الأتراك - أعداء المغاربة - فقتلوه في يوم السبت ٥ من شوال من عام ٣٩٠ / ٨ سبتمبر ١٠٠٠ (٦٢) ، كما ألقى أعوان ابن عمّار من شيوخ كتيامة (٦٣) . تخاف الكتاميون ، وأتوا إلى قصر الحاكم ، كاشفين زعموسهم ، مستغيثين به ، طالبين العفو والأمان ، لاسيما وأنهم كانوا أول من استبدوا به ؛ فقبل الحاكم توبتهم ، وكتب لهم سجلاً بما التمسوه ، وهذا نصه (٦٤) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .
من عبد الله ووليّه : أبي عليّ الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الإمام
العزیز بالله أمير المؤمنين ، إلى كافة الكتاميين .

سلام عليكم : فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله
إلا هو ، ويسأله أن يصلی علی جده محمد نبيه ورسوله ، وعلی أخيه
ووصيه (علیؑ) ، وعلی الأئمة الطاهرين من نسله ، صلوات الله عليهم
أجمعين وسلامه .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين لما نبه الله عليه ، وفطره من الرأفة
والرحمة بأولياء دولته ومن تحويه ملكته ، بالإحسان إلى محسنهم ،
والتجاوز عن مسيئتهم ، لما رأى جماعتكم مستسلمين ومتنصلين عما سلف ،
ورغبة سائلة للعفو عنكم ، وترك مؤاخذتكم بما كان منكم ،
والاستئناف بكم ما استأنفه آباؤهم الأئمة المهديون صلوات الله عليهم ،
من أوليكم من آباءكم وأجدادكم ، وجرت به رسومكم في النفقة
عليكم ، وهبة مسيئكم لمحسنكم ، ومفسدكم لمصلحكم ، عطفته عليكم
عواطف رحمة خالقه لكم بعفوه عن جماعتكم ، فأجاب سؤالكم
في إزالة ما استشعرتوه وحذرتوه ، وخفتم أن يكون أمير المؤمنين
يؤاخذكم به ، وعفا الله ذو المغفرة ، عفواً لا تثريب بعده عليكم ، كما
قال الله وهو أصدق القائلين ، حكاية عن يوسف عليه السلام :
(لا تثريبَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ ، يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّحِيمِينَ ١٢ : ٩٢) . ووسمكم من الرضا بجديد الاختصاص لكم ،
يعادتكم إلى رسومكم ، والتكرمة بما أزال به ميسم السخط عنكم ،

وأمنكم على أنفسكم بأمان الله ، وأمان رسوله ، وأمان أمير المؤمنين ؛
فثقوا بذلك واسكنوا إليه ، ولتشرح صدوركم وتطمئن قلوبكم ،
وتراقبوا الله في خلواتكم ، واخلصوا نياتكم ، وليأخذ شيوخكم شبانكم
بكف الأذية ، ولزوم الطريقة المرضية ، وأعلموا أن ذلك لكم
ما أخلصتم وحسنت طاعتكم ، وليسمع الشاهد الغائب ؛ إن شاء الله .
وكتب في سنة تسعين وثلثمائة .

*

قصارى القول ، أن الحاكم نجح في استرداد سلطانه المسلوب من أيدي
الظالمين فيه ، ودل بتصرفه على أنه يفوق أعداءه دهاء وسياسة ، وهم الذين
استصغروه واحتقروه (٦٥) ، فقبض بيد من حديد على مقاليد حكم الخلافة ،
وخضعت له طوائف الجيش جميعها ، بما فيها المغاربة والمشاركة . ويقول
الداعية حمزة عن قتل الحاكم لبرجوان وابن عمّار ، إنه دل بذلك على
شجاعة فائقة ، لم يسمع بمثلها أبداً من قبل (٦٦) .

الفصل الثالث

طريقة حكمة

وهي الرغم من حداثة سن الحاكم - وقد استرد سلطانه من مقتصبيه - كانت له أهداف في أن يكون الخليفة المثالي في الخلق والحكم . ويردد الشيعة في كتبهم إشارات إلهية ترمز إلى التبشير به ، ليحكم الناس حكماً مثالياً^(١) . ولا يدهشنا أن نرى في سيرته تشابهاً مع سيرة العمرين ؛ مع أن المجتمع الإسلامي كان قد بعد جداً عن معيشته الساذجة الأولى ، وأصبح في أوج حضارته المادية المترفة ؛ بما جعل سيرة الحاكم فريدة في زمنها . ولعل مثالية الحاكم أتت من شبابه البريء ، وتنشئته الدينية المبكرة ، فارتقى ذروة الفضائل وغاية الشرف الكامل وهو صبي .

وتظهر مثاليته فيما أخذ به نفسه من تقشف وتزهد ، مع ما ورثه من الملك العظيم والعز والنعيم^(٢) . حقاً إن الفاطميين في أول الأمر كانوا يعيشون تقشفاً ، فكان المعز مثل سلفه يمقت حياة الترف ، ويقوم بالمهدية في حجرة متواضعة فرشت بالصوف والشعر « اللبود » ، ويلزم الواحدة من النساء^(٣) ؛ ولكن المعز وخلفه لما نقلوا خلافتهم إلى مصر ، تغيروا تغيراً كبيراً ، ومالوا إلى البذخ ولين الحياة . ومن المؤكد أن هذا التغيير يرجع

إلى استقرار شئون خلافتهم، وأنهم وجدوا أنفسهم في مصر المطبوعة على الحضارة الراقية . فقد اتسعت القاهرة اتساعاً عظيماً ، وهي التي بناها جوهر ؛ لتكون في أول الأمر معسكراً للمغاربة ؛ فبنيت فيها قصور نفحة أشبه بالقلاع : فتم على يد المعزّ بناء القصر ، الذي وضع جوهر أساسه يوم اختطاط سور القاهرة ، وعرف بالقصر الكبير الشرقي أو القصر المعزّي ، وبني العزيز تجاهه القصر الصغير الغربي أو قصر البحر^(٤) ، وكان بينهما فضاء واسع عرف برحبة بين القصرين ، يتسع لعشرة آلاف شخص^(٥) . كذلك أقيمت خزائن كثيرة في القصر الكبير وخارجه ، عبارة عن قاعات واسعة ، استخدمت في تخزين البضائع أو في صنع الأشياء ، وقد تأكد ثراؤها من وصف المؤرخين المسهب لمحتوياتها من الكنوز الثمينة ، التي جلبت من جميع بقاع الدنيا أو صنعت في مصر^(٦) . فقد أصبح أئمة الفاطميين يهتمون بالتحف مثل العزيز ، الذي كان يعرف في نقاء البلور ، ويكتب عليه اسمه^(٧) . ولم يقف هذا الغنى عند الخلفاء وحدهم ، بل تعداهم إلى سائر أهلهم من رجال ونساء على السواء^(٨) ، وإلى كبار رجال دولتهم ؛ بحيث أن خزائن ابن كاس (م ٣٨٠ / ٩٩١) وزير العزيز^(٩) ، شابهت في غناها ، خزائن خليفته كما أن جوهر القائد الذي فتح مصر وتوفي زمن العزيز (م ٣٨١ / ٩٩٢) ، قدرت تركته عند موته ، بستمائة مليون دينار من الذهب العين ، وأربعة ملايين درهم ، غير الجواهر والثياب^(١٠) .

وكذلك أصبح من يقومون بأعمال القصر المختلفة ، فرقة هائلة من الرجال والنساء ، بلغ عددها عشرة آلاف بين جارية وخدام ، لما تولى

الحاكم الخلافة^(١١) . وقد تميّزت فيها طبقة للإشراف على الخدمة في القصر ،
تشكون من العبيد البيض والسود على السواء ، أغلبها من أصل أجنبي من
الصقالبة ، خصيان وغير خصيان ، يعرفون بالأستاذين جمع أستاذ ،
أجلهم من يتميز بلفظ طرف العمامة تحت الحنك ، ويعرفون بالأستاذين
المحنكين^(١٢) ، مما لم تعرفه مصر من قبل .

فتبدو مثالية الحاكم في أنه رفض هذا النعيم الذي تركه له أبوه وجدّه ،
وتناسى حق نفسه وحق أسرته : فأخرج من قصره جماعة من حظاياها^(١٣) ،
وأعتق سائر عماليكه من الإناث والذكور ، وحررهم لوجه الله تعالى ،
وملكهم أمر نفوسهم ، والتصرف فيما يملكونه واقتنوه منه ومن أبيه^(١٤) ،
كما أخذ من والدته وأخته وخواصه من النساء أملاكهن وعقارهن^(١٥) ،
وهو في هذا مثل عمر بن عبد العزيز ، الذي جعل زوجته تترك جواهرها
ليبت مال المسلمين^(١٦) .

كذلك أبطل الحاكم ما كان يستعمل برسمه الخاص من الثياب^(١٧) ،
سواء ما كان يصنع منها في خزائن الكسوات ، التي أنشأها المعز بالقصر
الكبير^(١٨) ، أو في مصانع النسيج الحكومية المعروفة باسم الطراز
الشريف ، وهي المنتشرة في أنحاء بلاد مصر ، لاسيما في دمياط وتينيس^(١٩) .
وكان الحاكم أول حكمه يتزيا بزى آبائه من الثياب المذهبة ، والعمائم التي فيها
الجوهر ، ولكنه على التدريج ، انتقل إلى لبس غير المذهب ، ثم لبس
الملابس الخشنة من الصوف^(٢٠) ، ومركب حديدي في رجله^(٢١) . وكان لون

ثيابه البياض شعار الشاطميين ، ثم أصبح السواد مع عمامة زرقاء ، ثم جعلها أيضاً سوداء ، زيادة في التقشف (٢٢) .

وقد كان أهم ما يميّز القصر الفاطمي حفلاته الباذخعة ، التي تتألف من رسوم (٢٣) ، تنبع بدقة ، يشترك فيها الخليفة وخاصة ورجال الدولة والجيش ، في أيام مشهودة . ويقول ابن تغري بردى ، إن الممزرّ أول خليفة فاطمي في مصر ، استن جميع رسوم القصر (٢٤) ، كما ضرب المثل بأيام العزيز في البهجة ، وأنها كانت كلها أعياداً (٢٥) . فنجد الحاكم يقوم بهذه الرسوم بدون إسراف ، وهو إن أبق عليها ، فلأنها كانت لتأكيد سيادة الدولة .

وكانت المواكب أهم الرسوم ، وتسمى أيضاً المواسم أو الركوب (٢٦) ، وذلك في أيام معلومة ، كالأعياد الإسلامية وغيرها . فتخرج من خزائن القصر شارات الخلافة المختصة بالمواكب ، أو ما عرفت بالآلات الملوكية (٢٧) ، لتعرض على أنظار الناس في الشارع ، وهي : أسلحة من كل نوع مذهبة أو مفضضة أو منقطة بالجلد « الكيمخت » ، وأعلام كثيرة من الحرير المخطط بالذهب ، ملبسة أعوادها بأنابيب الذهب ، وهو أراج أو عماريات تحيط بها ستائر حمراء أو صفراء ، يحملها الخدم أو الجمال أو البغال لنقل الأشخاص ، وأطقم أو مركبات برسم الدواب الكثيرة ، التي تعد بالآلاف ، وليس بينها من لونه أسود — وهو اللون الذي يرمز لأعدائهم العباسيين — مثل : سروج محلاة بالفضة والذهب ، وأطواق من ذهب ، وقلائد عنبر ،

وجلاجل من ذهب وفضة ، وأيضاً نقارات وصفافير وصنوج وأبواق
ومداخن بأعداد كثيرة . فيجتمع موظفو الدولة وطوائف جيشها ورجال
أسطولها في ميدان بين القصرين ، فيخرج معهم الخليفة ويتجه الجميع إلى
مسجد يصلون فيه ، كما هو في موكب أول العام الهجري ؛ وقد لبس الخليفة
التاج أو عمامة الجوهر ، واحاط به حرسه المسمى الركابة كالجناحين ، وأمامه
حملة آلاته الخاصة ، مثل : المظلة المرصعة بالأحجار الثمينة ، والمذبتين
الخطيمتين كالنخلتين ، والسيف الخاص المرصع قبضته بالجوهر ، والريح
في غلاف منظوم باللؤلؤ ، والدرقة المزينة بالذهب ، التي كانت لحزمة عم
النبي ، والدواة من غائص الذهب .

وعلى النقيض من هذا البذخ في المراكب ، نجد الحاكم في موكب عيد
الفطر والأضحى (٢٨) ، يركب من غير زينة أو أبهة ، وليس معه سوى
عشرة أفراس ، تقاد بسروج ولحم محلاة بفضة بيضاء خفيفة ، وبنود قليلة
لا زينة عليها « ساذجة » ، ومظلة بيضاء بغير ذهب ولا زينة عليها ، وقد
لبس ثياباً بيضاء بغير ذهب ، أو زخرقة ، ولا جواهر في عمامته . وزيادة في
التشرف ، كان الحاكم في الموكب يركب الخيل لا الخيل (٢٩) ؛ لا سيما في السنوات
الآخيرة من حياته ، ويتزيا بثياب صوف وعمامة سوداء على رأسه (٣٠) .
فيتجه موكبه الساذج إلى المصلى المعروفة بمصلى العيد ، وهي مكان مكشوفة ،
أنشأها جوهر شرقي القصر الكبير ، وجددها العزيز (٣١) ؛ فلم يفرش
المنبر كالمعتاد بالسنتين والألوية على جانبيه ؛ فقام الحاكم بالخطبة وأم
المصلين للصلاة .

ولا نسمع بأن الحاكم أقام ولائم العيدين ببذخ (٣٢) ، فلا نسمع بأنه عمل

الفطرة ، وهي حلوى من الدقيق والفسق ولوز وبنقد وتمر وزبيب وعسل ، كان أبوه العزيز قد رتب صنعها في دار خاصة عرفت بدار الفطرة ، لتحضر إلى القصر يوم عيد الفطر ، وتنشر كالجبل الشاهق على مائدة طويلة ، فيأكل الناس منها ، ويأخذونها للبركة . وكذلك كثيراً ما عطل الأسباطة وهي المآدب الرسمية ، التي تقام لكبار رجال الدولة ، بعد صلاتي عيد الفطر والأضحى ، بل وعطل المطابخ والمؤونة التي كانت تقام برسمه في كل يوم ، واقتصر فيما يأكله على ما يأتيه من عند السيدة والدته^(٢٢) . وكان يقتصر في طعامه الخاص ومشربه على ما تدعو الحاجة إليه لتماسك الجسم ، دون الزيادة منه والمغالة فيه^(٢٣) . وعلى خلاف ذلك ، بقى النحر في عيد الأضحى على رسومه ، حيث كانت تذبج آلاف الأضاحي لتوزيعها على رجال الدولة والفقراء من الناس^(٢٤) .

وكان الحاكم يخرج أيضاً في مواكب للصلاه في أيام الجمع من شهر رمضان^(٢٥) ، في الجوامع المعروفة ، وهي : جامع القاهرة المسمى بالأزهر ، وجامع الحاكم المسمى بالأنور ، وجامع عمرو ، وجامع راشدة^(٢٦) . فكان الحاكم يخرج في موكب رسمي ، عليه عمامة بخير جوهر ، وسيف محلي بفضة بيضاء دميقة ، والناس يمشون بموكبه . وقد كان الجامع صبيحة يوم الجمعة يُبخر بالمسك ، ويطلق عن يمين المنبر ويساره ستران ، مكتوب في الستر الأيمن سورة الفاتحة وسورة الجمعة ، وفي الستر الأيسر سورة المنافقين . فإذا أُذن للجمعة صعد الخليفة على المنبر ، ومعه قاضي القضاة تشریفاً له^(٢٧) ، فيلقى الخليفة الخطبة من ورقة تأتيه عادة من ديوان الإنشاء ، فيقرأ فيها آية من القرآن

الكريم ، ثم يصلي على محمد جده وعلى أبيه ، ويعظ الناس بما قل ودل ،
ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل إلى نفسه ، فيقول هذه الجملة التي تبين
تواضعه نحو الخالق : « اللهم وأنا عبدك وابن عبدك ، لا أملك لنفسي ضراً
ولا نفعاً » ، ثم يتوسل إلى الله بدعوات فخمة ، ويختم الخطبة بقوله :
« اذكروا الله يذكركم » . فكان الرسم أن يقرأ الخليفة في الركعة الأولى ما هو
مكتوب على الستر الأيمن ، وفي الثانية ما هو مكتوب على الستر الأيسر ،
وحينما ينطق التكبير ينقله القاضي إلى المؤذنين ، الذين يسمعونهم بدورهم
للناس ، فإذا انتهت الصلاة عاد الخليفة إلى قصره .

وكذلك واظب الحاكم على الركوب في كل سنة وقت فيض النيل لفتح
الخليج (٢٩) ، الذي عرف باسمه : الخليج الحاكم ، ويقع غرب القاهرة آخذاً
من النيل إلى البحر الأحمر ، فيكون فتحه إيذاناً بفتح السودان ، لإرواء
أرض مصر . فكان يقام له ولرجال الدولة على حافة الخليج ، سرادق واسع
ربما هو القاتول الذي بنى في عهد أبيه ، وعرف بهذا الاسم لأن فراشاً سقط
من أعلاه أثناء إقامته في عهد العزيز ، فنصب له فيسك سرير الملك
فيستمع الحاضرون إلى آيات القرآن الكريم من قراء الحاضرة ، فإذا فرغوا
ألقى شعراء الدولة قصائد المصنوع ، ترتب درجاتهم واحداً واحداً . فإذا
انقضى هذا الحفل في السرادق ، غادره الخليفة إلى منظره عالية ،
تطل على الخليج ، فيطل من المنظره أستاذ من أساتذة القصر الكبار ، لينقل
أمر الخليفة بفتح الخليج ، الذي ينهزم أمام أعين الحاضرين ، تحت ضربات
المجادل . وقد منع الحاكم اللهي والمجون الذي كان يحدث في هذه المناسبة ،
والركوب في المراكب ، وسدت الطاقات المطلة على الخليج (٣٠) .

أما الجلوسات (٤١) ، وهي من أهم رسوم القصر الفاطمي ، وتسمى الاستقبالات الرسمية الفخمة التي تقام في القصر ، ويحضرها كبار رجال الدولة في تواريخ محددة ، فقد اتسمت في عهد الحاكم بالبساطة والتشريف ، فكان ينصب له سرير الملك ، خلف منارٍ يحميه . . . إذا أراد — عن أعين الحاضرين (٤٢) ، الذين يقفون أمامه أو يجلسون في أماكنهم المقررة . فنهى الحاكم عن تقبيل الأرض بين يديه وتقبيل اليد ، والإسناد بالسجود إلى الأرض ، وفي رأيه أن الإسناد إلى الأرض يخالف من صليح الروم ، كما نهى عن مخاطبته بمولانا ، وهي لفظة كانت تجرى على الألسنة في قصور ملوك المسلمين ، وأن يكون السلام مقصوراً على قولهم فقط : « السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » (٤٣) .

وكذلك رفض الحاكم مظاهر التكريم ، التي كان يقوم بها حرس القصر ، وهم من الجنود السود عددهم خمسمائة رجل ، وخمسمائة فارس ، عملهم الطواف حول أسوار القصر طول الليل . وكان الرسم أن يقف قائد الحرس على باب القصر بعد الفراغ من صلاة العشاء ، فيأمر بفتح الأبواب ودق الطبول والصنوج ، فيقبل باب القصر ، وترعى السلسلة ، ولا ترفع إلا عند الفجر على نفخة الأبواق . فتح الحاكم من ضرب الطبول والأبواق ، وصار حرس القصر يطوفون بغير طبل ولا بوق (٤٤) .

وقد جرت العادة أن تذكر في المكتوبات الرسمية عبارة مميزة عند ذكر اسم الإمام ، تحت هذه الصيغة : « صلى الله عليه وسلم » ، وأصلها في الدعاء لإبراهيم وآله في الصلاة ، وتدل على اعتقاد الفاطميين في طبيعة أئمتهم

الإلهية . فبجاء الحاكم يأمر بالآ يصلح أحد عليه في مكاتباته ، ويقتصر على الصيغة الآتية : « سلام الله وتحياته ونوامي بركاته على أمير المؤمنين » (٤٥) . وكان الحاكم أيضاً مثل أئمة الفاطميين قبله ، يُظهر غاية التواضع والخضوع لله ، فيسبق اسمه في المكاتبات بعبارة : « عبد الله ووليه » (٤٦) . أما في الصلاة ؛ فإنه منع المؤذنين من أن يسلموا عليه وقت الأذان (٤٧) ؛ وألا يدعى له على منابر الجوامع إلا بما يتفق من الدعاء لا غير ، فلم يقل الخطباء يوم الجمعة سوى : « اللهم صلى على محمد المصطفى ، وسلم على أمير المؤمنين علي المرتضى ، اللهم وسلم على أمراء المؤمنين آباء أمير المؤمنين ، اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخليفتك » (٤٨) .

*

ومن كل هذا يستبين أن مثالية الحاكم أوجدت أساليب في الحكم قلبت أوضاعه المتعارف عليها في عصره . وربما يكون قد فكر في أول الأمر ، أن يسير في حكمه على أسس الإسلام الأولى ، فجمع مجلساً للشورى من أعيان الدولة ، ولكن ما لبث أن أبطله ، وبدأ يعتمد على نفسه في شئون الدولة (٤٩) ؛ إذ كان الزمن قد تغير ، والعصر عصر الحكم الأوتقراطي ، الذي يعني حكم الفرد القوي . فنذ الخلفاء الأمويين ، لم يعد الخلفاء خلفاء النبي ، وإنما خلفاء الله في الأرض ، يحكمون بالحق الإلهي المقدس ، وجاء الشيعة وقوا في النظرية ، بما أحاطوا به خلفاءهم من عصمة وقداسة .

وليس ثمة من عجب ، في أن نجاح الحاكم في استرداد سلطانه المنصوب من برجران وابن عمّار ، ومن معها من جماعة العسكريين ، يكون قد جعله

يستخدم القتل وسيلة من وسائل الحكم ؛ لسحق كل من يشك في ولائه ، وإصلاح إهوجاج الدولة بعد أن فسدت شئونها . وقد أدى ذلك إلى أن أصبح اسم الحاكم يخيف أى شخص ، وحركاته تخيف من حوله ، وشبهوه بالأسد الضارى الذى يطلب فريسة ؛ لاسيما وأن منظره كان رهيباً ، فعيناه واستعان ، إذا نظر إلى إنسان ارتد عنه لعظم هيئته ، وصوته جهير مخوف^(٥٠) . وقد بولغ في عدد من قتلهم الحكام ، فقالوا - حر إلى عشرة آلاف إنسان^(٥١) ؛ مما جعل منه أنجب شخصية استطاعت إثارة الأساطير ؛ فقالوا : إنه كان يقتل خاصته وأقرب الناس إليه ؛ وربما أمر بإحراق بعضهم ، وربما أمر بحمل بعضهم وتكفينه ودفنه^(٥٢) ، وإن أحد القواد دخل عليه ، فوجده جالساً وبين يديه صبي مليح قد اشتراه ، وفي يده سكين وقد ذبحه ، فارتد القائد مذعوراً ، ولم تمض ساعة حتى أنفذ إليه الحاكم من قتله^(٥٣) ، وإنه بنى شونة كبيرة مملأها بالبوص والخشب ، بقصد إحراق الناس ، إذ كان يتمتع برؤية النار المتوهجة^(٥٤) . ويبدو أن إسراف الحاكم فى القتل ، تسبب فى حيرة بعض المؤرخين ، الذين تخبطوا فى البحث عن تفسير لذلك ، ولم يتبينوا قصده السياسى ، فادعى أحدهم أن الحاكم كان يعبد « يخدم » كوكب زحل والمرخ ، لاسيما وأن هذا الأخير يرمز للحرب ؛ فكان الحاكم يهلك الدماء تقرباً لها^(٥٥) . وعلى خلاف ذلك رأيت الشيعة ، أن الخاكم بشربه ؛ ليهلك المفسدين بحركة شفقيه ، إذ كانت لا تأخذ من الله أومة . ولا ينفضى عن الذنوب والجرائم^(٥٦) . وجدير بنا أن نلاحظ أن معظم من قتلهم الحكام لم يكونوا من ضعفاء الناس ، وإنما من أكابر رجال الدولة ؛ مما يبين أن القتل كان عنده وسيلة من وسائل الحكم ، وهذه نجدتها عند كثير

من ملوك عصره ؛ دون أن تثير مثل هذه المبالغة والأساطير .
وقد أحسن الحاكم أن الناس تخافه ، فكان يحاول جهده أن
يطمئنتهم بأنهم غير المقصودين بشدته ، فيختلط بهم ويتوسط معهم بدون
مواكب أو حجاب^(٥٧) ، فيجتمع بهم في الأسواق ، ويتصارع الرعاع أمامه ،
ويتدافعون ويتلاكمون^(٥٨) . وفي مرة قويت الإشاعات ، واشتد الخوف
من الحاكم ، فظنت الرعية وطوائف رجال الدولة أنها مقصودة بشر ما ؛
فخرج سائر الكتّاب يقبلون الأرض حتى وصلوا إلى القصر ، فوقفوا
يتضرعون ويضجون ويسألون العفو عنهم ، كما أن طوائف أخرى صاروا
إلى قبر أبيه العزيز ، وضجوا بالبكاء وكشفوا رؤوسهم ، فاسرع الحاكم
بإصدار أمانات عديدة لتطمينهم ، حتى بلغ ما كتبه فوق مائة سجل . ولدينا
صيغة إحدى هذه السجلات ، التي أعطيت لأهل الأسواق وقرئت بالقصر ،
يبدو من صياغتها رغبته الشديدة في تطمينهم على دمائهم ومالهم ، وأنه
لا يقصد بهم شراً ، وإنما شدته تكون فقط لإصلاح المعوج ؛ فقد
ورد فيها :

« إنكم من الأمنين بأمان الله الملك الحق المبين ، وأمان جدنا محمد خاتم
النبیین ، وأبينا عليّ خير الوصيين ، وآبائنا الذرية النبوية المهديين ، صلى الله
على الرسول ووصيه وعليهم أجمعين ، وأمان أمير المؤمنين على النفس والحال
والدم والمال ، لا نخوف عليكم ولا تمد يد بسوء إليكم ، إلا في حد يقسام
بواجبه ، وحق يتردد بمستوجبه ، فيوثق بذلك ، وليحول عليه إن شاء الله تعالى .
وكتب في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة . والحمد لله ،

وصلى الله على محمد سيد المرسلين ، وعلى خير الوصيين ، وعلى الأئمة المهديين ذرية النبوة وسلم تسليماً كثيراً « (٥٩) .

أما ما تناقلته الرواية عن حريق مصر أو الفسطاط بتحرير الحاكم ، فهذه جاءت مضطربة اضطراباً شديداً (٦٠) ، مما يشكك في أم حقيقتها . فقد قيل إنها حدثت بسبب سخرية المصريين من الحاكم ، وسبه في رقعة وضعوها في يد تمثال « صورة » عملوه من القراطيس على شكل امرأة ، كأنها ظلامنة . ولكن يحيى الأنطاكي لا يورد هذا السبب ، وإنما يقول : إن الحاكم أجبر أهل مصر على اعتناق دين جديد ، فعمل المصريون — لا تمثالاً من الورق — بل أشعاراً يكفرونه فيها ، وترنموا بأغانٍ تتضمن شتيمة له ، وألفاظاً قبيحة يشيرون بها إليه ، فأمر بحرق مصر . وكذلك يبدو السياق لهذه الرواية غير منطقي ومبالغ فيه : فقد أمر الحاكم جميع العسكر بالمسير إلى مصر وضربها بالنار ونهبها ، فاجتمع أهل مصر وقاموا بالدفاع عن أنفسهم ؛ ولكن الترك والمغاربة من العسكر لم ترض بالاستمرار في القتال ؛ لأنه كان لهم في مصر أملاك وأصهار وأقارب ، فبقي العبيد وحدهم ، وهم الذين تعمدوا سبي الحرير والأولاد ونهب الأموال ، فأجبر الأتراك والمغاربة الحاكم على وقف القتال ؛ فأوقف الحاكم القتال ، واعتذر لأشراف مصر وزعماء الترك والمغاربة ، وحلف أنه بريء مما فعله العبيد ، بل إنه لما قال له أحد الأشراف من مصر : « أراك الله في أهلك وولدك مثل ما رأينا في أهلنا وأولادنا » ؛ حلم عليه . وما يظهر أن قصة حرق الحاكم مصر من نسيج الخيال ، وهي مثل تلك القصص الكثيرة التي أشيعت عنه ، وكان يضطر في كل حالة إلى إصدار

سجلات الأمان والاطمئنان؛ أن يحيي المؤرخ يعترف بأنه لما شاع بين الناس قصائد وأبيات شعر على لسان الحاكم تتضمن وعيده للمصريين بحريق دورهم ونهب أموالهم، وسبي حريمهم، وسفك دماهم، أسرع الحاكم بقراءة سجل بتطمينهم وإزالة سوء ظنهم^(٦١). وقد يكون حريق مصر، حدث نتيجة للنزاع بين طوائف العسكر لما اضطريت الأحوال، لا سيما وأنه حدث في آخر أيام الحاكم سنة ٤١٠/١٠٢٠م^(٦٢)؛ فتذكر الرواية أن المغاربة والترك اتحدوا وحاربوا العبيد؛ فلعل ذلك بسبب أن العبيد كان عددهم قد بدأ يكثُر في عهد الحاكم، فاخاف ذلك الترك والمغاربة، فتناسوا أحقادهم السابقة واتحدوا ضد العبيد. وتزيد جميع المصادر أن الحاكم كان يركب أثناء الحريق، ويظهر أن ذلك تم بغير علمه، وكان يلعن العبيد، ويظهر التوجع لآلام أهل مصر، وأنه أرسل جنداً لإطفاء الحريق لما استغاث به أهل مصر^(٦٣). وفوق ذلك، فإن المقرئى، العارف بأحوال مصر والقاهرة معرفة تامة، والذي تكلم بتفصيل زائد عن حريق مصر في عهد شاور وزير العاضد آخر خلفاء الفاطميين؛ بقصد وقف غزو الصليبيين لمصر، لم يتكلم إطلاقاً عن حريق مصر في زمن الحاكم. لكل هذا نعتقد أن الرواية مدسوسة من أساسها على الحاكم؛ أو أنها على الأقل غير دقيقة.

وعلى خلاف الوسائل الديمورية؛ استخدم الحاكم سياسة الاستمالة والإغراء، عن طريق بذل المال، والإنعام بالألقاب؛ ليتفانى رجال دولته في الإخلاص له، وفي عملهم. فكان يفرق الأموال الكثيرة على رجال الدولة بدون حساب؛ مما جعل ناظر ماليته يتوقف عن الصرف خوفاً على أموال الدولة؛ فوقع الحاكم: «المال مال الله عز وجل، والخلق عباد الله،

ونحن أمناءه على الأرض ، فاطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام (٦٤) .
فمثلاً منح الحاكم عند تعيينه غنيم غنيم رئيساً لشرطته في ١٠١١/٤٠٢ ، بالإضافة
إلى مرتبه الكبير ، خمسة آلاف دينار ذهباً ، وخمسة وعشرين فرساً
بسر وجها ولجمها ، حتى يشعره بعطفه ويمنعه من الرشوة (٦٥) . وكذلك منح
الألقاب لسائر موظفيه بجميع أنحاء الخلافة ، بحيث لم تنتشر من قبل
كما انتشرت في عهده ، وحينما فكر يوماً في إسقاطها مالبث أن وجد ذلك
يفقده نفوذه فأعادها (٦٦) . وكان الحاكم يعاقب بسلب لقب الشخص مدة
طويلة ، ولا يدعوه بهذا اللقب ، فيصير الرجل في حزن وبكاء حتى يرد عليه
لقبه ، فيكون ذلك عيداً عند الرجل (٦٧) .

فالصرامة والاستمالة مصراعاً سياسة الحاكم ، لا سيما في أول عهده ،
وهو يشعر بصغر سنه وقلة تجربته أمام أعدائه الأقرباء ، كما أنهما كانتا سبيله
لتحقيق أهدافه في القضاء على فساد الدولة ، الذي امتدت جذوره إلى قبل
حكمه . فقد رأينا الأرقام الخيالية لثروة كبار رجال الدولة ، وهي ولا ريب
قد سلبت من عرق الشعب المصري المكافح ، الذي كان الحاكم يعطف عليه
كثيراً .

•

ومهما يكن فإن الحاكم كان يعتمد على نفسه في إدارة شئون دولته ،
ويبدو أن حرمانه من سلطته على يد برجوان وابن عمّار جعله حريصاً على
ألا يعلو على سلطانه سلطان . فلم تظهر في عهد الحاكم تسمية الوزير ، وإنما
وسيط ، ورتبته الواسطة أو وساطة جمعها وسائط ، وهي تصحب غالباً بما

يسمى السفارة ؛ لتدل على من يتوسط بين الخليفة ورجيته ، دون أن يبلغ مرتبة الوزير ؛ مما يبين رغبة الحاكم في الاستئثار بكل سلطته (٦٨) . وقد ظهرت تسمية الوساطة في مصر في آخر عهد العزيز ، واستمرت طوال عهد الحاكم ، وانقطعت بعده في عهد خلفه الظاهر ، الذي اتخذ الوزراء (٦٩) ، كما أنها ظهرت من قبل عند بويهى العراق ، الذين كانوا يحرصون أيضاً على زمام الحكم في أيديهم . وكذلك كان الحاكم أحياناً يبقى حتى بدون واسطة ، ويعتمد مباشرة على أصحاب الدواوين - وهي المصالح الحكومية - فيدخلون إلى حضرته ، ويستأذنون فيما يحتاجون إليه ، ويأمرهم بما يريد ؛ أو أنه كان يكفل النظر في الأمور إلى أفراد أسرته الموثوق في كفاءتهم (٧٠) .

ويعج حرس الحاكم الشديد في إختيار وسطائه ؛ إذ كان يراقبهم مراقبة شديدة ، ويرسل إليهم العجائز اللاتي يدخلن إلى بيوتهم من غير علمهم ؛ ليخبرنه بتصرفاتهم وأدق ظروف حياتهم (٧١) ؛ فإنهم كثيراً ما كانوا يهملون في عملهم ، ويشك في ولائهم . فكان الحاكم يقيم الواحد منهم تلوا الآخر (٧٢) ؛ ويضعهم تحت التجربة مدداً تتراوح بين الطول والقصر ، على حسب فراسته في كل واحد منهم ؛ بحيث أصبح أظهر قتلاه منهم . وقد بالغ المؤرخون بقولهم إن الفاطميين لم يستوزروا مسلماً إطلاقاً إلا في عهد الظاهر (٧٣) ؛ فالحاكم استخدم في الوساطة مسلمين وقبطاً على السواء .

فبعد قتل برجوان اتخذ الحاكم فهد بن ابراهيم النصراني الملقب بالريس في ٣٩٠/١٠٠٠ (٧٤) ، وقدمه على جميع الكتاب ، ولكنه قتل في جمادى

الأخرة ٣٩٣/١٠٠٣ ، بعد أن أمضى في منصبه زهاء ست سنين ، منها ثلاث في خدمة برجوان . وقيل في قتل فهد عدة أسباب : أبرزها مناصرته النصراني ، وإسناد مناصب الدولة إليهم ، حتى أُعتبر آفة على المسلمين وعدة للنصارى ، كما قد يكون قتله بسبب سعاية بعض الكتاب الذين كانوا يريدون أن يحلوا محله ؛ بحيث قال أحدهم للحاكم : « يا مولانا إن كنت تؤثر جمع الأموال ، وإعزاز الإسلام ، فارني رأس فهد بن إبراهيم » . ولكن الرواية الكنسية ترجع سبب قتله إلى أنه أبا اعتناق الإسلام ، فضرب الحاكم عنقه ، وأحرق جسده بالنار ، وأن جسده لم يحترق ، وأُعتبر ذلك من الكرامات (٧٥) . ويبدو أن الحاكم تسرع في قتل فهد ؛ فاحضر أولاده وخلع عليهم ، وكتب لهم سجلاً بحمايتهم ومنع الأذى عنهم ؛ وحفظ ما لهم (٧٦) .

ثم أقام الحاكم علي بن عمر بن العداس ، ورفع في أمور الدولة والنظر فيها ، وجعل له علامة للتوقيع بها : « الحمد لله على ما يستحق » ، ولتكنه سخط عليه وقتله وأحرقه بالنار في نفس سنة ٣٩٣/١٠٠٣ . وقد كان ابن العداس تولى الوساطة من قبل للعزیز بعد ابن كلس ، وأمره العزيز بالآ يرتشى أو يقبل هدية ، ولكن أخذت علي ابن العداس شبهات ، فصرفه العزيز ونقله إلى ديوان آخر ، فلما قتل الحاكم فهد ، ولاء مكانه إلى أن قتله . ويبدو أن ابن العداس كان ضمن من دس على فهد ، وكذبوا على الحاكم ، فرما يكون قتله بسبب ذلك ، أو لسيرته السيئة (٧٧) .

ثم جعل الحاكم حسين بن جوهر ، الذي كان تولى ديوان البريد والإنشاء أيام ابن عمّار وبرجوان ، يشترك مع فهد في النظر في أمور الدولة ولقبه بقائد القواد في جمادى الأولى ٣٩٠/١٠٠٠ ؛ ثم ولاء الوساطة وحده

بعد قتل ابن العباس . ولكن الحاكم صرف ابن جوهر عن النظر في الأمور في شعبان ٣٩٨/١٠٠٨ (٧٨) ، ربما بسبب أنه لم يكن مهتماً بعمله إذ كان ورث مالا وافراً من أبيه كما ذكرنا ، حيث أطلق يد فهد النصراني ليتحكم في رقاب المسلمين إلى أن قتله الحاكم ، وربما أيضاً لأن ابن جوهر ارتكب خيانة كبرى ، حينما كاتب مغامراً اسمه أبو ركوة ، الذي غزا مصر أيام الحاكم وهزم (٧٩) .

فبعين الحاكم صالح بن عليّ الروذباري ولقبه بثقة ثقات السيف القلم ، ثم عزله ، وألزمه بالبقاء في داره ثمانية أشهر ، ثم قتله في صفر ٤٠٠/١٠٠٩ (٨٠) ، ربما لأنه كان عراقياً ، إذ كان العراق العباسي في عداة للفاطميين . فعين الحاكم قبطياً هو منصور بن عبدون الكاتب النصراني ، ولقبه بالكافي ، وقتله بعد أشهر ، وألقى بجسده للكلاب ، وذلك لسوء تصرفه وخبثه ، وربما أيضاً لتحريض أعدائه (٨١) . فرد الحاكم الأمور من جديد إلى مسلم اسمه أحمد بن محمد القشوري ، الذي يبدو أنه كان عراقياً أيضاً (٨٢) .

وفي أثناء ذلك ، أمر الحاكم ابن جوهر بلزوم داره ، فاحس بالخوف من الحاكم ، فهرب بأولاده وصهره إلى جبل المقطم ، وبقى ثلاثة أيام ، ثم هرب إلى نواحي الاسكندرية عند قبائل بني قرّة ، التي كانت قد أيدت المغامر أباركوة ، فما كان من الحاكم إلا أن صادر أموال الهاربين . ويبدو أن الحاكم لم يكن يفكر في قتل ابن جوهر أول الأمر ، بدليل الإبقاء عليه حياً طول هذه المدة منذ عزله إلى سنة ٤٠١/١٠١٠ ، وذلك لأن جوهر آباءه ، هو مؤسس ملكهم في مصر . فكتب الحاكم إلى ابن جوهر بخط يده كتاباً شديداً

أرسله إليه مع رسول من كتامة ، وجاء فيه (٨٣) : كيف أن آباءه اشتروا
أباه من التجار وأعتقوه ، وجعلوه قائداً مظفراً يفتح البلاد ، وأنه نفسه
جعله وزيراً وقائداً ، وأطلق يده في دولته ، وبتعجب من تبطره وتركه
النعمة ، ونفى أنه كان ينوى الغدر به ؛ ليأخذ ما في حيازته — فإن بعض
الظن إثم — فإن مثل هذا الإدعاء تبرير أسوء تصرفه نحو وليّ النعمة ، فلو
كان قصده قتله لثم ذلك بيسر ، ويحضنه على العودة ، أما إذا لم يحضر
فإنه سيلاحقه بالإختطاف ، وأعذر من أنذر . وقد تردد ابن جوهر في أول
الأمر ، وما لبث أن قبل العودة ، فأعد الحاكم له استقبالا عظيماً ، وقدم
له ملابس موشاة فيها الدر والجوهر ، عرضت على الحاكم قبل خياطتها ،
وأرسل له الخيل بالسروج المذهبة ، والأجراس في أرجلها ، وأذن لرجال
الدولة الرسميين باستقباله ، بما فيهم الوسيط القشوري . فشق الحسين وأولاده
وصهره البلد في موكب فخيم ، تحيط به طوائف العسكر ، وعلى رأسهم الرايات
الحاكمية ، إلى أن وصلوا إلى قصر الحاكم ، فصاروا يحضرته ، ثم خرجوا
وقد عفا عنهم . فحمل الحاكم إلى ابن جوهر جميع ما قبض له من مال وعقار
وغيره ، وكتب له أماناً قرىء على رءوس الملأ ؛ فأرسل ابن جوهر الأمان
إلى مكة ؛ ليعلق على الكعبة ، ويجوز القداسة . ولكن ابن جوهر
لم يفلت من الحاكم ، الذي قتله في جمادى الآخرة ٤٠١ / ١٠١٠ ، كما قتل
أولاده الذين هربوا إلى الشام ، وكاتبوا باسيل ملك اليونان .

وكذلك ضرب الحاكم عنق القشوري ، ولم يلبث في الوساطة عشرة أيام ؛ ربما
لأنه عظم الخائن ابن جوهر ، وأظهر عجزاً تاماً في عمله . فولى الحاكم الوساطة

أبا القاسم الحسين بن عليّ المعروف بالمغربي، الذي بدت منه أفعال سيئة نحو الرعية، تخاف أن يجازيه الحاكم ويلحقه بالوسطاء سابقيه، فهرب إلى مكة؛ فقتل الحاكم أباه وعمه وأخويه؛ فلما طلب الصفح وكتب إلى الحاكم قصيدة يعترف فيها بتورثته؛ صفح الحاكم عنه، إلا أنه توفي قبل أن يعود إلى مصر^(٨٤). فنقل الوساطة قبلي اسمه زرعة بن عيسى بن نسطورس، ولقبه الحاكم بالشافي أي الذي يتوقف عليه الأمل في إظهار الرضا، فاستمر زرعة في الوساطة مرضياً عليه من خليفته من ٤٠١ / ١٠١٠، إلى أن مات سنة ٤٠٣ / ١٠١٢؛ فقد كان زرعة حسن السيرة، محمود الطريقة، محبوباً من سلطانه وسائر الجند والكتّاب كما يقول يحيى المؤرخ؛ لا سيما وأن أباه عيسى بن نسطورس وسيط العزيز، كان ضخمة ابن عمّار، الذي تغلب على الحكم في أول عهد الحاكم^(٨٥).

وبعد زرعة قلد الحاكم الوساطة والتوقيع عن الحضرة أبا الحسين ابن طاهر الوزان، ولقبه بأمين الأمان، ولكنه عزله وقتله في جمادى الآخرة سنة ٤٠٥ / ١٠١٤، ربما لأنه كان يعارض تصرفاته المالية، وتوقف عن صرف إنعاماته؛ فكتب إليه الحاكم بخطه باطلاقها^(٨٦). ثم ولي بعده الأخوين الحسين وعبد الرحيم ابني أبي السيد القماضي، وقتلها بعد شهرين^(٨٧). فاستناب لتدبير الأحوال الفضل بن جعفر بن الفرات، الذي أقام خمسة أيام فقط وقتله، وبعده بقي بغير واسطة^(٨٨). ثم عاد وولى عليّ بن جعفر ابن فلاح في ٤٠٥ / ١٠١٤، ولقبه بالقباب نخمة، بذى الرئاستين الأمر المظفر قطب الدولة، وكان إذا مرض عاده وحمل له مرتبة من القماش وخمسة آلاف دينار؛ ولكن جعفر أقتل بأيدي مجهولة في شوال ٤٠٩ / ١٠١٨؛ لا يتبين

أنها من قبل الحاكم. وبعد جعفر أقام الحاكم ابن عمه الأمير هاشم للنظر في الأمور، ثم عاد يعتمد على رؤساء الدواوين، واستمر على ذلك إلى آخر عهده (١٨٩). يتبين مما تقدم أن الحاكم أخلص في عمله كرئيس للدولة، بإشرافه على وسطائه إشرافاً تاماً، إذ كان يقدر أهمية منصبهم في خدمة الدولة والرعية. ومع قلة معلوماتنا التاريخية عن ظروف نقمته على كل واحد منهم؛ إلا أننا لمسنا في هذا القليل أسباباً أغلبها يتعلق بالولاء أو إستغلال المنصب، أو الإخلاص في العمل.

كذلك حاسب الحاكم رجال الدواوين — وهي الإدارة الحكومية — ويعرفون بالكتّاب مفرداً كاتب، حساباً عسيراً، لاسيما وأنهم كانوا مثال التواكل، وسوء التصرف، فجعل سيفه مصلاً على رؤوسهم؛ ليقوموا بعملهم بأمانة، بحيث أن الكتّاب كثيراً ما طلبوا منه الأمان. فقد طالب الحاكم كتّاب الدواوين بحساب ما كانوا يتولونه في ٣٩٩ / ١٠٠٨ — ٩؛ فثبتت السرقة على بعضهم، فتقدم بمحاقتهم؛ فقطعت أيدي بعضهم بالشطور على الخشبة من وسط الذراع، وعلق جماعة منهم بأيديهم أياماً يذوقون برد الهراء وحر الشمس، فمات عدة منهم، كما أخذ لقاء سرقتهم جميع ما كان لهم (٩٠).

وتد كان غالبية رجال الدواوين من أهل الذمة منذ أن مهد العزيز اصطناعهم؛ لزواجه من نصرانية هي أم سيدة الملك؛ فلدنا أمثلة تاريخية تشير إلى استخدام القبط واليهود بكثرة في مختلف الدواوين، فلم يبقوا كما

كانوا سابقاً عن عصر الفاطميين في دواوين مالية مصر وحدها ، وإنما صاروا في جميع فروع الإدارة ، وأصبحوا اصحاب النفوذ والسلطان . وأكثر من ذلك ، أن العزيز لما استخدم عيسى بن نسطورس لتولى ضبط الأمور ، مال عيسى إلى النصارى وولاهم الأعمال ، وعدل عن الكتاب والمتصرفين من المسلمين (٩١) . وقد انتهز أهل الذمة تسامح الفاطميين معهم ، فأساءوا استخدام مناصبهم للتحكم في المسلمين وإثارتهم ؛ بحيث أن أحد الشعراء وصف وصول الذميين وعلى الأخص اليهود منهم ، فنصح أهل مصر بالتهود لكي ينالوا الحظوة ؛ وتنجيز أعمالهم (٩٢) . وقد لفت المسلمون نظر العزيز إلى ذلك في شكواهم (٩٣) ، فقبض العزيز على عيسى وكاد يقتله ؛ لولا شفاعته ابنته سيدة الملك له ، فأعاده إلى عمله على شريطة أن يرد الدواوين والأعمال إلى الكتاب المسلمين ، والتعويل عليهم في شؤون البلاد (٩٤) . وقد سار الحاكم على سياسة أبيه الحازمة في شغل الوظائف الديوانية بالمسلمين ، فتقدم بإثبات سائر المسلمين المتعطلين من الكتاب ، الذين يصلحون للخدمة في دواوينه وأعماله ؛ ليتخذ منهم من يستبدل بالنصارى (٩٥) . وربما كان الحاكم — وهو المسلم المتعصب لدينه — يوده أن يخرج أهل الذمة جميعاً من الدواوين ؛ ولكنه لم يكن يستطيع ذلك ، بسبب أن القبط كانوا ثلث سكان مصر ، ولأن أغلبهم كانوا على دراية تامة بشؤون الإدارة ؛ التي اهتم الحاكم بحسن سيرها .

ولكي يكون إشرافه شاملاً لجميع شؤون الإدارة ، لا في مصر والقاهرة فقط ، وإنما في جميع أنحاء البلاد ، فإنه اهتم بما عرف بنظر المظالم ، وهي لفظة مفردة ظلام أو مظلمة من ظلم ، بمعنى انتهاك حق شخص ، وتدل

عادة على الظلم الذي أتى على الخصوص من التعدي أو الفساد من قبل رجال الدولة ، فيرفع أمره إلى الخليفة مباشرة^(٩٦) . ولذلك اعتمد الحاكم على نظر المظالم لتطهير دولته من الفساد ، وفي الوقت نفسه اعتبره وسيلة للحفاظ على سمعة حكمه . ويجب أن نذكر أن الفاطميين منذ أن جاءوا مصر ، أتوا بفكرة تطهير الإدارة من الفساد ، فجلس جوهر للمظالم في كل يوم سبت^(٩٧) .

ومن هذه الزاوية ، بذل الحاكم جهده في القضاء على مظالم رعاياه في كل وقت ، وفي كل مكان ، بشكل لم يُعرف له مثيل من قبل ، حتى من الخلفاء المتجولين المهتمين بإزالة الظلم عن رعاياهم ، مثل : عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز . فكان يأتيه المتظلمون عند أحد أبواب قصره الكبير المعروف بباب الذهب ، حيث تُخصص لهم مكان عرف بالسقيفة — أي موضع له سقف — فيقف المتظلم تحتها ، ويقول بصوت عالٍ عقيدة الفاطميين : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، عليّ وليّ الله » ، فيسمعه الخليفة الذي يجلس هناك كل ليلة ، فيأمر بإحضاره إليه ليستمع لشكواه^(٩٨) . كذلك كان يأخذ رقاغ المتظلمين في مواكبه ، ويقف وقوفاً طويلاً لكل من يتقدم بالتظلم له^(٩٩) ، كما ترفع إليه الرقاغ وهو على المنبر^(١٠٠) . يضاف إلى ذلك ، أنه واصل الركوب ليلاً ونهاراً على حماره الأشهب المعروف باسم القمر^(١٠١) — كأنه المختص من الظلم — تارة منفرداً وتارة في عدد قليل ، في الأسواق والقرى^(١٠٢) ، ولما اعتل وضعف اتخذ له محفة يجلس فيها أو يضطجع ، ويحملها أربعة رجال^(١٠٣) . وربما أنه في تحمسه لرد المظالم أمر بقتل سائر

ما في مصر أى الفسطاط من الكلاب ، إلا كلاب الصيد ، من أجل أنها تنبح بالليل إذا عبر الشوارع والطرقات ؛ فقتل منها نحو ثلاثين ألف كلب (١٠١) . فكان أثناء تجواله يختلط بمن له حاجة ، فمن رأى أن يقضى له حاجة حدد له اليوم الذى يعود فيه إلى لقائه ، والموضع الذى ينتظره فيه . فيحمل فى كفه لكل واحد من أصحاب الحوائج ما التمسه من مال أو سجل أو توقيع ، مما يقضى به حاجته ، ويدفعه إليه يداً بيد . ولخشونة العوام معه ؛ فإنه أمر من له حاجة أن يتقدم بها بنفسه ، وأن يكون وقوفه عن جهة اليمين من دابته خاصة (١٠٥) .

وفى الوقت الذى كان ينشغل فيه عن نظر المظالم ، ترفع الرقاع إلى قاضٍ خاص عرف بقاضى المظالم ، أو للقاضى العادى (١٠٦) ، أو لولىّ عهده (١٠٧) ؛ هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المخبرين رجالاً ونساء ، يطوفون ليلاً ونهاراً ، يرفعون إليه الأخبار (١٠٨) . وكان لا بد أن تذهب هذه المظالم إلى ديوان الإنشاء للتوقيع عليها بختم الخليفة أو ما عرف بالعلامة ، حيث كان توقيع الحاكم : « بنصر الله العظيم الوليّ ، ينتصر الإمام أبو عليّ » (١٠٩) . وقد قرىء سجل فى شوال ٤٠٥ هـ / مارس - أبريل ١٠١٥ ، بأن ما يرفعه الناس من حوائجهم يكون فى ثلاثة أيام : السبت للكتاميين المغاربة ، ويوم الإثنين للمشاركة ، ويوم الخميس لسائر الناس كافة (١١٠) . وفى الوقت نفسه ، كان الحاكم يقظاً لسير المظالم فى ديوان الإنشاء وما يتم فيها ، وفى مرة فك أحد الكتّاب واسمه أبو القاسم عليّ بن أحمد الجرجرائى ختم أحد الرقاع ، وقد ذكر فيها بالسوء غين رئيس الشرطة ، فقطع الجرجرائى موضع الطعن ،

وأصلح الرقعة وأعاد ختمها ، فبلغ ذلك الحاكم عن طريق رئيس مخبريه ، صاحب الخبر . فأمر الحاكم بقطع يدي الجرجرائي ، كما قطعت يد غين ، ثم قطع لسانه إلى أن مات ؛ وإن عفا عن الجرجرائي بعد ذلك ، وهو الذي أصبح وزيراً للظاهر ثم للمستنصر ، وتوفي في ٤٣٦ / ١٠٤٥ (١١١) .

وثمة حقيقة ثابتة ، هي أن الحاكم لم يكن مثل ملوك زمنه يعمل على إمتلاء خزائنه ، بل كان يفرقها على الفقراء والمساكين ، والإإنعام بها على كل من يطلبها باستحقاق . فكان في خروجه اليومي يحمل في كفه شيئاً من المال يفرقه ، كما كان من عادته أن يجلس في شباك « طاق » من شبايك القصر في وقت محدد ليفرق الصدقات ، فيأتيه الفقراء الذين يعرفون وقت جلوسه ؛ وكان ذلك دأبه ، وتلك آدابه (١١٢) . ولم يكتف بتوزيع المال ، وإنما وزع الكساء بكثرة ، فظهر في عهده ما عرف : بطراز العامة ، وطنى على طراز الخاص (١١٣) .

وقد يكون الحاكم ورث هذه الأريحية عن أبيه العزيز ، الذي قال في حديث له مع عمه : « ياعم ، أحب أن أرى النعم عند كل الناس ظاهرة ، وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر ، ولهم الخيل واللباس والضياع والحقار ، وأن يكون ذلك كله من عندي (١١٤) » . ولكن الحاكم فاق أباه ؛ فهانت الأموال عنده ، وكان يوزعها لا على أهل مصر وحدهم ، وإنما على أناس في مشارق الأرض ومغاربها ، بحيث لما توقف ناظر ماله عن الصرف خوفاً

من إختلال ميزانية الدولة ، كتب له الحاكم : « الغربية مذلة الأعناق ، والفاقة مرة المذاق ، والمادة من الله الرزاق ، فأجرهم على عوائدهم في الإنفاق ، ما عندكم ينفذ ، وما عند الله باق (١١٥) » . ولما كان للخلفاء عقارات وأراضٍ وضياع ، تعرف بمال الخاص ، ولها ديوان اسمه ديوان الخاص ؛ فإن الحاكم وهب جل الضياع والأعمال والعقارات والأملاك السلطانية أولاً فأولاً لمن كان يلمسها منه (١١٦) . وإذا لم تكف الأموال عنده ، نجده يعطى من مال من يقتلهم — وهو كثير — حتى أنه أقام لهذا المال ديواناً عرف : بديوان المفرد ، لم يسمع به من قبل (١١٧) ؛ كما أمر باستخراج كتوز مصر من الآثار القديمة ؛ لصرفها على الناس (١١٨) .

ويشهد له المؤرخون بأن يده لم تمتد إلى أخذ مال أحد إطلاقاً ؛ بحيث قال أحدهم — وهو نصراني — : « لعمرى إن أهل مملكته لم يزالوا في أيامه آمنين على أموالهم ، غير مطمئنين على أنفسهم ، فقد تقدم إلى كل من قبض منه شيء من العقار أو الأملاك بغير حق ، أو صودر منه في أيامه أو أيام أبيه ، أن يعاد إليه (١١٩) . كذلك حدث أن أوصى أحد ولاة الشام بماله إلى الحاكم ، وكان أكثر من مائتي ألف دينار ، ما بين عين ومتاع ودواب ؛ فجلبها أبناؤه تحت قصر الحاكم ، فأخذ الحاكم الوصية وألقى نظرة عليها ، ثم أعادها إلى أبناؤه ، وقال لهم بحضرة وجوه الدولة : « قد وقفت على وصية أبيكم رحمه الله ، وما وصى به من عين ومتاع ، فخذوه هنيئاً مباركاً (١٢٠) » .

كذلك أصبح الناس في عهده آمنين على أموالهم ؛ فكان التجار يتركون

حواثيتهم مفتوحة ، ولا يخافون عليها . وفي مرة وقع من شخص كيس فيه ألف دينار عند جامع ابن طولون ، فاستمر في مكانه أسبوعاً كاملاً لا يجسر أحد على أخذه ، حتى مر به صاحبه فأخذه . ونادراً ما كان يسرق شيء من الناس إلا وجده الحاكم لهم ؛ بما أدهشهم ، فادعوا أنه يعرف الغيب . كما ذكروا أن عنده تمثالاً يدعى أبا الهول ، يجلس في داخله رجل ، فيجلس الحاكم أمام التمثال ، وبأذن للشاكرين أن يمثلوا بحضرتة ، ويصفوا ما فقدوه من متاع ، فيتكلم أبو الهول ذاكراً أسماء اللصوص (١٢١) .

وليس ذلك هو كل شيء ؛ فإن الحاكم كان يخفف عن رعاياه من الضرائب ما استطاع ، شأن الحكام الأتقياء ؛ لا سيما ضريبة أسواق بنغيضة لأهل مصر تعرف بالمكوس (١٢٢) ، ظهرت منذ أيام حكم ولاية العباسيين ، وفرضت على كل السلع والناس ، وأن الهول وحده أُخلى سبيله وبقي حراً ؛ هذا فضلاً عن أنها لم تكن من الضرائب الشرعية ، لأنها لم تذكر في القرآن ؛ فاستقطها الحاكم . وربما يكون الحاكم قد أعاد تنظيم ضريبة الخراج أيضاً ؛ فقد استحدثت في عهده قضية لتقدير مساحة الأرض عرفت بالحاكية ، يبلغ طولها ستة أذرع بذراع اليد ، والذراع يساوي ست قبضات ، والقبضة أربع أصابع (١٢٣) .

وكذلك حاول الحاكم التخفيف من المجاعات التي وقعت في عهده بين ٣٩٥ / ١٠٠٤ إلى ٣٩٩ / ١٠٠٩ ، بسبب أن النيل قصر عن الصعود ، ولم يزد ارتفاعه عن خمسة عشر ذراعاً (١٢٤) . وقد كان الناس بمجرد

إحساسهم بأن النيل لم يصل إلى مستواه في المقياس ، يقومون بالتخزين ، وما يترتب على ذلك من إنعدام الأقوات وارتفاع الأسعار ؛ فكان المعز أول خليفة فاطمي في مصر منع النداء العلني على ارتفاع النيل قبل الوفاء ، لما محدثه ذلك من بلبلة وقلق بين الشعب (١٢٥) . فلما وقعت المجاعات في عهد الحاكم ، اتخذ هذا الخليفة من الإجراءات ما يدل على كبر عقله وتفانيه في القيام بواجبه : فكان يعمل على تثبيت الأسعار بمنع تذبذب العملة ؛ بتحديد مقاديرها ، وإنزال عملة جديدة جيدة تفرق على الصيارفة ، ثم أقام سعراً لكل شيء ، لا سيما الحبوب والمبيعات ، كما كان يدخل البيوت ويوزع الأموال على الناس بنفسه . وكذلك استخدم وسائله الخاصة في منع الناس من تخزين الأقوات ؛ فضرب جماعة بالسوط وشهرهم ، وأمر ألا يباع القمح إلا للطحانيين ، كما كان يكبس الحواصل والبيوت للبحث عن القمح ويفرقه على الطحانيين بالسعر الرسمي . وفي مرة ركب حماره ، وقال : « أنا ماضٍ إلى الجامع ، فأقسم بالله لئن عدت ، فوجدت في الطريق موضعاً يطؤه حمارى مكشوفاً من الغلة ، لأضربن رقبة كل من يقال لي إن عنده شيئاً منها ، ولأحرقن داره وأنهبن ماله » . فلما عاد في آخر النهار ، فما بقى أحدهم أهل مصر والقاهرة إلا وعنده غلة ، حتى حملها من بيته أو منزله ، وسعى بها في الطرقات ؛ فامتلات عيون الناس ، وشبعت نفوسهم . ويدل على بعد نظره أيضاً ، أنه أمر بمنع ذبح الأبقار السليمة من العاهة إلا في أيام الأعياد حتى لا تنقرض ؛ وقد فعل الظاهر بعده مثله ، لما وقعت المجاعات في عهده . (١٢٦)

وكان الحاكم تواقاً إلى أن يقطع دابر المجاعات عن مصر ، فسمع أن شخصاً من العراق اسمه أبو علي بن الحسين بن الهيثم ، نبغ في الهندسة ، وأنه

قال : لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً يصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص . فارسل الحاكم إليه جملة من مال ، وحثه على المجيء إلى مصر . فلما وصلها خرج الحاكم بنفسه للقاءه ، وأمر بإنزاله وأكرمه ، وسيره مع جماعة من الصناع في طول الإقليم المصري حتى وصل إلى أسوان . ولكن ابن الهيثم لم يستطع أن يقوم بشيء واعتذر عن عجزه ، فأبقاه الحاكم عزيزاً مكرماً إلى وقت وفاته (١٢٧) .

والجدير بالذكر أن النظام القضائي في مصر اكتمل على أيام الحاكم ؛ بشكل لم يعرف من قبل . ففي أول حكم الفاطميين في مصر ، أبقوا على أبي الطاهر الذهلي القاضي السني ، الذي وجدوه معيناً من قبل الخليفة العباسي منذ ٩٠٩/٣٤٨ ، رغبة منهم في تماشى إغضاب الشعب المصري السني ، ولكن أشركوا معه في الحكم النعمان بن حيون وابن أبي ثوبان ، وهما قاضيان فاطميان ، من كبار المتفهمين في المذهب الإسماعيلي . ولما مات النعمان بن حيون وابن أبي ثوبان ، أشرك المعز مع أبي الطاهر ، علياً الابن الأكبر للنعمان . ولكن الخليفة العزيز تخلص من أبي الطاهر ، وقلد القضاء كله لعل بن النعمان في صفر ٣٦٦ / أكتوبر ٩٧٦ ؛ وبعد وفاته قلده أخاه محمد بن النعمان في ٩٨٤/٣٧٤ ، وخوطف كلاهما بقاضى القضاة (١٢٨) .

وكان منصب قاضى القضاة — الذى وجد في مصر لأول مرة — تمتد سلطته لا إلى أعمال القضاء في الديار المصرية وحدها فحسب ، ولكن في بلاد الخلافة أيضاً مثل الشام والمغرب والحرمين ، وأكثر من ذلك تشمل جميع بلاد المسلمين ، وما يصير فتحه من بلدان الشرق والغرب .

(م — الحاكم بأمر الله)

وكان هذا المنصب لا يشمل على أمور قضائية صرفة ؛ بل يتضمن أيضاً أموراً دينية ليس لها علاقة بالقضاء ، ولكنها مُضمت إلى القضاء حسب العرف والاصطلاح في ذلك العصر ، وهي تشير غالباً إلى الصلاة والخطابة في المساجد الجامعة ، والإشراف على الأماكن الدينية ، والقيام في الذهب والفضة والمكاييل والعملة ، والنظر في الموارث وأموال اليتامى . وكان قاضى القضاة يتخذ نائباً أو أكثر في العاصمة للتخفيف من عمله ، وبطانة كبيرة من الشهود ، الذين يعاونونه في وظيفته الأصلية في القضاء أو في غيرها ؛ وهم يعرفون بالشهود العدول ، جمع شاهد عدل .

ولقد أصبح شغل الحاكم الشاغل منذ توليته الخلافة ، تنظيم القضاء على أسس ثابتة ، واعتبر نفسه مسئولاً عن توطيده . وينقل الشيعة في كتبهم إشارات إلهية ترمز إلى التبشير براكب الحمار ، ويقصد به الحاكم ؛ ليقيم العدل بين الناس (١٣٩) ، كما اعترف مؤرخ نصراني بأن الحاكم أظهر من العدل ما لم يسمع بمثله (١٤٠) . ولكي يسود العدل دولته ؛ تعتمد اختيار قضاته من بين كبار المتفقيين في الدين والمذهب الإسماعيلي ، ومنحهم السلطة والمال الوفير والألقاب ، حتى لا يطمعوا في أموال الناس أو يلحقوا بهم أى ظلم . وبالرغم من ذلك ؛ فقد وجد الحاكم قضاته يظلمون ويقبلون الرشوة ، مثل وسطائه ؛ فكان لا تأخذه لومة لائم في الفتك بهم ومصادرة أموالهم . ولحسن الحظ لدينا عنهم معلومات أوفى تبين أسباب نقمته عليهم ؛ وكما تبرر بطشه بهم .

فحينما تولى الحاكم الخلافة ، كان في القضاء محمد بن النعمان منذ أيام العزيز ؛ وتوفى في أيام وساطة برجوان في ٣٨٩/٩٩٨ . فسمع الحاكم بأن محمد ابن النعمان وجد عليه من أموال اليتامى وغيرهم ستة وثلاثين ألف دينار ؛ فأمر

بالإحتياط على أمواله ، وبيع كل ما تركه ، وتغريم الشهود الذين كانت
الودائع تحت أيديهم ؛ وذلك مع أن محمد بن النعمان ، كان صديق برجوان
ويتزاور معه . وبعدها أمر الحاكم بالألا يودع عند أحد الشهود مال يقيم
ولا غائب ، وأفرد موضعاً يودع فيه المال ، ويختم عليه أربعة من الشهود ،
ولا يفتح إلا بحضور جميعهم (١٢١) .

فولى حسين بن علي بن النعمان (١٢٢) ، وهو أول من كتب في سجله
قاضي القضاة . وقد شرط عليه ألا يتعرض لأموال الرعية ، وذكره
في سجله بما يجب أن يتبعه من عدل وإنصاف ، وترك المحاباة لذي رحم وقربى
أو غيره مهما علا شأنه ، وحفظ مال الأيتام ، وأن يتخير أعوانه من
الشهود أو غيرهم (١٢٣) . ولكي يمنع من الرشوة ، ضاعف اقطاعه وصلاته ،
كما منحه من مظاهر التكريم الشيء الكثير ، فجعل له بطانة كبيرة من
الشهود العدول تبلغ الآلاف ، وحرساً من عشرين رجلاً بالسلاح ،
ومركباً خاصاً « عشاري » يسير في النيل ؛ ليسهل تنقله في البلاد . ولكن
الحسين بن النعمان سرق أموالاً أودعت في ديوانه ، كما تسبب في موت أحد
الرعية لسبب تافه ؛ بأن أمر والى الشرطة بضربه ألف درة حتى مات ؛
بحيث أن البلد كله خرج في جنازة الميت احتجاجاً . فجزع القاضي ، وانتابه
الخوف من عقاب الحاكم ؛ الذي حرمه من بعض مناصبه ، ثم حبسه ،
وبعدها ضرب عنقه ، وأحرقه بالنار ، وذلك في ١٠٠٤/٣٩٥ . ولكي
يقضى الحاكم على مثل هذا التصرف الأحمق ، نجده أقام في كل بلد بمصر
شاهدين من العدول ، وتقدم ألا يقام العقاب « الحد » على كل ذى جريرة
ومرتكب جريمة ؛ إلا بعد أن يصح عند ذينك الشاهدين أنه مستحق له ؛
فيقام عليه الحد اللازم ، ويطلق سبيله (١٢٤) .

فولى عبد العزيز بن محمد بن النعمان ، الذى بدأ بداية حسنة ، فأوقف جميع شهود ابن عمه السابق ، واستخلف شهوداً جديداً ، بالأى يقبلوا الرشوة . وكان الحاكم يقوسى من سلطان قاضيه ، بحيث أنه لما رفض أحد القواد الكتامين الأقوياء الحضور أمام عبد العزيز ، أمر بالكتامى أن يحضر مسحوباً باليد . ولكن حدث لعبد العزيز فضيحة تتعلق بحضور مجلس شراب ، فخاف من الحاكم وهرب مع حميه ابن جوهر ، فلما عاد قتله مع ابن جوهر ، فى ١٠١٠/٤٠١ (١٢٥) .

ويبدو أن الحاكم اقتنع بفساد أسرة النعمان ، فسعى إلى تعيين قاضٍ من أسرة أخرى عُرف أفرادها بالتفقه فى الشرع الإسماعيلى؛ فولى مالك بن سعيد الفارقى فى ١٠٠٧/٣٩٨ ، الذى مُنح سلطات واسعة ، فاستخلف فيها ابنه ، الذى استخلف هو الآخر ، أى أن النائب يستنوب ، وهذا لم يسمع به قبله (١٣١) . وكان الحاكم يبائع فى تكريم مالك ، فأقطعه داراً كبيرة ، وجعل إقطاعاته فى السنة حوالى خمسة عشر ألف دينار ، وكان يدعو إلى مائتته لياكل معه ، ويصعده المنبر معه فى الأعياد . ولكن مالكاً خالف أمر الحاكم ، فسمّل لامرأة عاهرة العبث ؛ كما ساءت سمعته ، وذاعت عنه إشاعات مؤداها خلوه بأخت الحاكم سيدة الملك ، حينما كان يذهب إلى قصرها ؛ لقراءة صفحات من الدعوة الشيعية . ومع ذلك فإن الحاكم لم يأخذ بأقوال الناس ، وطلب من مالك أن يقطع ألسنتهم ، ولما لم يستطع ، قتله فى ١٠١٤/٤٠٥ .

فبقيت مصر بعد ذلك ثلاثة أشهر بدون قاضٍ ، فكفل الحاكم القضاء مؤقتاً إلى المحتسب ، وهو موظف دينى يشرف على ما يحدث فى الأسواق . وقد أتاحت هذه المدة للحاكم أن يستشير الناس وكل من يعرفهم واحداً واحداً عن يوليه القضاء ؛ كما يذكر النص . وأخيراً وقع اختياره على مصرى

اسمه أحمد بن أبي العوام ، شهد له بأنه ثقة مأمون عارف بالقضاء وبأهل البلاد ، وما في المصريين من يصلح لهذا الأمر غيره . ولما كان ابن أبي العوام سنياً ، فإن الحاكم شرط عليه أن يكون أساس حكمه كتاب الله وسنة نبيه والمأثور عن علي وآباء الحاكم ، كما أقام معه أربعة من الفقهاء الشيعة ، لئلا يحكم بغير المذهب الشيعي . فنظم ابن أبي العوام القضاء ، وحدد له أياماً معلومة ؛ فكان يعقد مجالسه أربعة أيام في الأسبوع ، فينظر قضاياها كل يوم أحد وخميس بجامع مصر أو عمرو ، وكل يوم إثنين وثلاثاء بالجامع الأزهر ، ويركب أيام الجمع مع الحاكم ، ويطلع الخليفة يوم السبت على ما يرى من القضاء بالبلاد ، وكان يوم الأربعاء لراحته . كذلك نقل ابن أبي العوام أرشيف القضاء إلى الجامع ، وهو ما كان يسمى بحجرات الحكم أو دواوين الحكم ، بعد أن كان يوضع عادة عند القاضي في داره ، ثم يُنقل إذا مات أو عزل إلى دار الذي يلي بعده . وكان ابن أبي العوام ، يتصفح حال شهوده ، فاسقط منهم في يوم واحد أربعائة . وقد استمر ابن أبي العوام يتولى القضاء ، حتى نهاية عصر الحاكم ؛ مرضياً عليه . (١٢٧)

ونذكر أيضاً أن الحاكم كان لا يراقب نزاهة قاضي قضاياه فحسب ، بل كان يراقب أيضاً القضاة العاديين ؛ فيحضر مجالسهم ، ويناقش تصرفاتهم . وقد كان بمصر قاض يقال له النطاح ، وسبب ذلك أنه كان له طرطور ، وفيه قرنان من قرون البقر ، يضعه إلى جانبه لإخافة المذنبين ؛ فبلغ الحاكم ذلك ، فاستدعاه ، وقال له : « ما هذا الأمر الذي قد اخترعته ، حتى قبحت سيرتك بين الناس » ؛ فقال له : « يا أمير المؤمنين أشتهي أن تحضر مجلسي يوماً ، وأنت من خلف ستارة ؛ لتنظر ماذا أقاسي من العوام ، فإن كنت معذوراً فيهم ،

وإلا عاقبني بما تختار ، . فحضر الحاكم مجلس قاضيه من خلف ستارة ، وشاهد ما يعانيه من نصب في سبيل أخذ الحق لمستحقه ؛ فأقره على فعله ؛ وكاد الحاكم نفسه يلبس القرنين ، وينطح بهما أحد المذنبين (١٢٨) .

*

هذه هي طريقة الحاكم في حكم رعاياه ، شاهدنا فيها مثاليته النادرة ، وليدة إيمانه بمسئوليته نحو رعاياه ، وعمله على إقتلاع الفساد من جذوره ؛ ولا ريب فهو القائل (١٢٩) :

أصبحت لا أرجو ولا أتقى ، إلا إلهي وله الفضل .
جدي نبي ، وإمامي أبي ، وديني الإخلاص والعدل .

الفصل الرابع

النزعات الدينية

نعلم أن الدولة التي كان يحكمها الحاكم بأمر الله ، لم تكن فقط ثيوقراطية أساسها الدين ، ولكنها أيضاً متمهبة لها عقائد خاصة . وقد أصبحت النزعات الدينية مميزة لحكمه بشكل واضح ؛ وفعل بسببها ما لم يفعله أحد من قبل . ولا نزاع في أن السبب في ظهورها في عهده ، راجع إلى طبيعته الدينية ، التي تصل إلى حد النصوف والنسك ؛ بحيث كان دائم التردد من مسجد إلى مسجد ليلاً ونهاراً^(١) ، وأيضاً إلى ظروف المجتمع المصري ، الذي عاش فيه ، وهو مجتمع يخالظه في المذهب والعقيدة ، قتلته من المسلمين السنيين ، وثلثه الباقي من النصارى الأقباط .

ومن الجلي أن نعلم على الخصوص ، أن الخلافة الفاطمية كان مذهبها شيعي ، وكانت تعتقد أنه الدين الإسلامي الصحيح . فقد كان من أهداف ظهورها العمل على سيادة مذهبها ، ليس فقط في مصر ، ولكن أيضاً في جميع أرجاء أملاكها ، بل وفي بلاد أعدائها السنيين^(٢) ؛ تمهيداً للاستيلاء عليها ؛ وإن كان اهتمامها أكبر بتحويل أهل مصر إلى المذهب الشيعي ، بسبب أن مصر هي مقر الخلافة الشيعية . فكان ما قام به الحاكم — صاحب هذه السيرة — في هذا الصدد ، مما يعتبر صفحة جديدة هامة في تاريخ

المذهب ، لم يسبقه أحد إليها ؛ فثبت أنه رأس مدبرة ، وعقل متزن نادر .
فقد كان المصريون منذ عهد مبكر في عهد الأمويين قد تحول كثير منهم من
النصرانية إلى الإسلام ، بحيث أن عامل عمر بن عبد العزيز على مصر كتب إلى
خليفته يقول : « إن أهل الذمة أسرعوا إلى الإسلام (٣) » ؛ كما نجد في كتب
المؤلفين أسماء أئمة المجتهدين من المصريين ، وبينهم فقهاء من الطبقة الأولى
من التابعين (٤) ؛ وما جاءت الدولة الطولونية في مصر ؛ حتى وكانت الغالبية
العظمى من المصريين قد تحولت إلى الإسلام ؛ بحيث استطاع أحمد ابن
طولون حينذاك ، أن يقيم في مصر إمارة إسلامية شبه مستقلة . وقد كان
إسلام المصريين في أول الأمر على مذهب الخلافة العباسية المسيطرة آنذاك ،
وهو المذهب السني ، الذي يتمثل في إعتناق المصريين فروعه المختلفة . وكان
أول مذاهب السنة التي انتشرت بين المصريين ؛ مذهب مالك بن أنس
(م ١٧٩ / ٧٩٥) ، وذلك بسبب توافر أصحابه الذين جاءوا إلى مصر ؛
ولدينا أسماء فقهاء مالكيين كثيرين من بين المصريين (٥) . فلما جاء مصر
محمد بن أدريس الشافعي في ٨١٣/١٩٨ - ٨١٤ ، واستقر بالفسطاط ، ودفن
بالقرب من المقطم في ٢٠٤ / ٨١٩ ، خصّ بعلمه أهل مصر ، وصحبه
جماعة من أعيانهم ، وكتبوا بأنفسهم عنه ؛ بحيث تفرق مذهبه من مصر
في سائر البلدان ، وأصبحت غالبية مسلمي مصر من أتباعه ، وطغى في انتشاره
على مذهب مالك (٦) . أما مذهب أبي حنيفة وابن حنبل ؛ فع انتشارهما
في المشرق ، لم ينتشرا في مصر ، انتشار مذهبي مالك والشافعي .

ومع ذلك ، فقد شق التشيع طريقه بأرض مصر منذ زمن مبكر ، وقبل
انتشار المذاهب السنية نفسها (٧) . فقد جاء التشيع مصر أيام الخليفة عثمان ابن
عفان ، على يد رجل اسمه عبد الله بن سبأ ، ويتلقب بابن السوداء (٨) ، كان

يتكلم عن وصاية النبي لعليؑ ، وأحقيته في الخلافة عن عثمان ، فانتشرت آراؤه بين المصريين ، واعتنقها كثير منهم . ثم قوى التشيع حينما تولى عليؑ الخلافة بعد مقتل عثمان ، وأرسل إليها والياً من قبله ، هو محمد بن أبي بكر — ابن الخليفة الراشد — بحيث وُصفت مصر حينذاك : بأنها دار تشيع . وعلى الرغم من أن معاوية وخلفه استولوا على مصر بالقوة ، فقد كانت غالبية المصريين تشيع ، فلما قامت فتنة الثائر ابن الزبير ضد الأمويين ، لحق به كثير منهم . وظل المصريون طوال حكم الأمويين ، وإلى وقت مجيء العباسيين ، يعملون بفتاوى أهل الشيعة ، وبخاصة فتاوى جعفر بن محمد ، جدّ الفاطميين (٩) .

ثم ضعف التشيع زمن حكم العباسيين ، الذين حاربوا آل أبي طالب وشيعتهم ؛ فعملوا على إخراج آل أبي طالب من مصر إلى العراق ، وأضطر من كان على رأى الشيعة من المصريين إلى التستر . يضاف إلى ذلك أن المذاهب السنية من مالكية وشافعية ؛ انتشرت بين المصريين ، بسبب حاجة هؤلاء إلى فقهاء يعلمونهم الدين ، ولم يكن يُسمح وقتئذ بوجود غير فقهاء السنة . لذلك تحول تشيع المصريين ، إلى نوع من الحب والتقدير لآل عليؑ ، فكانوا يتبركون بمن دفن منهم من الرجال والنساء ، وما زالت مشاهد آل عليؑ من أيام الإسلام الأولى ، موضع بركة للنصرين إلى وقتنا الحاضر ؛ نذكر منها : مشهد السيدة نفيسة (١٠) ، ومشهد السيدة زينب (١١) ، ومشهد السيدة كاثوم (كاثم) (١٢) ، ومشهد زين العابدين (١٣) .

ثم عاد التشيع إلى الظهور بمصر من جديد ، منذ استقل بحكمها عن نفوذ الخلافة العباسية السنية أمراء أقوياء من الترك ؛ فشجع ذلك بعض المصريين على إظهار تشيعهم . ففي أيام الطولونيين ظهر رجل من أهل مصر ، وأنكر

أن يكون أحد خيراً من أهل البيت ، وبقصد بهم آل علي (١٤) . ولما جاء المهدي من الشام في طريقه إلى المغرب ، نزل عند بعض شيعته في مصر (١٥) .
وحيثما قامت خلافة الفاطميين بإفريقية عملت على نشر مذهبها بين المصريين ، ويبدو أنها نجحت في تحويل بعضهم إلى الشيعة ، فيذكر المؤرخون أن القائم الذي أتى بعد المهدي ، كان يخاطب جماعة من المصريين ، الذين استجابوا إلى الدعوة (١٦) . وقد زاد عدد المتشيعين في مصر ، حتى أنهم كاتبوا المعز وقالوا له : « إذا زال الحجر الأسود ، ملك مولانا المعز الدنيا كلها » ، وهم يعنون بالحجر الأسود كافوراً (١٧) . ولا يعني هذا أن المصريين قد غيروا مذهبهم مرة أخرى ؛ فقد بقيت غالبيتهم سنية ؛ لأن السنة كانت قد تأصلت في نفوسهم ، بانتشار مذهبي مالك والشافعي ؛ حتى أنهم طالبوا جرهرراً لما أرسله المعز لفتح مصر ، أن ينص في أمانه على احترامه لمذهبهم السني ، فنص جوهر لهم على ذلك ؛ على الرغم من أنه في رأيه لا فائدة لذكره ؛ بحكم أن الإسلام سنة واحدة ، وشرعية متبعة (١٨) .

بيد أنه منذ أن أقام الفاطميون خلافتهم بمصر ، فإنهم عملوا على تحويل جهاز الدولة الرسمي إلى مذهبهم الشيعي . فعملوا على إحلال التشريع الشيعي مكان التشريع السني في القضاء والفتيا ، وإنكار ما خالفه (١٩) . كذلك غيروا في نظام المواريث ، وجعلوه على أساس رأي أهل البيت ؛ فأمروا ألا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ، ولا ابن أخ ولا ابن عم ؛ ولا يرث مع الولد الذكر أو الأثني إلا الزوج أو الزوجة والأبوان والجددة ، ولا يرث مع الأم إلا من يرث مع الولد (٢٠) . فلما ثار فقهاء

السنة ضد هذا التغيير في التشريع ؛ اتخذ محمد بن النعمان كبير القضاة في ذلك الوقت ، بعض العقوبات ضدهم ، ووطد حكم التشريع الشيعي (٢١) .

وفوق ذلك ، عمل الفاطميون على إدخال خصائص المذهب الإسماعيلي في الجوامع الرسمية (٢٢) ، وهي خصائص لا تختلف عن خصائص المذهب السني من حيث تناولها الدين الإسلامي ؛ ولكن بوجهة نظر خاصة . فنذ اليوم الأول ، الذي دخل فيه الفاطميون مصر ، جعلوا الأذان في المساجد الجامعة — وهي الكبرى — بحى على خير العمل ، بدلاً من حى على الفلاح ؛ وذلك لأنه في رأيهم أن عمر بن الخطاب قد غيّر في الصيغة التي تنوّلت عن النبي ؛ فقد كان عمر يرى أن الناس إذا سمعوا أن الصلاة خير من العمل تهاونوا في الجهاد وتخلّفوا عنه (٢٣) ؛ وكان الجهاد أهم عمل في وقته . وفي صلاة الجمعة جهروا بصوت عالٍ بالبسملة (٢٤) ، وزادوا صيغة القنوت في الركعة الثانية ، التي مؤداها : « اللهم نحن إليك قانتون » ؛ وعلى النقيض ازالوا ما زاده السنيون في هذه الصلاة من قراءة : « سبح اسم ربك » ، والنكبير بعد الصلاة (٢٥) . وفي الصيام ، جعله الفاطميون على حساب لهم ، ثلاثين يوماً ، ولا يكون على الرؤية بطلب الهلال ، كما ألغوا صلاة التراويح ؛ لأنهم لا يرونها مشروعاً للجماعة ؛ إذ لا جماعة إلا في فرض (٢٦) .

بالإضافة إلى هذا ، أخذ الفاطميون في الاحتفال بأعياد تتعلق بالمذهب الشيعي وذكر ياته ؛ وإن اجتهدوا أن تكون في أوساطهم الخاصة ، تحاشياً لإغضاب عناصر السنة ، غالبية شعبيهم المصري . فاحتفلوا لأول مرة في مصر سنة ٣٦٢ / ٩٧٢ ، بعيد اسمه غدیر خمّ ، وهو اليوم الذي أوصى فيه النبي بالخلافة من بعده لعليّ ، بمكان بين مكة والمدينة عرف بهذا الاسم ، في ١٨ من ذى الحجة (٢٧) . فكانوا يحتفلون بهذا العيد في القاهرة دون الخروج

عنها ، فيخرج موكب رسمي من قصر الخليفة إلى مكان مجاور عُرف بالإيوان الكبير ؛ للاستماع إلى خطبة قاضي القضاة ، الذي يقرأ نص وصية النبي لعليّ بن أبي طالب . وبعد إنقضائها يصلي الحاضرون ركعتين ، ويتوجه الخليفة على رأس الحاضرين لذبح الأضاحي الكثيرة ، ثم يُقام سماط نخم ، كما يحدث في عيد الأضحى ؛ بل وبمظاهر أكثر أبهة منها في أي عيد آخر .

وكذلك كانوا يحتفلون بيوم ذكرى مقتل الحسين بن عليّ ، في العاشر من المحرم - عاشوراء - سنة ١٠/٦١ - سنة ١٠/٦٨٠ (٢٨١) ، باحتفال رسمي وشعبي كبير . إذ كان المصريون الشيعة يحتفلون به قبل مجيء الفاطميين في أيام حكامهم الإخشيديين ؛ وقد استمر الفاطميون يحتفلون به من ٩٧٦/٣٦٦ ؛ إلى وقت إنقراض دولتهم في ١١٧١/٥٦٧ (٢٩٦) . ففي هذا اليوم تعطل الأسواق ، وتغلق الدكاكين وأبواب الدور ، ويخرج موكب كبير إلى الجامع الأزهر ، فيه رجال الدولة وأشياخ المذهب ؛ ليستمعوا لقراءة القرآن ومرثيات الشعراء ، وبعض الأناشيد الدينية ، ثم يذهبون إلى القصر وقد فرش بالحصر بدل البسط ، ووضع في بعض نواحيه دكك خشبية للجلوس ، فيستمع الحاضرون إلى القراء من جديد ، وتُلقى كلمات مناسبة لهذه الذكرى ، ثم يفرش سماط الحزن ، الذي يتكون من العدس الأسود ، والخبز المغبر لونه ، والأجبان والمخللات ، والألبان وعسل النحل الأسود ، فكان البعض يأكل منه ، والبعض الآخر يمتنع ، وإن كان الحزن يظهر على وجوه جميع الحاضرين .

ولما شعر الفاطميون بتوطيد مركز خلافتهم في مصر ؛ عمدوا حثيثاً إلى نشر عقائدهم بين المصريين ، بقصد تحويلهم إلى الشيعة . وقد يكون الدافع

إلى اتخاذ هذه الخطوة ، أن العباسيين والقرامطة من أعداء الفاطميين ، كانوا يذيعون بين المصريين طعناً يرمى إلى التشكيك في نسب الفاطميين إلى بيت النبي ؛ وهو الأساس الشرعي الذي قامت عليه خلافة هؤلاء . ويبدو أنه كان لهذا الطعن أثره ، بحيث أن المعزّ حين مجيئه من المغرب إلى مصر ، وقبل أن يدخل القاهرة طالبه جماعة من الأشراف أن يذكر لهم نسبه^(٢٠) ، كما أن بعض المصريين كانوا يبدسون للعزّين وهو على المنبر ، وورقات مكتوب فيها شعر ، يطالبونه بتصحيح نسبه ، إن استطاع^(٢١) .

وينسب تنظيم نشر المذهب ، وهو ما عُرف بالدعوة فقط أو الدعوة الهادية^(٢٢) ، إلى وزير العزّين بالذات ، يهودى كان قد أسلم ، هو يعقوب ابن كاس (م ٩٩١/٣٨٠) ، الذى عمل على عقد حلقات لشرح المذهب ابتداء من ٩٧٥/٣٦٥ ، فى المسجد الذى بنى فى عهد المعزّ فى ٩٦٩/٣٥٩ ، وتم فى عهد العزّين فى ٩٧٤/٣٦١ ، وعرف باسم جامع القاهرة ، وعلى الخصوص باسم الجامع الأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء ، التى تنتسب إليها الدولة ؛ وهو أول مسجد فاطمى فى مصر^(٢٣) . فأقام فيه ابن كاس خمساً وثلاثين رجلاً تنفق عليهم الدولة ، ويقيمون فى سكن بجوار هذا الجامع ؛ ليقوموا بشرح المذهب للناس . كذلك كان كبار رجال الدولة الفاطمية ، يقومون بقراءة علوم أهل البيت ؛ فقرأ على بن النعمان مختصراً فى الفقه ألفه أبوه بعنوان الاقتصار ، ومن بعده قرأ محمد بن النعمان علوم أهل البيت ، كما جلس ابن كاس بنفسه لقراءة رسالة فى الفقه الشيعى أسماها الرسالة الوزيرية ، تتضمن ما سمعه من المعزّ وابنه العزّين ، وبين يديه خواص الناس ، وسائر الفقهاء والقضاة والأدباء . فكان المصريون يقبلون على سماع هذه الدعوة ، ويحضرونها بكل

طبقاتهم ، حتى أنه مات منهم أحد عشر شخصاً في الزحام ، من دفع الناس بعضهم لبعض ؛ للاستماع لمحمد بن النعمان (٢٤) .

ولكن التحمس البالغ للدعوة في مصر وخارجها ، بلغ أشده في عهد الحاكم ، الذي اعتبرها رسالة كُلف بها ، واتخذ في سبيلها خطوات جريئة قامت سابقه من الأئمة منذ إنشاء المذهب ؛ وبقيت نمطاً يحتذيه خلفه من بعده ؛ بل لم يعرف لتنظيمه إياها تنظيم سابق في أى مكان في العالم . ولا ريب فإن الخلافة الفاطمية في عهده ، كانت قد وطدت أقدامها في مصر والشرق نهائياً ، وكان لا بد من نشر عقائدها .

فجعل الحاكم للدعوة لأول مرة رئيساً يتلقب بداعي الدعاة ، حيث تلقب به الحسين بن النعمان ؛ فكان يقال له : قاضى القضاة ، وداعى الدعاة (٢٥) . وقد كان للشيعة الإسماعيلية أو لغيرها من الفرق الدينية دعاة ؛ إلا أن هذا اللقب لم يعرف إطلاقاً من قبل . وحتى في المغرب ، حينما أسس الفاطميون خلافتهم ؛ لم يوجد هذا اللقب ، وإنما كان كبير الدعاة يعرف بالحجة ، كما أنه في أثناء فترة الستر ، كان يسمى حاجباً (٢٦) . لذلك نعتقد أن لقب داعى الدعاة لم يظهر إلا في عهد الحاكم ، وفي مصر بالذات .

ولأهمية الدعوة جعل منصب داعى الدعاة يتكافأ مع منصب قاضى القضاة (٢٧) ، فجهازه يشبه الجهاز القضائى ؛ فكان له نواب مثل نواب قاضى القضاة في الأقاليم المصرية وغيرها . يضاف إلى ذلك ، أنه جعل لداعى الدعاة مجلس عالٍ من الرؤساء يعرفون بالنقباء ، يتكون من اثني عشر نقيباً ؛ وإن كنا لا نعرف سر اختيار العدد اثني عشر ؛ فلعله على نسق عدد رؤساء

الدعوة العباسية ، أو عدد الاثنى عشر رجلاً من الأوس والخزرج ، الذين عاهدوا النبي على الولاء في العقبة ، أو مثل عدد الحروف الاثنى عشر في عبارة : الرحمن الرحيم^(٣٨) . ومع ذلك فلم يكن هؤلاء الدعاة والنقباء هيئة كهنوتية ، وإنما جماعة من الموظفين استخدمتهم الدولة الفاطمية ؛ لتعريف الناس بمذهبها .

ويدل على مدى الاهتمام بالدعوة ، أننا سمعنا عن دعاة في جميع أنحاء البلاد المصرية ، حتى في القلزم على البحر الأحمر^(٣٩) . أما في خارج مصر ، فكان ميدان نشاط الدعاة واسع المدى ؛ ينقسم إلى أقاليم ، تسمى جزائر جمع جزيرة ، تشتمل على أملاك الفاطميين ، وبلاد الأعداء في المذهب ، وفي بلاد خارج دار الإسلام . ولدينا أسماء هذه الجزائر أو الأقاليم ، التي يبلغ عددها هي الأخرى اثني عشر ، تبدو موزعة على أساس جغرافي أو جنسي ، وهي : العرب ، والبربر ، والزنج ، والحبشة ، والخزر ، والصين ، والديلم (أي الفرس) والروم ، والهند (أفغانستان الحالية) والسند ، والصقالبة^(٤٠) .

وقد اتخذت الدعوة بمصر أهمية خاصة ؛ وأصبح يُطلق عليها : مجالس الدعوة أو مجالس الحكمة^(٤١) . وقد كان همها تحويل كبار موظفي الدولة « شيوخ الدولة » إلى المذهب الشيعي ؛ إذ كان لا بد لكي يبقوا في وظائفهم أن يكون لهم على الأقل ميول شيعية . ولم تقتصر الدعوة على الرسميين وحدهم ، بل تعدتهم إلى خاصة الناس وعامتهم ، من الرجال والنساء على السواء^(٤٢) . ولدينا رسائل كثيرة من عهد الحاكم معظمها أُلقيت في مجالس النساء ، كما ذهب مؤلف كتاب غاية الموائد إلى القول بأن المرأة الشيعية قد تصبح داعية^(٤٣) . يضاف إلى ذلك أنه كان يدعى إلى مجالس الدعوة في مصر من بلاد الأعداء رجال معروفون ، أو من يمر بها من الطارئين ؛ بقصد

جعلهم دعاة للعقيدة الفاطمية في بلادهم ، وأدوات طيبة لخدمة أغراض السياسة الفاطمية العالمية ، وإن كانوا في نفس الوقت من الشيعة المخلصين . فكانت هذه الدعوة الواسعة تحتاج إلى عقد مجالس عديدة ، لتغذية هذا العدد الكبير من الراغبين فيها بعقائدها . فيذكر المقرئ أنه قد أُخصص للدعوة زمن الحاكم ، في أول الأمر يومان في الأسبوع ، ثم أصبحت ثلاثة أيام : فكان لعامة الرجال يوم الأحد ، وللنساء يوم الأربعاء ، وللإشراف وذوى الأقدار يوم الثلاثاء^(١٤) . ولكن يبدو أن الدعوة أصبحت تُعقد كل يوم ؛ فكان مجلس للخاصة ، ومجلس للموظفين ورجال القصر ، ومجلس لعامة الناس ، ومجلس للطائرين على البلد ، ومجلس لعامة النساء ، ومجلس لحريم القصر .

وكذلك كانت الدعوة تقرأ في أماكن متعددة ، لا في مكان واحد مثلما كان الحال في عهد العزيز . فكانت تقرأ في مكانين بقصر الخليفة : واحد للرجال في الصالة ذات الأعمدة « الإيوان » ، والثاني للنساء في رواق خاص اسمه « المحوسل » ، الذي وصف على أنه أعظم المباني وأوسعها . كما خصص في الأزهر ، وهو أول مكان أُلقيت فيه الدعوة زمن العزيز ، مجلس آخر للنساء^(١٥) . كذلك بنى الحاكم مكاناً تلقى فيه مجالس الدعوة ، عرف بدار الحكمة أو دار العلم ، أنشئ في سنة ٣٩٥/١٠٠٥^(١٦) ، وزوده بالكتب من كل نوع في العلوم والآداب والعقائد ، جاء بمعظمها من مكتبة القصر التي أنشئت في عهد العزيز^(١٧) ، كما زوده بالمحابر والأقلام والأوراق ، وجعل له البوابين والفراشين والخزنان . وقد اتخذت دار الحكمة أول الأمر طابعاً حراً ، فدُعِيَ إليها الفقهاء من المذهبين الشيعي والسني ؛ وإن أشرف عليها داعي الدعوة ، مما يدل على طابعها المذهبي . فكان الطلاب يفدون إليها

من شتى الأقطار ، بدون تفرقة في الجنس أو المذهب ، يتلقون فيها أصول الدعوة الشيعية ، وعلوماً أخرى مثل اللغة والمنطق والجبر والحساب والأخبار والطب ، وينسخون أو يقرءون ؛ فكانت أشبه بجامعة تتكون من عدة كليات . وقد كان الحاكم يذهب إلى هذه الدار ، ويستمع إلى محاضراتها ، ويتناظر العلماء بين يديه ، ويخضع على الجميع ، ويشملهم برعايته .

وفوق ذلك ، أسس الحاكم عدة جوامع منها : جامعه المعروف : بجامع الحاكم ، أو الجامع الأنور ، أو الجامع الكبير أو جامع الخطبة ، وكان قد أنشئ خارج سور القاهرة في عهد العزيز ، الذي توفي قبل اتمامه ، فأمر الحاكم بإتمامه ، واستمر بناؤه زهاء عشر سنين ، إلى سنة ٣٩٣ / ١٠٠٢ - ١٠٠٣ (٥٨) .

ومنها جامع راشدة ، الذي كان في الأصل كنيسة على النيل بجنوب مصر ، فحولت إلى جامع في ٣٩٣ / ١٠٠٢ ، وقد صحح عليّ بن يونس الفيلسوف المشهور قبلته ؛ وربما عرف بجامع راشدة على اسم قبيلة راشدة التي نزلت موضعه إبان الفتح العربي ، أو على اسم الكنيسة (٥٩) ، أو على اسم عمه الحاكم رشيدة بنت المعز ، التي توفيت في أيام الحاكم ، وخلفت ثروة هائلة (٦٠) .

ومنها جامع المقس ، الذي أنشئ على شاطئ النيل ، والمقس بلد قديم اسمه أم دنين (٦١) . وقد أحصيت الجوامع بمصر ، فوجد عددها ستة وثلاثون ألف مسجد (٦٢) ؛ فكان الحاكم يحمل إليها القناديل والتنانير والمصاحف والبخور والستور والحصر ، والإضاءة الخاصة بشهر رمضان ، في مواكب شعبية ؛ يهلب الناس فيها ويكبرون ، فيرددون : « لا حول ولا قوة إلا بالله ، والله أكبر (٦٣) » . كذلك أوقف أصناف الأملاك الكثيرة على الجوامع ودار العلم ، ولدينا نص وقفيته ، التي جاء فيها أن تكون دائمة لا يوهنها تقادم السنين (٦٤) ، كما أنفق أموالاً طائلة على قومتها من القراء

(م - ٦ - الحاكم بأمر الله)

والمؤذنين والخدام ، حتى أنه حدد لجوامع القاهرة وحدها في سنة ١٠١٥/٤٠٦ مبلغاً قدره $\frac{1}{4}$ ٧٣٣ و ٧١ دينار ذهب^(٥٥) . وقد جعل الحاكم الإشراف على هذه الجوامع ، لقاضى القضاة وداعى الدعوة ، من حيث مشاركة قومتها ، وعبارتها ، ونطاقتها^(٥٦) .

حقاً إن الدولة الفاطمية كانت تتكفل بنفقة الدعوة ، وتنفق عليها الأموال الطائلة ؛ إلا أنها كانت تلجأ أيضاً إلى مصادر إختيارية يدفعها المنضمون ، ترمز إلى الطاعة للذهب . وبلغ من اتساع الدعوة زمن الحاكم ، أن كفل الإشراف على جبايتها لداعى الدعوة ومساعديه . فكانت هذه المصادر الإختيارية تأتي بمبالغ طائلة ، يحملها داعى الدعوة للخليفة بيده ، بينه وبينه ؛ لوضعها أولاً بأول في بيت المال . ونستطيع أن نتميز من هذه المبالغ النجوى أو النجاوى ، ويلوح أنها تعنى السر ، ربما لتكون الدليل المادى على قبول التستر على عقائد المذهب ، وهى تبلغ ثلاثة دراهم وثلاث ، ولكن أغنياء الشيعة كانوا يدفعون ثلاثة وثلاثين درهماً ، فكان من يدفع هذا المبلغ الأخير ، يتميز فى مجلس الدعوة ، ويخرج له بخط الحاكم ورقة مكتوب عليها الجملة الآتية : «بارك الله فىك ، وفى مالك ، وولدك ، ودينك» . وكذلك توجد الفطرة ، التى كانت تدفع فى مناسبة عيد الفطر ، والخمس والزكاة^(٥٧) .

وقد كانت الدعوة قبل زمن الحاكم ، دعوة ظاهرة تتعلق بشرح التشريع الشيعى ، أو تفسير القرآن والحديث بمعناه المبسط «الظاهر» . ولكن منذ عهد الحاكم ، تميزت الدعوة - كما تظهر فى الكتب التى بين أيدينا - بظهور التأويل ، أو ما عرف بعلم الباطن ؛ وذلك للذين لا يقنعون بالقليل من الظاهر ، ويرغبون فى معرفة حقيقة الدين والمذهب . فكما

نعرف أن الإسماعيلية كانوا يرون لكل ظاهر باطناً (٥٨) ، وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ٦ : ١٢٠ ﴾ . وقد اعتبر علم الباطن ملكاً للإمام ومعجزته ؛ فهو العلم اللدني ، الذي نقله النبي إلى عليّ ؛ ليتوارثه الأئمة من بعده ، فنقلوا عن النبي قوله (٥٩) : ﴿ أنا صاحب التنزيل ، وعليّ صاحب التأويل ﴾ ، وقوله : ﴿ أنا مدينة العلم ، وعليّ بابها ، فمن أراد العلم ، فليأت الباب (٦٠) ﴾ . فكان هذا العلم - في رأيهم - يزداد من إمام لآخر ، حتى أنه يتضاعف كل مرة ست مرات (٦١) . وربما يكون بسبب علم الباطن ، أن سمام أعداؤهم بالباطنية ، ظناً منهم أنهم أحلوا الباطن محل الشريعة (٦٢) . ولكن الفاطميين طول عهدهم في مصر ؛ جعلوا الباطن بقصد تأييد الدين والمذهب ؛ فهو أشبه بالتفسير والقياس والرأي عند السنة (٦٣) . يُضاف إلى ذلك أن علم الباطن ، كان يتم تحت إشراف الإمام نفسه ؛ خوفاً من التغيير فيه ؛ فقبل قراءته على الناس ، كان داعي الدعاة يتلوه على الإمام ، ويأخذ علامته بظاهرة (٦٤) .

كذلك تميّزت الدعوة بتوسّعها في العلوم الفلسفية ، أو ما عُرف بالتعبير الإصطلاحي : علم الحقائق (٦٥) . فهذا كان من شأنه أن يهب الدارس قوة في الجدل والاستدلال ، وقدرة على البحث والنقاش . وكان سبب ظهور الميل الفلسفي في زمن الحاكم ، أن الفلسفة الإسلامية كانت في أوجها ؛ ففي وقته وجد الفيلسوف الشيخ الرئيس ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ / ٩٨٠ - ١٠٣٧) ، وقبله مباشرة الفارابي المعلم الثاني (م ٢٣٩ / ٩٥٠) ، والكندي فيلسوف العرب (الثالث / التاسع (٦٦)) ؛ وكل من هؤلاء نقل عن الفلسفة اليونانية وتناولها بالشرح والتعليق ، وحاول التوفيق بينها وبين العتائد الإسلامية . فلم يكن من الممكن ، والعصر الذهبي للفلسفة

الإسلامية ؛ أن يقف مفكرو الإسماعيلية عند ظاهر العقائد ، وإنما عملوا هم الآخرون على المزج بين عقائدهم ، وبين الأفكار الفلسفية ؛ بحارة لتيار العصر . ويكفي أن نتصفح الكتابات التأويلية ؛ مثل كتاب : راحة العقل ، (٦٧) لشيخ فلاسفة الإسماعيلية زمن الحاكم ، المسمى حميد الدين الكرمانى (م ٤١١ / ١٠٢٠) ؛ فنجد أن له نظرة فلسفية فى العقائد الدينية والمذهبية ، لا تختلف عن نظرة غيره من فلاسفة المسلمين ، مع بقاء طابعها الشيعى المميز ، وأنه وجد لعقائد المذهب حاولاً ليس فقط فى أقوال فلاسفة المسلمين السنة ، بل وفى أقوال فلاسفة اليونان ، أمثال : أفلاطون وأرسطو طاليس وأفلوطين ؛ كما تكلم هو الآخر فى العقل الأول والسماء والنفس والوحي والمعجزة . والواقع أنه كان للنشاط الفلسفى عند الإسماعيلية سابقة عريقة ، ظهرت من قبل فى رسائل إخوان الصفا ، التى أُعتبرت من تأليف أئمة الشيعة ، وعلمائها ، وحاولت التوفيق بين عقائد الإسماعيلية والفلسفة (٦٨) ، وفيما كتبه الدعاة الأوائل للمذهب الإسماعيلى ، أمثال : النخشبى (النسفى) فى كتابه : المحصول ، والرازى فى كتابه : الإصلاح ، والسجستانى (السجزى) فى كتابه : النصر (٦٩) . ولكن ما حدث من نشاط فلسفى زمن الحاكم ؛ لم يعرف له مثيل من قبل أو من بعد ؛ بسبب أن الكرمانى وفق بين آراء فلاسفة المذهب القدامى وآراء عصره ، بحيث لم تظهر بعده للمذهب فلسفة جديدة (٧٠) .

وقد ترتب على التعمق فى دراسة المذهب ، بظهور علم الباطن وفلسفته ؛ أن الدعوة لم تعد محاضرات أو دروساً مبسطة علانية ، وإنما أصبحت عدة دعوات متدرجة ، عددها سبع أو تسع ، دعوة بعد دعوة (٧١) ؛ تقسم بالسرية ؛ خوفاً من اختلاطها أو التغيير فيها . ولم يكن المستجيبون لها ،

ينتقلون إلى الدرجة السادسة فيها ؛ إلا إذا درسوا كل نواحيها ومعانيها الباطنية والفلسفية . كذلك جعل لها عهد خاص على المستجيبين ؛ يأخذه داعي الدعوة بنفسه ، وهو : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسوله ، والإيمان بالبعث والساعة ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والجهاد في سبيل الله ، ولا سيما ستر المستجيب لكل ما سمعه ، وألا يقول إلا الصدق ، وألا يتفق مع أعداء المذهب ، وأنه إذا خالف عهده هذا ، فساؤه طوالق ، وكل ما يملك حرام ، وأن يحج ثلاثين حجة ماشياً حافياً ، ثم تقبل توبته (٧٢) .

وقد أتت هذه الدعوة الهائلة بشمرتها ؛ فيذكر المؤرخون أن المصريين في عهده أقبلوا على الدعوة رجالاً ونساء ؛ لا سكان مصر والقاهرة فحسب ، بل قراها ومراكزها « نواحيها » ، وأنهم من تراحمهم على سماعها ؛ كان يموت منهم عدد من الرجال والنساء (٧٣) . وكذلك وفد على مصر بسببها عدد كبير من الناس من مشارق الأرض ومغاربها ؛ فسكانت الدولة تنفق عليهم الأموال الطائلة ؛ بحيث أن ناظر المال نبه الحاكم إلى أثر ذلك على ميزانية الدولة ، وأنه لم يبق أحد من الناس إلا وهاجر إلى مصر ؛ ولكن الحاكم لم يتم بما يُنفق في سبيل الدعوة (٧٤) . ولا ريب ؛ فإن عمائد الفاطميين في عهد الحاكم ؛ شغلت الناس كثيراً ، سواء من دخل فيها ؛ أو ظل متمسكاً بمذهبه .

وفوق ذلك ، عمل الحاكم على تطبيق المذهب ، وتشدد فيه أكثر من سابقه . فأعاد صلاة القنوت ، التي كان أبوه العزيز قد تساهل فيها ، وقطعت في سنة ٩٨٠/٣٧٠ ، كما استمر في قطع صلاتي التراويح والضجى من جميع جوامع بلاد الخلافة (٧٥) . وقد جعل الحاكم المؤذنين الشيعة يضيفون إلى

صيغة الأذان — إذا شاءوا — عبارة : أن محمداً وعلينا خير البشر (٧٦) ، وأمر بالتثويب فيه أي التثنية في الدعاء (٧٧) . ونجده ينظم أوقات الصلاة ، فجعلها بحسب المزولة العربية — الساعات — لتكون أدق ، وليس بحسب المتعارف عليه في التوقيت بالشمس (٧٨) ؛ فهو عمل ديني ولا ريب . وقد كان الحاكم يحتفل بأعياد الشيعة مثل سابقيه من الخلفاء ، ولكن دون بذخ ، كما أنه رفض أن تستغل لمضايقة غير الشيعة ، أو الإتيان بأمور لا تليق ، مثلما كان يحدث في عيد عاشوراء ، فقد كانت النساء تخرجن جماعات في الشوارع للبكاء والنوح على الحسين ، وكان بعض الناس تمتد أيديهم إلى أمتعة الباعة ؛ فمنع الحاكم المرور في الشوارع في هذه الذكرى ، وأن يكون الاحتفال بها في الصحراء ، كما منع القراء من إلزام الناس بالقراءة على الحسين ، وعاقب بعضهم بسبب ذلك (٧٩) .

ولا بد لنا أن نقر أنه على الرغم من حماس الحاكم لمذهبه ؛ فهو لم يجبر أحداً على اعتناقه ، أو أنه تعصب ضد المذاهب الأخرى . فيقول الحاكم نفسه : « إن كل واحد حر في اختيار مذهبه ، وأن يظهر ما في ضميره » (٨٠) ، ويروي المقرئ أن الحاكم جعل المالكية يدرسون مذهبهم بدار الحكمة ، وأعتبر ذلك من المحاسن الماثورة للحاكم (٨١) . ويؤيد بعد الحاكم عن التعصب وتسامحه الجرم ، تعيينه في رئاسة القضاء بمصر وبلاد الخلافة قاضياً سنياً ، هو ابن أبي العوام ، الذي استمر في القضاء من سنة ٤٠٥ / ١٠١٤ ، إلى آخر حكم الحاكم في ٤١١ / ١٠٢٠ . وحينما قال الناس له : « إنه ليس على مذهبك ، ولا على مذهب من سلف من آبائك » ، قال : « هو ثقة مأمون مصري عارف بالقضاء وبأهل البلد ، وما في المصريين من يصلح لهذا الأمر غيره » ؛ وكان الحاكم لا يهجم مذهب قاضيه ، بقدر ما يهجمه أن يكون قاضيه مأموناً وثقة (٨٢) .

كذلك سمعنا زمن الحاكم أن فقهاء مالكية وشافعية ، قد تولوا القضاء (٨٢) .
وقد لاحظ القلقشندي ذلك ؛ فقال : « إن مذهبي مالك والشافعي ظاهرى
الشعار فى زمن الفاطميين » . ومع ذلك كان الفاطميون يراعون مذهب مالك ،
أكثر من رعايتهم مذهب الشافعي ، ومن سألم الحكم به أجابوه (٨٤) ، ربما
لأنهم عرفوه من قبل بالمغرب ، أو لوجودوا للمذهب الشافعي منافساً
ويضعفوه ، إذ كان المذهب الشافعي مذهب غالبية المصريين .

وثمة أيضاً ما يدل على تسامح الحاكم ، وهو منعه سب أعداء المذهب جرياً
على سنة آبائه الحميدة فى ذلك ؛ ولم يعامل أعداءه بالمثل ؛ الذين كانوا يلعنون
عليّاً من على منابرهم ، لاسيما العباسون فى العراق والأمويون فى الأندلس .
فحينما جاء المعز مصر ، لم يلعن لأعنيه ، وإنما كتب على سائر الأماكن بمدينة
مصر : « خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين على ابن
أبي طالب عليه السلام (٨٥) » ؛ كما لم نسمع بأن العزيز هو الآخر أمر باللعن .
ولكن لما أقبل كثير من المصريين على دعوة التشيع زمن الحاكم ، وتركوا
المذهب السنى ، أخذ بعضهم من أنفسهم يظنون سب من تقدم على على ،
ومن خالفه وحاربه وبأينه ، وهم من اصطح على تسميتهم بالصحابة والسلف .
فجهروا بلعنهم على المنابر ، وكتبوا سبهم على الحوائط ، وسموهم بأسمائهم ،
وهم : عائشة زوجة النبي التى حاربت عليّاً فى موقعة الجمل ، وأبو بكر وعمر
وعثمان وكل منهم منع عليّاً من الخلافة ، وطلحة والزبير اللذان حاربا عليّاً
فى موقعة الجمل مع عائشة ، والخليفة معاوية وواليه عمرو بن العاص ، وغيرهم
من سائر خلفاء بنى العباس (٨٦) . ويؤيد المقرئى ذلك بقوله : إن هذا اللعن
كان من رأى جماعة المصريين ، الذين كتبوه بالأصباغ فى سائر المواضع
على أبواب الحوانيت والبيوت وسائر المساجد ، وعلى المقابر أو حتى

في الصحراء مبالغة . والواقع أن الحاكم لم يكن مسئولاً عن لعن السلف وسبهم في عهده ، وعلى النقيض كان يأمر بمحوه ، ويؤدب بالعقاب من يسبهم إلى حد قتله (٨٧) . وينقل عن الحاكم قوله : « لا يسب السلف لقول بعض آياته الأئمة - في وصيته لشيعة - ولا تكونوا سبائين ولا عيايين » . ولدينا سجل أصدره الحاكم ، ليقرأ في كل مكان على جميع الناس ، في رمضان ٣٩٨ / يونيو - يوليو ١٠٠١ ، يظهر فيه منع الحاكم سب السلف ، وها هو نصه (٨٨) :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله ووليه أبي عليّ الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى كل

حاضر وباد .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين ،

(لا إكراه في الدين) . مضى أمس بما فيه ، وجاء اليوم بما يقتضيه .

الصلاح والإصلاح بين الناس أصلح ، والفساد والإفساد بينهم مستقبح ؛

إلا من شهد الشهادتين أحق أن لا تنفك له عروة ، ولا توهن له قوة . يحي

على خير العمل يؤذن المؤذنون ولا يؤذنون ، ويخمس الخمسون ، ويربع

المربعون في الصلاة على الجنائز ، ولا يعترض أهل الروية فيما هم عليه

صائمون ، ولا يشتم السلف ، ولا يبغى الخالف على من قبله خلف . تلك أمة

قد خلت ، لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون .

معشر المؤمنين ، نحن الأئمة ، وأنتم الأمة ، عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل

إذا اهتديتم ، إلى الله مرجعكم جميعاً ، فينبئكم بما كنتم تعملون .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على رسوله سيدنا محمد وآله

الأكرمين .

حقاً إن الحاكم في وقت ما ، قد يكون بدا عليه تعصب ضد السنة ، فإن
تعصبه — في رأينا — كان في فترات متقطعة ، مما يجعلنا نظن بأنه كان
لأسباب سياسة عليا ، ولا سيما في الفترة التي غزا فيها المغامر أبو ركوّة المالكي
الماذهب مصر ، بحيث أنه لما طالب ابن باديس — والى الفاطميين على المغرب —
من الحاكم أن يعدل عن اضطهاده للمالكية ، عدل عن ذلك مباشرة (٨٩) ،
وربما يكون أيضاً بسبب رد الفعل من جانبه لإرضاء تعصب الشيعة ، الذي
لمستناه في سب السلف ، ويجب أن نذكر أن مؤرخي السنة ، لم يذكروا عن
تعصب الحاكم غير روايات معدودة ، مثل قتله بعض فقهاء المالكية (٩٠) .
— ولم يذكروا أنه قتل فقهاء من الشافعية — ، وقبضه على ثلاثة عشر رجلاً ،
وخص بهم والشهير بهم — دون قتلهم هذه المرة — من أجل عمالاتهم الضعيفة ،
وقتل رجلاً أذكر أنه يعرف علياً ، وإن لم يقتله — على حسب قولهم —
إلا بعد أن أرسل إليه أربعة شعور ، ووسيطه ، وقاضي القضاة ، فلم يقبل الرجل
— مع ذلك — التصرف على علي (٩١) . ومن قبل ذكر مؤرخي السنة
هذه الروايات عن تعصب العزيز ، الذي ضرب رجلاً وطيف به ، لأنه وجد
عنده كتاب الموطأ للمالك (٩٢) ، وعن الظاهر بن الحاكم ، الذي أخرج هو
الآخر من مصر فقهاء المالكية وغيرهم (٩٣) . مهما يكن ، فإن الحاكم وإن كان
قد تعصب وقتاً ضد السنة ، فإنه لم يكن يستطيع أن يستمر في تعصبه ، بسبب
أن أغلبية رعيته في مصر والبلاد التابعة لها ، كانوا من السنة .

كذلك أخذ هذا الخليفة ، الذي كان الدين يملك عليه كل حواسه ، على
عاقته أن يقوم بالحسبة ، وهي اصطلاح إسلامي يعني في أساسه : الأمر
بالمعروف عند ما يكون مهملًا ، والنهي عن المنكر عند ما يكون علناً ؛ وإن

تحولت هذه الأصول المثالية إلى واجبات عملية إجتماعية وخلقية ، تنفق والمصالح العامة لسكان المدن^(٩٤) . يضاف إلى ذلك أن الحاكم اعتبر الحسبة في عموم واجبات الإمام ، بناء على ما نقل عن عليّ من قول النبي له : « يا علي ، مر بالمعروف وأنه عن المنكر^(٩٥) » .

فعمل الحاكم على أن يخضع أمور الحياة في مملكته للنص الحرفي لهذه القاعدة الدينية المثالية ؛ فكانت هذه المراسيم والأوامر التي صدرت في عهده ، وأطلق عليها سجالات^(٩٦) . وقد حاول المؤرخون السنة وغيرهم من أعداء المذهب الشيعي ، السخرية من هذه الأوامر ، ورموه بسببها بالخلل في العقل والجنون ، فقد كان - في رأيهم - يأمر بالشئ ثم ينهى عنه ، وعللوا بها مرض « المالنخوليا » ، الذي أصيب به في حادثته ، فكان يصاب بالتشنج ، وأنه شفى منه ، ثم عاد إليه^(٩٧) . ولكن في رأينا أن هذه المراسيم ، إذا فسرت تفسيراً دقيقاً في ظروف المجتمع الذي عاش الحاكم فيه ، نجدتها تنفق جميعاً وقاعدة الحسبة ، فضلاً عن أنها تدل على وعي كبير لشئون الحياة في زمنه ، وتدين بالغ .

ولأهمية دور الحسبة في حياة المسلمين ، كان الحاكم يقوم بنفسه بتنفيذ واجباتها^(٩٨) ، أو يكفلها إلى موظف كبير يُسمى المحتسب يختاره بعناية^(٩٩) ، أو يكفلها لقاضي القضاة^(١٠٠) . وكذلك كان الحاكم يتشدد في توقيع عقوبات الحسبة على المخالفين ، وهو ما عُرِفَ اصطلاحاً بالتعزير ؛ وهي : الردع بحذف الشئ المخالف ، والجلد بالسوط أو بالدرة ، والتشهير بالطواف في المدينة^(١٠١) .

فقد راقب الحاكم مراقبة دقيقة التجار وأصحاب الحرف والصناعات لمنع الغش ، وكان يعاقب المخالف عقاباً صارماً . ورعاية للمصالح العام ،

كان يصدر عدة أوامر - من وقت لآخر - على حسب الأحوال بمنع أكل وبيع بعض المأكولات ، التي ربما ترتبت عليها مضار صحية ، وأمراض في عصره ؛ فمنع الناس من أكل وبيع الملوخيا (الملوخية) ، والجرجير ، والقرع ، والتوكاية (المتوكاية) وهي نبات للحساء ، والدليس وهو نوع من الصدف « أم منخلول » يؤكل نيئاً مملوحاً ، والترمس العفن ، كما أمر بقتل الخنازير ، ومنع عجين الدقيق بالرجل (١٠٢) ؛ لنفس المقصد . ولكن إصدار هذه الأوامر على الخصوص ، وتعزير مخالفيها ، أثارت سخرية عدد كبير من المؤرخين ، فرموه باضطراب الذهن ، كما أن البعض فسرها على أنها تعصب مذهبي ، إذ إن بعض هذه المأكولات كانت محببة لأعداء الفاطميين على حسب قولهم ؛ فالملوخيا كان معاوية يحبها كثيراً ، والجرجير يُنسب إدخاله في الطعام لعائشة ، والمتوكاية تنسب إلى الخليفة العباسي المتوكل . ولكننا لا نرى في هذه الأوامر مطعناً وداعياً للسخرية ، ذلك لأنها بخصوص مأكولات قد يترتب عليها مضار حتى في وقتنا ، كما ينفي التعصب عن الحاكم ما قلناه سابقاً ، وأنه لم ترد إلينا من المعترضين - إذا كانوا جادين - تفاصيل عن بقية الممنوعات الأخرى مثل الخنزير والدليس والقرع والترمس العفن مثلاً ؛ فضلاً عن أنه لم يتأيد بروايات متقدمة ، أن أعداء الشيعة كانوا يحبون هذه المأكولات .

وكذلك كانت الواجبات الأخلاقية ، من عمل الحاكم البارز في الحسبة ؛ مما جعل الحياة في مصر والقاهرة في عهده ، يتأبها تغيير لم يحدث من قبل . فنعرف أن الدولة الفاطمية منذ مجيئها مصر ؛ لكي تجتذب المصريين إلى جانبها ، بالغت في ترك الحرية لهم ، بتناول حياتهم كما يريدون . فكان

المصريون مع إسلامهم يشربون الخمر مثل النصارى ، وهي التي تعودوا عليها منذ زمن الفراعنة : فندم أن مصر اشتهرت بصنع البيرة المسماة « الفقع » ، والنيذ المسمى « المزر » (١٠٣) . وأكثرت من ذلك ، أن الحاكم لما أمر بإضاعة الشوارع والأسواق والحوانيت والجمال بمصر والقاهرة ليلاً - وكان ذلك لا يعمل قبلاً - بقصد زيادة حركة البلد المعيشية ؛ بحيث كان الناس يدعون له لاتساع أرزاقهم ؛ إلا أنهم بالغوا في السرور في نفس الوقت ، وخرجت النساء في الطرقات ، وكان الناس يشربون الخمر في الشوارع والحوانيت (١٠٤) . كذلك كانت بيوت الفساد والفسور تملأ أسماء المملكة (١٠٥) ؛ وانغمس الناس في الإباحية .

فوجد الحاكم يعمل على أن يجبر الناس على أن يضعوا حداً طناً الخمر ؛ فقرر من الأوامر الرادعة ما يصون الأخلاق المهددة . فبأمر بحسنه فحين الذي كان رئيس شرطته أيضاً - بمنع شرب الخمر وحصنه ، وتبضع السكرى . ولكن الناس شربوها في السر ؛ فما كان من الحاكم إلا أن حرم كل ما يدخل في صناعة الخمر ؛ فقطعت كروم العينة ، وبلغ ما قطعه منها مائة ألف كرم ، وديس العنب في الطرقات تحت أرجل البقر ، وخرق في بعضه في النيل ، كما كسرت جزار الصبل ودفناتها ، وبلغ ما أراقه منها خمسة آلاف جرة في أربعة أيام ، ونهى التجار عن بيع الزيت (١٠٦) . ولما تغلظ أسعد التجار من كسر جزار حسله ، مع أنه لا يحيلها إلى خمر ؛ أمر الحاكم فوراً بأن يرد إلى التاجر ثمن ما كسر من الجزار ؛ وأخذ عليه تعهداً ألا يحولها إلى خمر (١٠٧) . وبعد ذلك ، خفف الحاكم من شدة أوامره ، فأباح بيع العنب إلى أربعة أرتال والعمل إلى ثلاثة أرتال (١٠٨) ؛ وإن أدام أوامره المشددة في تحريم الخمر ؛ فسكان يقيم الحد على من يشربها ،

ولو في الستر (١٠٦) . ومع ذلك فإن بعض المؤرخين ، الذين دأبوا على
السخرية من أوامر الحاكم وتأويلها تأويلاً سيئاً ، ادعوا أنه لم يحرم الخمر
تديناً منه ؛ وإنما لأنه كان يؤثر عن جده عليّ كرهه لشرب الفخاخ (١١٠) .

كذلك صوناً للأخلاق المهددة نظم الحاكم دخول الحمامات ؛ التي
انتشرت في مدن الإسلام انتشار المساجد لعلاقتها بالوضوء ؛ ولما كانت
تحولت في زمنه إلى مواخير ؛ لإهمال الحكام شؤون الحسبة . فمنع الحاكم
دخول الناس إليها عرايا بدون منور ، ومنع اختلاط الرجال والنساء فيها ؛
فهو جنت وأخذ من كانوا بغير مأذون وأدبوا (١١١) . ومع ذلك ، لم يكن
الحاكم أول من فعل ذلك ؛ فالفقهاء من قبل وضعوا قيوداً لدخول الحمامات ،
ونظموها ، وجعلوا بعضها للرجال ، وبعضها للنساء .

وقد ضرب الحاكم بيد من حديد على العناصر الفاسدة في مملكته ،
ووضع حداً للسر . فأصدر أوامره بإزالة المراضع التي كانت لأهل الفساد
والفجور في مملكته (١١٢) ؛ كما تتبع النساء العابثات ، واستقصى أسرارهن ؛
وجوز عجايز يظفن البيوت ، يستعلن عنهن (١١٣) . ومنع النساء وأسرهن
الآلاته ، وكاد ينفي المضيق ويحرم من أصحاب الملاهي ، لولا أنهم تعهدوا
بالإيعود إلى مهنتهم ؛ فتركهم أسراراً (١١٤) . وكذلك منع الناس من
الجلوس في المقاصي « والسرقات » ؛ ليشرىوا فيها الخمر (١١٥) ، أو يشرى بها
للصعراء الرخص والنساء على عاداتهم ، ومنع لعب الشطرنج (١١٦) . فكأنه
كان شديد الرغبة في أن يتحول شعبه عن اللهو كامية ، إلى العمل النافع ؛
وهذه عقابية سبقت عصرها ولا ريب .

وفوق ذلك ، نسمع لأول مرة في التاريخ عن إصدار أوامر ترمي إلى
وضع حد لسفور النساء منعاً للفتنة ، بما يدل على حمية نادرة ، لا تقف عند

نساءه ، وإنما تشمل نساء رعاياه أيضاً . بيد أن أعداءه شوها حقيقة تصرفه نحو النساء أيضاً ، وأرجعوها إلى عقدة في نفسه ، ناشئة عن شغفه بالنسكاح^(١١٧) ؛ مما يجعله يميل إلى تعذيبهن ؛ فكأنه سبق بتصرفه الساديزم « Sadisme » ، الذي عُرف بفرنسا . وكذلك رددوا كعادتهم بتحويل كبير روايات مبالغاً فيها عن تعذيبه للنساء ، منها : أنه مر يوماً بحمام بمصر للنساء ، فسمع به ضجيجهن ، فأمر بأن يسد عليهن باب الحمام ، فسدوه عليهن من وقته بالحجر ، حتى ماتن جميعهن في الحمام ؛ كما أنه لغير سبب غرق بعضهن في صناديق اتخذها لهن سممت عليهن ، وثقلت بحجارة وألقيت في النيل^(١١٨) . ولكننا نرى تصرفه نحو النساء راجعاً على الخصوص إلى غلوهم في الفساد ، وهو ما لم يكن يرضى عنه رجل متدين مثله ، فلا ننسى أن زمنه زمن عصور وسطى ، حيث نظام الحريم والجوارى . وما ينبى عن الحاكم العقدة النفسية نحو النساء ، زهده فيهن ، بحيث أنه أخرج من قصره حظايا وأمهات أولاده ، كما ذكرنا .

وقد كان تصرف الحاكم نحوهم متدرجاً — كما هو شأنه دائماً — مما يدل على أنه كان يريد لهن النصيحة أولاً ، صيانة لهن . ففي أول الأمر منعهم من الخروج في الليل^(١١٩) ، وكشف وجوههم وراء الجناز ، وخروج النوائح بالطبل والزمر على الميت^(١٢٠) . ولما لم يرتدعن ، أصدر أوامره بمنعهم من الخروج نهائياً ، وليعوقهن عن ذلك منع الخفافين من عمل الأختاف لهن ؛ كما منعهم من النظر من الطاقات أو الأسطح ، وقد استمر منعهم من ١٠١٣/٤٠٤ ، إلى وقت خلافة الظاهر في ١٠٢٠/٤١١ ؛ أى حوالى سبع سنوات^(١٢١) . وقد شككت النساء اللاتي لارجال لهن ، فأمر الحاكم الباعة أن يحملوا كل ما يباع في الأسراق إلى الدروب ، وأمر من يبيع لهن

أن يكون معه شبه المغرقة بساعد طويل ، يمدّه إلى المرأة وهو من وراء الباب ، وفيها ما تشتريه ، فإذا رضيته وضعت الثمن في المغرقة ، وأخذت ما فيها ؛ لتلا يراها (١٢٢) . ومع ذلك لم تكن منعه النساء من الخروج كلية ؛ فإذا دعت الضرورة إلى حضور قابلة لمن تلد ، أو غاسلة لمن تموت ، أو رغبت امرأة في السفر ، وتضطر إلى الخروج من منزلها ، استئذنت في ذلك ، برفع رقعته إليه ، فيوقع على ظهرها بخطه إلى صاحب الشرطة (١٢٣) . فكانت المرأة التي تخرج بغير إذن تؤدب عن طريق صاحب الشرطة (١٢٤) ؛ بما جعل النساء يلزمن حذرهن في زمنه .

وفي عهد الحاكم ، كانت مراقبة أهل الذمة ، ضمن واجبات الحسبة ، لإظهار ما في الإسلام من العزة . ومنذ عمر بن الخطاب ، الذي وضع لأهل الذمة شروطاً ، تنظم تصرفاتهم في المجتمع الإسلامي ، عُرفت بالشروط العمّرية ؛ لم يكن أغلب حكام المسلمين يلجأون إلى هذه الشروط ، إلا في حالات الاضطهاد والحروب . لذلك أعتبر أهل الذمة رجوع الحاكم إلى هذه الشروط ، وزيادة عليها (١٢٥) ، امتحاناً لهم من قبل الله ، يذكرهم بما عانوه في عهود الاضطهاد السابقة (١٢٦) .

وأكبر الظن أن رجوع الحاكم إلى الشروط العمّرية ، يرجع إلى أن أهل الذمة كانوا قد اشتد بأسهم بين المسلمين ، منذ أن تمكنوا في الدولة الفاطمية أيام العزيز (١٢٧) . وقد نسب إلى الحاكم أفعال ظالمة كثيرة ، نحو أهل الذمة ، مع أنها من أفعال رعاياه المسلمين المتعصبين ، وهو يرى منها . ولا ريب ، ففي ذلك الوقت ، كان الشعب المصري في فترة قلق ، يغير دينه من النصرانية ويتحول إلى الإسلام . فينقل المؤرخون ديالوجاً بين مصري

أسلم ، وآخر لم يُسلم ، فن قوله : « أكرم الصليب ، وادخل في الدين الواسع » ، كما أن المسلمين كانوا يهينون النصارى ويشتمونهم ، ويصطنون في وجوههم (١٢٨) . وعلى النقيض ، كان الحاكم ينكر كثيراً من أفعال المسلمين المتعصبين ضد رعاياه من أهل الذمة (١٢٩) .

ومع ذلك ، فإننا نلاحظ أن الحاكم كان أشد وطأة على القبط الملككانية دون بقية أهل الذمة . فنعرف أن القبط في مصر طوائف مختلفة ، منها (١٣٠) : الملككانية على مذهب بيزنطة (الروم) ؛ ولذلك كانت تعرف باسم ملككانية الروم أيضاً (١٣١) ، والنسطورية واليعقوبية ، وكلاهما له كنيسة مستقلة عن بيزنطة ، لا سيما اليعقوبية أو الأرثوذكسية ملة غالبية قبط مصر ، التي ظهرت لها كنيسة مستقلة منذ عهد جستنيان . ومع أن المعز لم يتعصب لطائفة من القبط على أخرى إلا أن نفوذ الملككانية كان قد ازداد في عهد العزيز ؛ بسبب زواجه من نصرانية ملككانية ، أنجبت له سيدة الملك أخت الحاكم ، بحيث أن العزيز عين أخوها في أعلى مناصب الكنيسة : فحين أريستس بطريركاً على بيت المقدس ، والآخر أرسانيوس (أساميس أو أرسافوس) ، بطريركاً على القاهرة ومصر . ومنذ ذلك الوقت واستبدت طائفة الملككانية في البلاد ، وحتى بطائفة الأرثوذكس المسيحية (١٣٢) . وربما كانت وطأة الحاكم على طائفة الملككانية بالذات ، بسبب الحرب الشديدة بين الفاطميين والروم ، وربما لرغبته في إبعاد الفطن بمخاطباتها ، بسبب قرابة أخته سيدة الملك . على العموم قام الحاكم بتنفيذ الشروط العميرية مع أهل الذمة ، وإن استثنى منهم استيابة (١٣٣) ، وهم يهود أصلهم من نجير وما يجاورها — الذين كان عمر نقلهم من الجزيرة إلى مصر — وذلك جرياً على السنة الأولى منذ أيام النبي . فأصدر الحاكم الأمر إلى أهل الذمة بالتميز عن المسلمين بعلامات

خاصة عرفت بالغيار (١٢٤) ، بوضع زنا نير ملونة جلها أسود حول أوساطهم .
ولبس العائم السود على رؤوسهم ، وتلفيعات سوداء « طيالس » — وذلك
لأن اللون الأسود هو شعار أعدائهم العباسيين — وجعل القبط يحملون
صلباناً واليهود يحملون الخشب إشارة إلى رأس العجل ، ومنعهم من ركوب
الخيل ، وركوب البغال والحير ، بركب من خشب وسروج ولجم من سير
سود غير محلاة بفضة ، وأمرهم أن يتميزوا في الحمامات عن المسلمين ، ثم
أفرد لهم الحمامات على حدة . ولكن أهل الذمة في أغلبهم نزعوا الغيار ،
وتشبهوا بالمسلمين ؛ حتى لا يُعرفوا (١٢٥) .

كذلك راقب الحاكم مسلك أهل الذمة في أعيادهم ؛ التي جروا على
الاحتفال بها ، منذ زمن ولاية العباسيين . فقد كان الولاة العباسيون يطلقون
لأهل الذمة حرية الاحتفال بأعيادهم ، ويحضرون بعضها بأنفسهم ؛ مثلما
فعل الأخشيد محمد بن طنج في ٣٣٠ / ٩٤١ ، الذي حضر عيد الغطاس —
وهو ذكرى تعميد المسيح بفلسطين — وأمر بإسراج ألف مشعل على
شاطئ النيل (١٢٦) . ولما جاء المعز ألغى الاحتفال بأعياد أهل الذمة ، فألغى
احتفال الغطاس والنوروز (النيروز) — عيد رأس السنة القبطية —
وهدد بالشنق من يخالف أمره (١٢٧) ، ربما إرضاءً للمتعصبين من المسلمين .
ولكن في عهد العزيز ، الذي تزوج من نصرانية ، عاد النصارى إلى
الاحتفال بأعيادهم بحرية ، كما أُسِّمِح للمسلمين بمشاركتهم فرحهم فيها ،
وكانت الدولة تطلق المأكولات والملابس للموظفين من أهل الذمة
والمسلمين ؛ زيادة في الابتهاج . وقد انتهز أهل الذمة هذه الحرية ، فأظهروا
شعائرهم بطريقة صارخة ، ففي ليلة الغطاس أو ما يعرف أيضاً بليلة الجيم ؛
كان القبط المِلِكانية ، يخرجون من كنيستهم ، ويسرون في الشوارع

يقرأون بتلحينات ومعهم الصليبان المشهورة ، والشموع الموقدة ، فإذا وصل
الموكب إلى شاطئ النيل ، الذي أسرج بالمشاعل ؛ صلّوا و قدسوا ، ووقف
الأسقف وخطب بالعربي في هذه الذكرى ، ودعا للسلطان . ثم بعد ذلك ،
يغطس القبط في النيل ، حتى يتطهروا ويبعدوا عنهم المرض ، وكان المسلمون
يغطسون معهم ؛ وتكثر الزوارق ، ويبالغ الناس في الأكل والمشرب ،
والعزف والقصف . وقد كان لأهل المذاهب المسيحية الأخرى في هذا
العيد وغيره شأن كبير ، على حسب ملاحظة يحيى الأنطاكي . فتجد الحاكم
يخرج رئيس شرطته في موكب كبير ، وينادي في الناس ألا يختلط المسلمون
والنصارى ، كما كان يحضر بنفسه ليتأكد من تنفيذ أوامره (١٣٨) .

ولكن الحاكم غضب على أهل الذمة ؛ لرفضهم إطاعة أوامره بلبس
الغيار ، وتشبههم بالمسلمين (١٣٩) . فنادى بينهم أن يلتزموا بما أمر ، أو يسلبوا ،
أو يخرجوا عن ملكته ، وخبرهم في الهجرة إلى بلاد الروم أو الحبش
أو النوبة (١٤٠) ؛ فكان ما أمر به أشبه بما كان ينادى به قواد الفتوح
في العصر الإسلامي الأول . وزاد الحاكم غضباً من أهل الذمة ، أن نصارى
كنيسة القيامة أو قمامة ؛ التي دفن بها المسيح ببيت المقدس ، عملوا على فتنه
المسلمين عن دينهم ؛ فقد كانوا أثناء صلاتهم ، وترديدهم كير يا ليسون
Kyrie elison ، يطلقون في السماء نارا مخبأة ، ويعطونها عطراً خاصاً ،
مظهرياً أنها نور ينزل من السماء ؛ لكي يقنعوا الناس بحقيقة دينهم (١٤١) .
ولما كان الحاكم لا يملك نفسه إذا غضب (١٤٢) ؛ اتخذ نحو أهل الذمة ، قوانين
صارمة لم تعرف قبلاً ، خاصة منذ حوالي سنة ٤٠٠ / ١٠١٠ ، واستمرت إلى
آخر حكمه ، فزاد بها على الشروط العمومية .

فجعل النصارى يحملون صلباناً ثقيلة ؛ فبعد أن كانت طولها شبراً ، جعلها

ذراعاً ونصفاً ، زنتها خمسة أرتال ، وختمها بالرصاص ، أما اليهود فجعلهم يلبسون الزنار ويحملون الخشب الثقيل . كذلك منع النصارى من تقديم النيذ في قرايبتهم ، وصاروا يقربون عوضاً عن الخمر ماء ، قد نقع فيه زبيب أو عود الكرم . ثم أمر النصارى بالألّا يُظهروا صليباً أو يدقوا ناقوساً ، وُنزعت الصلبان والنواقيس ؛ بل أمر بأن يمحو الناس الصلبان المرسومة على أيدي الناس وسواعدهم^(١٤٤) ، كما منع أهل الذمة من التظاهر بالأعياد^(١٤٤) . وفوق ذلك ، منع سفر الأساقفة المصريين إلى النوبة أو الحبشة ، أو حتى مكاتبة ملوكهما ؛ حتى بلغ من قلة أساقفة هذه البلاد ، أن قفلت كنائسها أبوابها^(١٤٥) .

وأكثر من ذلك ، أمر بهدم الكنائس والبيع والأديرة في مصر وذلك منذ سنة ٤٠٣ / ١٠١٢^(١٤٦) ؛ وصادر أملاكها التي كانت عبارة عن ضياع ومزارع وقياسر وحمامات وحوانيت ونخيل وبساتين وشجر مشر^(١٤٧) وكان بينى موضع بعض الكنائس مساجد ، كما أسكن المسلمين بيوت الرهبان^(١٤٨) . وفي الوقت نفسه احتاط على كل ما وجدته في الكنائس والأديرة ، وجعله ملك الدولة « الديوان » ، أو باع بعضه لقلّة الأموال وكثرة الحروب^(١٤٩) ، كما وهب كثيراً منه لعسكره . ويبدو أن العوام المسلمين ، انتهزوا هذه الأوامر ؛ فكانوا يأتون بأمور فظيعة لم تشاهد من قبل ، مثل أنهم كانوا يدخلون الأديرة ومقابر النصارى ، ويأخذون توابيت الموتى ، ويحرقون الكتب فيها ، ولكن الحاكم أنكر فعل ذلك ، وأمر بالكف عنه^(١٥٠) .

أما خارج مصر في أنحاء مملكته ؛ فلا يبدو أنه هدم كنائسها وبيعها ؛ فيما عدا كنيسة القيامة المقدسة ، التي يحج إليها النصارى ، وكانت

أشبه بالكعبة بالنسبة للمسلمين : فقد أصدر بخصوصها سجلاً إلى واليه على القدس ، كتبه أحد قبط مصر ؛ جاء فيه : « أمر الإمامة إليك بهدم قمامة ، فاجعل سماءها أرضاً ، وطولها عرضاً » ؛ فهدمت ، وإن بقيت بعض أجزائها وقد تعذر هدمها (١٥١) . وهذه الكنيسة قد يكون هدمها ؛ بسبب أن ملك الروم هدم جامع القسطنطينية ، وهو الذي لن يعاد بناءه إلا في عهد الظاهر ، خلف الحاكم (١٥٢) . أما بقية الكنائس ، فلدينا سجل بمنحها الأمان ، حتى في بيت المقدس نفسه (١٥٣) ، كما أنه لم يصادر غير أوقاف كنائس مصر وحدها ؛ وهي التي جعلها باسمه (١٥٤) .

وقد بولغ في عدد ما هدمه الحاكم من كنائس وأديرة ، مثلما يذكر ابن تغرى بردى ؛ بأنه لم يبق في مملكته دير ولا كنيسة إلا هدمها (١٥٥) . وعلى النقيض ، يقول المقرئ إن الحاكم لم يهدم غير كنائس وأديرة ملكانية - للروم - بلغ عددها ثلاثين ألف ، إلى آخر سنة ٤٠٥ / ١٠١٥ (١٥٦) . ومع ذلك ، فقد نجا من الكنائس والأديرة عدد كبير ، مثل دير طور سيناء المملكانى الذى تمكن شيخه من حفظه بالحيلة (١٥٧) ؛ كما تذكر وثيقة مخطوطة بالفاتيكان عن كنائس وأديرة لم تهدم بالصعيد (١٥٨) . ولا شك في أن الحاكم ، لم يهدم كل الكنائس ؛ خوفاً على المساجد التي في بلاد النصارى ؛ لا سيما في الحبشة والنوبة (١٥٩) ؛ اللذين كانا بهما عدد كبير من المسلمين .

ومما يؤيد أن الحاكم لم يكن ينظر إلا للبهادى وحدها ؛ أنه لما سمع بأن بعض النصارى يتسللون سراً عن البلاد ، ويبذلون المال إلى أصحاب المراكز والطرق ، حتى يطلقوهم ، فإنه لم يرض أن تكون هجرة هؤلاء النصارى إلا باختيارهم ؛ فأصدر سجلاً إلى سائر عماله في أن تكون هجرتهم

بأهلهم وأموالهم وما تحويه أيديهم ، والتصرف في ذلك على حسب اختيارهم ، من غير إكراه . فانتقل جماعة من النصارى بالشام ومصر ؛ ولا سيما من المملكانية الذين صب الحاكم عليهم جام غضبه ؛ بعد أن باعوا أملاكهم ، فلم يعترض عليهم الحاكم ، ولا فتش عليهم (١٦٠) . وعلى النقيض أجبر الحاكم جماعة من الروم (اليونان) على الهجرة ، وقد كانوا يعملون في قصره أو في جيشه ؛ حتى كانت لهم حارة خاصة بهم تعرف بحارة الروم ؛ وكان من قبل قد أخرجهم من حارتهم ، وهدم منازلهم وكنائسهم (١٦١) . فمن المؤكد أن الحاكم أراد أن يتخلص من هؤلاء ؛ بسبب العداء القائم بين الروم والمسلمين .

وقد وصلتنا روايات عن تعذيب الحاكم لأهل الذمة بقصد تحويلهم إلى الإسلام ، معظمها صادر عن كتب نصرانية ؛ همها أن تظهر النصارى بمظهر الشهداء ، دون أن تبرز الحقيقة . فنحن لا نرى أن قسوة الحاكم مع كتاب القبط في دواوينه - حتى أنه ضرب أحد مقدميهم ألف سوط إلى أن مات ، وبعد موته مائة ألف سوط (١٦٢) - كانت بقصد تحويلهم إلى الإسلام ، بقدر ما ترجع إلى سوء تصرف القبط في الدواوين ، واستبدادهم بالمسلمين ؛ وبما ينفي عن الحاكم قصده تحويلهم إلى الإسلام ، هو بقاء القبط يعملون في الدواوين وفي قصره طول عهده ، محتفظين بديانتهم ، ويمتحنون الألقاب مثل المسلمين (١٦٣) . أما عن اليهود ، فقد وردت عنهم روايات مضطربة ؛ فأحدها تقول إنه أفرد لهم حارة زويئلة - على اسم بلدة أو قبيلة مغربية - وأمرهم أن يسكنوها ، ولا يتخالطوا المسلمين في حاراتهم ، ولما أصدر أوامره بلبس الخيار ، أو الإسلام أو الهجرة ؛ فإنهم أسلموا ولم يمسه بسوء (١٦٤) . ولكن رواية أخرى تقول : إنه أسكنهم

في حارة اسمها الجودرية - على اسم جوذر خادم المهدي - ثم أحرقهم فيها ليلاً ، بسبب أنهم كانوا يهزأون بالمسلمين (١٦٥) .

وفوق ذلك ، نقلت إلينا الكتب النصرانية روايات غير واضحة عن اضطهاد الحاكم لرؤساء الملكانية واليعقوبية . فمثلاً بشأن أرسانيوس بطريك القبط الملكانية ، ونخال سيدة الملك أخت الحاكم ، فإن الرواية تقول باقتضاب إنه قُتل سراً ، دون أن يثبت أن الحاكم قاتله ، وقد بقي منصب بطريك الملكانية شاغراً طول عهد الحاكم (١٦٦) . أما بشأن زخاريوس - زخريس - البطريرك الرابع والستين من بطاركة القبط اليعقوبيين . فإن الرواية تبين أن اعتقال الحاكم له ، لم يكن بقصد تحويله إلى الإسلام ؛ وإنما بناء على تحريض راهب اسمه يونس ، أراد أن ينال إحدى الأسقفيات ، وكان هذا البطريرك رفضها له ؛ فقابل يونس الحاكم وحرضه على البطريرك ، بقوله : « أنت ملك الأرض ، ولكن للنصارى ملك لا يعياً بك لكثرة ما قد اكتنزه من الأموال الجزيلة » . فغضب الحاكم على البطريرك اليعقوبي ، ورماه في السجن ، وكان يلقي به إلى السباع ، ولكنها في كل مرة ارتدت عنه وهي هادئة ؛ فكان الراهب يدخل على البطريرك في سجنه ويتشفي فيه ؛ كما أن سجيناً مسلماً كان يحض البطريرك على الإسلام . وبعد ثلاثة شهور ، أطلق الحاكم سراح البطريرك بناء على تدخل أحد الأعراب المقربين للحاكم ؛ فخرج البطريرك من سجنه ، وعاش في أحد أديرة الصعيد ، وبقي فيه تسع سنوات (١٦٧) .

مهما يكن ، فإن الحاكم في آخر سنة من حكمه عدل عما زاده على الشروط العميرية ، واكتفى من أهل الذمة بلبس الغيار (١٦٨) ، وهي العلامة المميزة . فاصدر سجلات متفرقة ، يأمر فيها بإعادة بناء الكنائس ، ورد أوقافها (١٦٩) .

كذلك أُعيد بناء كنيسة القيامة المقدسة (١٧٠) ، وإن قيل إن ابنه الظاهر هو الذي وافق على ترميمها ، بناء على معاهدة وقعها مع قسطنطين الثامن ملك الروم (١٧١) ، أو أن حفيده المستنصر هو الذي أعاد بناءها ، بعد أن عرض عليه ملك الروم رومانوس ، أن يطلق خمسة آلاف أسير نصراني ، لقاء بنائها (١٧٢) . ولما قال للحاكم الذين أسلموا من أهل الذمة ، أن دخولهم في الدين الإسلامي لم يكن عن إيمان ، وخيروه بين أن يقتلهم أو يرجعوا إلى دينهم ، سمح لهم الحاكم بالرجوع إلى دينهم ، على أن يلتزموا بلبس الغيار (١٧٣) ، بحيث أنه ارتد منهم في يوم واحد أكثر من سبعة آلاف يهودي إلى دينهم (١٧٤) ، كما ارتد قبط كانوا تظاهروا بالإسلام سبع سنوات (١٧٥) . وقد أصدر الحاكم سجلاً هاماً عليه علامته ، يطمئن فيه أهل الذمة بجماعته لهم ، بما داموا قد التزموا بأوامره ، ولأهمية السجل ، نوردته بنصه (١٧٦) .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين .

هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبي علي ، الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، ابن الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين ، لجماعة النصراني بمصر ؛ عندما أنهموا إليه الخوف الذي لحقهم ، والجزع الذي هالهم فأقلقهم ، واستذراءهم بظل الدولة ، وتحريمهم بحضور الحضرة ، بما رآه وأمر به من تكميل النعمة عليه بتوحيه لهم ذمة الإسلام وشرعه ، من تصيرهم تحت كنفه ، بحيث تصفو لهم موارد الطمانينة ، وتصفو عليهم ملابس السكون والدعة ، وإجابتهم إلى ما سألوا فيه من كتب أمان لهم يخلصهم بحكمه على الأحقاب ، ويتوارثه الأخلاف منهم والأعقاب ، فأنتم جميعاً آمنون بأمان الله عز وجل ، وأمان نبيه محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين صلعم وعلى آله الطاهرين ، وأمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه ،

وأمان الأئمة من آباء أمير المؤمنين سلام الله عليهم ؛ هذا على نفوسكم
ودمائكم وأولادكم وأهوالكم وأحوالكم ، وأملاككم وما تحويه أيديكم ،
أماناً صريحاً ثابتاً ، وعقداً صحيحاً باقياً ، فثقوا به واسكنوا إليه ، وتحققوا
أن لكم جميل رأى أمير المؤمنين وعاطفته ، ونصرته تحميكم ، وعصمته
تقيكم ، لا يُقدم عليكم بسوء أحد ، ولا تتطاول إليكم بمضرة يد إلا كانت
زواجراً أمير المؤمنين مقصرة من باعه ، وعظيم انكاره مضيقاً فيه من
ذراعه ، والله عون أمير المؤمنين على ما تعتقدونه من صلاح وإصلاح
لسكان أقطار مملكته ، ومد له وسيلة الثراء في كنف دولته ، وإياه يستشهد
على ما أمضاه من أمانه لكم ، وعهده الذي يشرفه طرفكم ، وكفى بالله شهيداً ،
وليقرر في أيديهم حجة بما أسبغ من النعم عليهم ، إن شاء الله .
وكتب في شعبان إحدى عشرة وأربعمائة .

وأكبر الظن أن سبب تراجع الحاكم عما زاده على الشروط العمرية
لأهل الذمة ، هو أنه قد اكتفى بما لقنهم إياه من ضرورة الالتزام بأوامره ؛
وذلك كما يظهر من سجله ؛ وأنه لم يعد في حاجة إلى مزيد . ولكن تراجعهم قد
يكون أيضاً بسبب تدمير ممالك النصرانية المحيطة ببلادهم من تصرفه نحو أهل
الذمة ، بحيث أن ملك الحبشة كان يتراسل مع ملك النوبة بشأن قبض
مصر (١٧٧) ، كما أن هدم كنيسة القيامة أثار ثائرة الروم ، ونصارى الفرنج
(الاوربيون) ، وهددوا بالحرب المقدسة ، حتى أنه في ذلك الوقت اتحد ملك
البلغار مع الروم في سنة ١٠١٧/٤٠٨ ، مع عداوتهما الشديدة قبلاً (١٧٨) ؛
وذلك مما هدد الحاكم بخطر جلل . كذلك قد يكون تراجعهم لخوفه من أن
تساء معاملة المسلمين في البلاد النصرانية ؛ حتى أن ملك الحبشة كان يجعل
مسلمى بلاده يدفعون الجزية ، ويضع حول أعناقهم الحديد وعليه ختم

الملك . فكان الحاكم إذا حضر كتاب من ملك الحبشة أو النوبة ، تقدم إلى البطريرك بمكاتبتهما بما للنصارى عليه من العجالة والإكرام في بلاده ، ويدعوهما بأن يستوصيا بالمسلمين تحت رعايتهما (١٧٩) . أما مؤرخو النصارى ، فإنهم وجدوا أن تراجع الحاكم حدث بعد مقابلة تمت بينه وبين البطريرك الأرثوذكسى وأساقفته (١٨٠) ، واعتبروه من آيات الله المعجزة ، وعجائبه الباهرة (١٨١) .

وعلى النقيض وجد مؤرخو السنة وغيرهم في رجوع الحاكم عن شدته مع أهل الذمة ، دلالة على مروقه عن الإسلام : فقد سمح لمن أسلم من أهل الذمة بالارتداد ، مع أن ذلك عقابه القتل . ولكن الحاكم يرد على ذلك بقوله : « نزه مساجدنا عن أن يدخلها من لا نية له في الإسلام » (١٨٢) . لا سيما وأن بعض من أسلم لم يكن اطلاقاً عن إيمان ، فقد وجد منهم من يشارك النصارى في الصلاة والتقديس وأخذ القربان (١٨٣) . ومن بعده تخلفه الظاهر ، فكان يسمح هو الآخر لمن أظهر الإسلام دون رغبة أن يعود إلى النصرانية ، فرجع كثير منهم إليها (١٨٤) . كذلك كان الحاكم يرى إعادة الكنائس للنصارى ، مع أن غيره لا يجوز اعاذتها ولو هدمت بغير وجه حق كما يقول السيوطى (١٨٥) ؛ فلأن الحاكم نظر إلى الأمور نظرة واقعية ، فقد كان القبط يكونون وقتئذ ثلث سكان مصر .

وحدث فجأة فتق كبير في المذهب الفاطمى في آخر سنى حكم الحاكم ، هدد كيان المذهب بالإنتهيار ، وجعل الحاكم لا يهتم بأى شىء في الدولة غير رتق هذا الفتق . وقد أُعتبرت هذه الفترة من تاريخ المذهب عصبية ، أو ما اصطلح على تسميته « بالمحنة » (١٨٦) ، وهى كلمة تعنى حدوث اختلاف في عقائد فرقة دينية إسلامية (١٨٧) . وقد سبق حدوث اضطراب في المذهب

ولكن ما حدث في عهد الحاكم لم يعرف له مثيل من قبل ، إذ لم يقف أثره عند الدعوة ، بل امتد إلى الرعية .

فنعرف أن الشيعة تعتقد أن الإمامه منصب إلهي كالنبوة ، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ، كذلك يختار من يشاء للإمامة ، ومع أن الإمام لا يوحى إليه إلا أنه يتلقى التسديد الإلهي ، إذ هو وارث العلم اللدني . فكان الإمام في نظر الشيعة في مرتبة دون النبي وفوق البشر (١٨٨) ، ولذا أُعتبر معصوماً عن الكبار والصغائر ، وإلا زالت الثقة فيه (١٨٩) . فكان الاضطراب المذهبي يأتي غالباً من الغلو في عصمة الإمام ، والخروج بمرتبته عن هذه الدرجة الوسطى بين النبوة والبشر .

وقد كانت تقوى الحاكم البالغة ، وقيامه في الدعوة الفاطمية بما لم يقم به أحد من قبله ، وعمله على إنجازها ، مما جعل أتباعه يبالغون في تقديرهم لشخصه . فظهرت أقوال كثيرة بين أتباع المذهب تبين أن الحاكم ليس بإمام مثل الأئمة ، وإنما بشرت به الأنبياء ، وأشار إليه بالرمز في التوراة على أنه الزاهد الراكب الحمار ، ليأتي بهذه الأعمال الباهرة (١٩٠) . وزاد الطين بلة أن الغلو في ذات الحاكم ، وصل إلى حد التأليه ، وأن الغلو جاء من بعض المقرين إليه ، بحيث انفرط عقد مبادئ المذهب ، واختلطت عقائده . ويعبر أحد الدعاة عن هذه الحالة في زمن الحاكم ، بقوله (١٩١) : « فغلا فيه صلى الله عليه من غلا ، وسفل بذلك من حيث ظن أنه علا ، ووقع في أهل الدعوة والمملكة الاختياط ، وكثر الزيغ والاختلاط » .

فمن غلا في ذات الحاكم رجل فارسي اسمه حسن (أو الحسن) ابن خيبرة الفرغاني ، المعروف بالأخرم (١٩٢) ، وهي كلمة تعني من قطع وتر أنفه أو طرفها ، أو المثقوب الأذن ، وإن كان يبدو أن الفرغاني كان أجده

الأنف ، بدليل تسميته بالأجدع . وينقل المؤرخون أن الفرغاني يرى أن
المعبود هو الحاكم ، ويدعو إلى إبطال النبوة ، فأسقط اسم الله ، واسم النبي
واعتبر التنزيل والتأويل والتشريع خرافات وقشوراً . وفي يوم جاء
في خمسين رجلاً من أصحابه إلى الجامع ، الذي كان فيه قاضي القضاة ابن
أبي العوام ؛ فدخلوا فيه راكبين ، وأخذوا أموال الناس وثيابهم ، وسلموا
لابن أبي العوام رقعة ليقرأها الناس ، وقد بدأت باسم الحاكم الرحمن
الرحيم . فرفع القاضي صورته مُسكراً وهجم الناس بالأخرم ، وقتلوا أصحابه ،
أما الأخرم نفسه فهرب أو قتل . وقد اختلف في وقت ظهور الأخرم ،
فقيل في سنة ٤٠٩/١٠١٨ ، وربما يكون قبل ذلك في ٤٠٨/١٠١٧ ، وهي السنة
التي جاء فيها داعٍ آخر اسمه الكرمانى ، استدعاه الحاكم للرد على عُلواء
الأخرم .

وكذلك ظهر داعية آخر ، اسمه محمد بن اسماعيل في ٤٠٨/١٠١٧ ،
أو قبل ذلك ، يبدو أنه أعجمى فارسى ، أو ربما تركى بدليل أن اسمه أنوشتكين
أو هشتكين ، وإن لقب بالدرزى ، التي لا يعرف لها أصل (١٩٣) . وهذا
الداعية قرّبه الحاكم في أول الأمر ، حتى عُرف على أنه غلام للحاكم ،
وارتفع مركزه في الدولة ، فكان القواد والعلماء يقفون على بابه ،
ولا ينقضى لهم شغل إلا على يده . وينقل المؤرخون أن الدرزى كان
يؤمن بالتجسيم ، ويرى أن روح آدم جاءت عليّاً ، وأن روح عليّ
انتقلت إلى أبي الحاكم ، ثم انتقلت إلى الحاكم ، ودعا الناس إلى أن يعتقدوا
أن الحاكم الإله الذى صنع العوالم ، وصنف كتاباً شبهه بالقرآن سماه :
الدستور (١٩٤) . وقد جعل الدرزى له أتباعاً عرفوا بالدرزية (١٩٥) ، بلغ عددهم
سنة عشر ألفاً ، كانوا يأتون بأمور مبتدلة ، مثل تلطيخ القبلة ، والبول على

مصاحف القرآن . وقد اختلف في نهاية الدرزي ، وخلط بينه وبين الآخرم ،
فبينما تقول رواية إنه قتل وجماعة من الدرزية على يد الأتراك وهو في موكب
الحاكم ؛ وأنهم لم يقتلوه بسبب اعتقاده ، وإنما لأنه كان قد نصح الحاكم
بإزالة الألقاب التي كانوا يتباهون بها ، تقول رواية ثانية إنه هرب إلى الشام
ونشر دعوته فيها ، وتقول ثالثة ، إنه قتل في إحدى المعارك في سنة
١٠١٩/٤١٠ (١٩٦) .

وأدهى من ذلك أن هذا الاختلاف في شأن الحاكم لم يقف عند
بعض أتباع المذهب ، بل امتد إلى عامة الناس . فقد كان محيى الحاكم بسيرته
للثالية ، التي لم يسمع لها مثيل منذ عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، ربما
جعلت الناس يعتقدون أن الحاكم قد يكون المسيح ، الذي يأتي في آخر
الزمان لإقامة العدل ، ومثل هذه المعتقدات كانت منتشرة بين المسلمين وقتئذ .
يضاف إلى ذلك ، أن شخصية الحاكم كانت مؤثرة ؛ بشكله المتصوف ،
وصوته الجهير ، وجسمه الفارع ؛ بحيث أن جماعة يتعمدون لقاءه في أمور
تضطرهم إلى ذلك ؛ فإذا أشرف عليهم سقطوا على الأرض وجلا . (١٩٧) . فكان
جهال الناس وأوباشهم إذا لقوا الحاكم ، سجدوا أمامه ، وقالوا له : « السلام
عليك يا واحد يا أحد ، يا محيى يأميت » . وكان النصراني أو اليهودي إذا لقيه
يقول : « إلهي قد رغبت في شريعتي الأولى » ؛ فيقول الحاكم — بقول
المؤرخين — : « افعل ما بدالك » ؛ فيرد عن الإسلام (١٩٨) . كما أن بعض المسلمين
كانوا يشتمون الحاكم ويكفرونه ونسبوا إليه إدعاءه الألوهية ؛ بحيث
يقول محيى إنه أحرق مصر بسبب شتيمة الناس له (١٩٩) .

وزاد في الطنبور نغمة ، أن أعداء الفاطميين ، وجسدوا في هذا
الاضطراب المذهبي فرصة لإثبات إدعاء الحاكم الألوهية ؛ بقصد التشهير به
والقضاء على دولته . فقالوا إن مصر لم تفرغ عننا شرأ من الحاكم ، رام أن

يدعى الألوهية كما ادعاها فرعون ؛ وإنه أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفاً إعظماً لذكره واحتراماً لإسمه ، فكان يفعل ذلك في سائر مملكته ، حتى في الحرمين الشريفين (٢٠٠) . ويؤكدون أن الحاكم نفسه ، هو الذى طلب من الأخرم إعلان الربوبية له ، وأنه لما قُتل الأخرم كُفنه بأكفان القصر ، ودفنه في حفل رسمي ؛ وإن كان الناس نبشوا قبر الأخرم (٢٠١) . وكذلك لما أعلن الدرزي الألوهية للحاكم ، لم ينكر الحاكم عليه فعله ، بل أحسن إليه وشكره (٢٠٢) ، وطلب منه أن يدعو إلى ألوهيته عن طريق الرقاع ؛ وأن الحاكم هو الذى مهد للدرزي الهروب ، وكان يمدّه بالأموال سرّاً ، لنشر الدعوة إلى ألوهيته ؛ فقال له : « اخرج إلى الشام ، وانشر الدعوة في الجبال ؛ فإن أهلها سريعو الانقياد » ؛ فخرج الدرزي إلى الشام ، ونزل وادى تيم ، واستمال أهله ، وقرر في نفوسهم التناسخ ، وأباح لهم شرب الخمر والزنا ، وإباحة دم مخالفهم (٢٠٣) ؛ أو أن الدرزي قتل في مصر ، فقبض الحاكم على قاتله التركي وقتله ، وإن تظاهر الحاكم بأنه عاقب التركي لسبب آخر ارتكبه (٢٠٤) . كما ذهب بعضهم إلى أن الحاكم ، كان يعبد الكواكب ، مثل جده المعز من قبل ؛ وخصوا عبادة الحاكم لزحل والمريخ (٢٠٥) .

ويبين مؤرخو السنة على الخصوص ، ميل الحاكم إلى التأله ؛ بنقلهم رواية عن أحد فقهاء الشافعية ، وإسمه الحافظ السلفي (٢٠٦) — وهو الذى تلمذ على يده فيما بعد صلاح الدين ، الذى قضى على الدولة الفاطمية — أن الحاكم كان جالساً في مجلس عام ، حفل بأعيان الدولة ، فقرأ بعض القراء : ﴿ فَتَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ۝ : ٦٥ ﴾ ، والقارىء

في أثناء ذلك كله يشير إلى الحاكم . فلما قرأ قارىء آخر اسمه ابن المشجر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْأَلُ بِهِمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَسْئَلُوبُ ، مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۚ ۲۲ : ۷۳ - ۷۴ ﴾ . فلما انتهت قراءته تغير وجه الحاكم ؛ بحيث أن الناس نصحوا المقرئ بالخروج عن مصر ، فذهب إلى الحج ، وغرق في الطريق .

وكذلك وافق أغلب العلماء الحديثين ، من اهتموا بالدراسات الفاطمية ، مثل : « de Sacy » و« عنان » ، و« Betty » ، على ما تناقله المؤرخون السابقون في دعوى ألوهية الحاكم ، وأنه في رأيهم استمدتها من عقائد الإسماعيلية . وحتى كامل حسين ، الذي حقق رسالة تنفى دعوى ألوهية الحاكم بعنوان : « الرسالة الواعظة في نفي دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله » ، يميل هو الآخر إلى القول بأن الحاكم مال إلى تأليه نفسه غروراً وكبراً ، ولكن دون أن يستمد عقيدة التأليه من عقائد الإسماعيلية ، التي هي براء من ذلك (٢٠٧) .

وعلى النقيض من كل هذه الروايات المفتعلة ؛ فإن الحاكم لم يدع الألوهية إطلاقاً ، وذلك بالاعتماد على أوثق المصادر التاريخية ؛ فضلاً عن أنه لم ينقل إلينا نص واحد ، أن الحاكم نفسه ، قال : إنه هو الإله . بل عظم الأمر على الحاكم (٢٠٨) ؛ ولكن المسألة -- كما سنرى -- شائكة ، ومعالجتها تحتاج إلى حذر متناه ؛ لترصد أعدائه به ، الذين هدفهم التشهير به ، بقصد اقتلاع دولته ، ولرغبته الملحة في إنقاذ المذهب ودعائه ؛

وعودة الاحترام الذي فقده بسبب هذه الدعوى ؛ فأصبح الناس إما
ساخرين أو شاكين .

وفي أول الأمر ، استخدم الحاكم الشدة وقتل دعاة الذين غالوا فيه
أو لم يدفعوا عنه تهمة التآله (٢٠٩) . ويؤيد ذلك ما تداوله أيضاً مؤرخو السنة ،
الذين قالوا إنه قتل العلماء (٢١٠) . كذلك كان يذهب لمجالس الدعوة ، ويقرأ
بنفسه على الشيعة في كل أسبوع من علوم أهل البيت (٢١١) . وفوق ذلك ، كان
يشرح المذهب لرعاياه المسلمين ، ويدفع عن المذهب الشيعي كل التباس
لصق به ؛ كما أتاحت له الفرصة . ولدينا مثل واضح على ذلك (٢١٢) : ففي
مرة كان الحاكم عند مسجد ، إذ سمع ضجعة عظيمة وجلبة ، فطلب من بعض
حرسه — الركابية — أن يعرفوا سببها . فعادوا وقالوا : « هم أهل اطفيج ،
وهم مفترقون فريقين » فقال : « احضروهم » ، فأحضروهم ؛ فإذا فيهم أسود متعلق
برجل قد ضيق عليه . فطلب الحاكم اطلاق الرجل فاطلقه ، وقال له : « من
تكون » ، فقال : « أنا الخطيب باطفيج ، والرجل الآخر هو الداعي ، الذي
أظهر في بلادنا ما لم نسمعه قط ، بأن أذن أن محمداً وعلياً خير البشر ،
وما سمعنا بهذا الأذان من قبل ، وقد يجوز أن يكون محمد خير البشر ،
ولا يجوز أن يكون علياً خير البشر ، لأن في البشر آدم ونوح وإبراهيم
وموسى وعيسى ، ولا يجوز أن يكون هو خيراً من هؤلاء الأنبياء أصحاب
الشرائع ، . فأكد الحاكم للخطيب أن ما قاله الداعي ليس في أصول
الأذان ، وإن تمسك بأن علياً خير البشر مع محمد ، مدلاً على ذلك
بأحاديث نبوية كثيرة وبالمنطق ، منها قول النبي : (أيها الناس ألا أخبركم
بخير الناس أباً وأماً ، هما هذان الحسن والحسين ، أبوهما علي وصي أفضل
الوصيين ، وأمهما فاطمة ابنتي أفضل نساء العالمين) ؛ وقوله : (ولدأي هذان

سيدا شباب أهل الجنة) . واستطرد الحاكم قائلاً : « إن في الجنة شباباً لا يهرمون منهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ؛ فإذا كان الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما ؛ فقد ثبت أن عليّاً خير البشر مع النبي » . فقال الخطيب : « آمنت بذلك وصدقت » ، ثم التفت للحاكم إلى الداعي ناصحاً إياه بالترث دائماً في نشر دعوته لآل البيت ، وقال له : « إذا دخلت مدينة أهلها عور ، فأردت السكنى معهم ، فغمض عينك الواحدة » .

ولكى يبعد الحاكم عن علوم أهل البيت كل شبهة ، ولما أذاعه الناس عنه وعن آباءه من إدعائهم علم الغيب (٢١٢) ، أمر ألا ينجم أحد ، ولا يتكلم في صناعة النجوم . بل أمر بنفي المنجمين ؛ إلا أنه لما أكدوا أنهم لن يشتغلوا بالتنجيم ، عقدت عليهم التوبة ، وأعفوا من النفي (٢١٤) . حقاً إن أئمة الفاطميين اهتموا بعلم التنجيم ؛ إلا أنهم لم ينظروا إليه — كما يظهر من كتبهم — إلا على أساس أنه علم مفيد ؛ لمعرفة الحساب والسنين والأوقات ، ووسيلة للاهتمام به في البحر والبر . فقد عُرف عن الحاكم اهتمامه بهذا العلم ؛ بحيث اشترك مع عالم اسمه عليّ بن عبد الرحمن بن يونس المصري في عمل زيج في الحساب وعلم النجوم ، عرف بزيج ابن يونس أو الحاكمي ، فاق الزيج الذي عمل بأمر المأمون العباسي ؛ فأصبح زيج الحاكم عمدة العلماء من المنجمين في استخراج التقاويم والنبوءات الجوية ، ومعرفة الكسوف والحادثات . كذلك نقل عن المعزّ قوله : « من نظر في علم النجوم ليعلم عدد السنين والحساب ، ومواقيت الليل والنهار ، وليعتبر بذلك عظمة قدرة الله عز وجل ، وما في ذلك من الدليل على توحيده جلّ ذكره ولا شريك له ؛ فقد أحسن وأصاب ، ومن تعاطى بذلك علم الغيب والقضاء بما يكون ، فقد أساء وأخطأ » .

وقوله : « إن أباه - المنصور - عانى من الحروب كثيراً ، فما كان ذلك باختيار من علوم النجوم ، ولا التفت إليه ، وإنما علم النجوم هو القدرة على خلق الله » (٢١٥) .

وقد دفع الغضب الحاكم إلى أن يعرض عن أهل دعوته ورجال دولته والناس جميعاً ؛ لتجاسرهم على مثل هذه الدعوى ، بألوهيته . فأمر ألا يدخل عليه في قصره من رؤساء دولته سوى أحد عشر رجلاً أسماهم ، وأن يدخل الكتّاب والقراءون - قراء القرآن - والأطباء والمؤذنون وخدام القصر ، من غير أن يختلط بهم غيرهم من الناس (٢١٦) . وكذلك ألغى ماجرى به الرسم من مواكب الصلاة في الجوامع في أيام الجمع من شهر رمضان وفي العيدين (٢١٧) . بل ألغى كل ما يتعلق بالمذهب من الاحتفال بأعياده ، مثل عيد الغدير ، وأبطل مجالس الدعوة العامة والخاصة ، وما كان يؤخذ لها من مال الخس والزكاة والفطرة والنجاوى (٢١٨) . ولا ريب أنه في ذلك الوقت أيضاً ؛ ألغى كل مراسم الحسبة الأخلاقية ، التي كانت تضع حداً لمجون الناس ، ومراقبة أهل الذمة بقصد إظهار عزة الإسلام ؛ كما لم يعد يهتم بمن ارتد من النصارى واليهود ؛ أو من تحول إلى المذهب أو بقى سنياً ؛ فقرئت سجلات فيها يعان كل واحد ما شاء من الاعتقاد (٢١٩) .

ويفسر الداعية إدريس تصرف الحاكم هذا ؛ ليطمين المؤمنين بالاخلاص ، ويبقى المنافقون في الخيرة (٢٢٠) . أما أعداء الفاطميين فقد فسروه على أنه دليل على مروق الحاكم عن الدين والمذهب ؛ فبقولهم إنه ألغى الصلاة والصوم وغيرهما من فرائض الدين (٢٢١) ؛ لاشيائه وأن الحاكم كان قد أوقف أيضاً مواكب الحج ، وقطع حمل الكسوة عدة سنوات ، وكانت تجهز بعساکر ، وتنفق الآبار على طول الطريق ؛ وذلك بسبب هجمات

الأعراب (٢٢٢) . ولكن مؤرخاً منصفاً هو ابن خلدون - وهو سني - يعترض على القول بأن الحاكم ألغى الصلاة وغيرها من فرائض الدين ؛ فيقول : « إنه زعم لا يقبله ذو عقل ، ولو صدر من الحاكم شيء منه لقتل لوقته (٢٢٣) » .

ويبدو أنه في وقت ما بلغ اليأس بالحاكم حداً كبيراً أمام دعوى تأله ؛ فاعتزل الدنيا كلها ؛ لاسيما وأنه كان رجلاً متديناً إلى أبعد الحدود ؛ مما يدل على ما أحدثته هذه الدعوى من رد فعل قوي في نفسه . فكان يجلس في مكان مغلق لا يدخله عليه أحد يوقد بالشموع ليلاً ونهاراً ، أو يجلس في الظلمة (٢٢٤) ، أو يخرج بمفرده هائماً في الفلوات ، أو يذهب إلى جبل المقطم ، يتبع فوقه ، يتغوث إلى الله ويناجيه (٢٢٥) . ومن قبل ، اعتزل المعز - جد الحاكم - الناس ، بسبب اضطراب الصحابة ؛ وإن ذكر مؤرخو السنة أيضاً أن المعز اختفى في سرداب ، وأنه كان مريضاً بمرض نفسي (٢٢٦) . وبلغ القلق بالحاكم إلى حد أنه ترك شعره إلى أن طال ، ونزل على اكتافه ، وأطلق أظافره ، وكان يلبس الكسوة الواحدة من الصوف المدة الطويلة ؛ إلى أن تبلبه وتناولها الرثانة (٢٢٧) .

ولكن ما لبث الحاكم أن دفع اليأس ، وشمر عن ساق الجد في سبيل إنقاذ المذهب ودعائه ؛ وأصبح ذلك شغله الشاغل ، ولم يعد يهتم بأي شيء غيره . ولكي يعيد الأمور إلى نصابها ؛ عمل على استدعاء رجال من أتباع المذهب ، موثوق في عقيدتهم وتمذهبهم السليم ؛ لكي يساعده في عودة الأمور إلى نصابها .

فكان أول من استخدمه لذلك ؛ رجل فارسي اسمه ختكين الضيف (٢٢٨) ،

الذي يُعتبر قطباً من أقطاب المذهب ، كان يعمل مع البويهيين الشيعيين بالعراق ، ثم هاجر إلى مصر ، وئذا لقب بالعضدي منتسباً إلى عضد الدولة البويهي ؛ الذي كان يعتقد في إمامة الفاطميين . فعينه الحاكم داعية للدعاة ، ورد مجالس الدعوة إلى سالف الرسم ، بعد أن قطعت ثلاث سنوات من ١٠٠٩/٤٠٠ إلى ١٠١٢/٤٠٣ ، ومنحه لقب الصادق الأمين (٢٣٩) ، مما يدل على رغبة الحاكم الشديدة في أن يبين ختكين صدق الدعوة الفاطمية ، وموقف الإمام منها . وقد بذل ختكين جهده في تنوير الدعاة بحقيقة الدعوة ومنزلة الإمام الحاكم فيها ، فأرسل إلى المدينة يبحث عن كتب جعفر الصادق - جد أئمة الفاطميين - وإن قيل إن ذلك كان بأمر الحاكم في سنة ١٠١٩/٤١٠ ؛ فوجدت في دار جعفر كتب فيها كثير من علم الأئمة (٢٤٠) .

ولدينا نص صريح معاصر ، يوضح ظروف المحنة ، وأسباب مجيء ختكين هذا ، جاء فيه : فإن أبناء الدعوة الهادية بسط الله أنوارها ، لما عمتهم المحنة يأمسك السماء عن المطر ، وملكوتهم الحيرة بوقوف الأرض عن تربية البذر ، وشملهم الضر باستيلاء القحط ، وتداولتهم أسباب الخبط ، وعضتهم نواجذ الإمتحان ، وتنكرت لهم صروف الزمان ، فهت أ عقلمهم ، وتحير أحلمهم ، وضعف رجائهم وأملهم ، فاستياسوا ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وجاءهم نصر الله بنظر وليّه وابن وليّه سلام الله عليه وعلى آبائه المطهرين - إليهم - رحمة لهم ؛ فأضاء لهم ما كان مظلماً ، وأثار لهم ما كان مستهتماً ، وكان ذلك اختياره سلام الله عليه ، وعلى آبائه الطاهرين ، من بينهم أصدقتهم لهجة ، وأأداهم أمانة ، وأقومهم ديانة ، وأثبتهم في الطاعة قدماً ، وأقدمهم في الهجرة قدماً ، ذلك ختكين الضيف ... (٢٤١) .

وكذلك استقدم الحاكم داعية آخر هو أحمد بن عبد الله في ١٠١٧/٤٠٨ ،

الملقب بحميد الدين الكرمانى (٢٢٢) ، نسبة إلى كرمان بإيران ، وهو يُعتبر شيخ فلاسفة المذهب ، ووصف على أنه حجة العراقين ، أى فارس والعراق . وقد عينه الحاكم رئيساً لدار الحكمة ، دون أن يعينه رئيساً للدعوة ؛ لوجود ختكين المذكور . وقد بذل الكرمانى جهداً كبيراً فى سبيل تقويم ما اعوج من الدعوة (٢٢٣) ؛ وكتب فى ذلك رسائل عديدة ، بلغ عددها تسعاً وعشرين ، وصلنا بعضها ، ولم يصلنا البعض الآخر . فى رسالة مباسم البشارات (٢٢٤) ، يبين الكرمانى ظروف المحنة ، وسوء حالة الدعوة ، وظهور المنافقين ، وصدق إمامة الحاكم وحققيتها ، وأن ما حدث هو بإرادة الله لامتحان عباده . ولعل أهم وصلنا من الكرمانى هو الرد على دعوى الفراغى الأجدع ، فى رسالته المشهورة ، بعنوان : « الرسالة الواعظة تجمع وعظة وأجوبة عن مسائل المارق فى الدين حسن الفراغى الأجدع » ؛ حاول فيها الكرمانى بالمنطق وغيره أن يثبت عقيدة الاسماعيلية فى الله الذى لا إله إلا هو ، وإظهار الحاكم كشيعى مثالى ، يعبد الله ، ويساعد الناس على فهم دينهم . وها هو بعض ما جاء فى هذه الرسالة ؛ فيقول موجهاً الكلام للأخرم (٢٢٥) :

« وأما قول أصحابك : إن المعبود تعالى هو أمين المؤمنين سلام الله عليه ؛ فقول كفر ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال ، هذا أن دعوا للإله المعبود غيراً ، فيا لجسارة على الله حين جعلوا له تعالى شريكاً ما أعظمها ، ويا لجرأة على الله تعالى حين جعلوا المعبود غيره تعالى ما أفضعها ، ولقد قالوا عظيماً ، وافتروا إثماً مبيتاً ، وإن ذلك إلا كفر محض ، فما أمير المؤمنين عليه السلام إلا عبد لله خاضع ، وله طائع ، يسجد لوجهه الكريم ، ويعظمه غاية التعظيم ، وباسمه يستفتح ، وعليه فى أمره يتوكل ، وأمره

إليه يفوض ، والله تعالى قد فضّله على خلقه ، وجعله من جهة رسوله محمد صلى الله عليه خليفة له في أرضه ، ووسيلة لعباده إلى جنته ، وأوجب طاعته على عباده ، وهو سلام الله عليه ، يتبرأ إلى الله تعالى ممن يعتقد ذلك فيه ، وكيف يكون معبوداً وهو جسم ذو أبعاد مؤلفة ، ونفس ذات قوى مكافئة ، يأكل ويمشي ، وينام ويستيقظ ، وتنطوي عليه الأحوال المتضادة من رضا وسخط ، وغمّ ومسرة ، وسقم وصحة ، كغيره من البشر ، وهو سلام الله عليه ينفي ما تنسبه أنت وأصحابك إليه عن نفسه . كلا إن المعبود ليس إلا الإله الذي له يسجد أمير المؤمنين سلام الله عليه ، ويوحده ويسبحه ، وعن النعوت والصفات يقده ، وله يسجد من النبيين والأوصياء ، والأئمة المتقين وتابعيهم ، وإياه يعبد وله يسجد من يخرج إلى الكون منهم ، مادام عقل ، وفاض عدل ، الذي خلق السموات بأفلاكها ، والنجوم بأنوارها ، والأركان بطبائعها ، والمواليد بأجناسها ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقكم إن كنتم إياه تعبدون ٤١ : ٣٧ ﴾ .

وبعد ذلك ، اتخذ الحاكم خطوة جريئة في سبيل انقاذ المذهب وأتباعه ، وذلك بالقيام بحركة إصلاحية في عقائد المذهب نفسها ، مما أدى إلى ظهور مذهب جديد ، وجعل الحاكم من أصحاب النحل . وفي سبيل ذلك استعان بداعية فارسي ، كان قد هاجر إلى مصر ، اسمه حمزة بن عليّ بن أحمد (٢٣٠) ، الذي عرف بالسياد ، ربما لأنه كان في بدء أمره يشتغل بصناعة اللباد أي الجلد ، وإن اشتهر بالزوزاني ، نسبة إلى مقاطعة زوزان بفارس . وقد اختلف في وقت ظهور حمزة ، فقبل في أواخر سنة ١٠١٦/٢٠٧ أو أوائل سنة ١٠١٧/٤٠٨ ، أو حتى في ١٠١٨/٤٠٩ أو ١٠١٩/٤١٠ ؛ مثلما اختلف في ظهور الدعاة الآخرين قبله .

ومع ذلك ، لم يعلن الحاكم بنفسه نشأة المذهب الجديد ، ربما خوفاً من زيادة بلبلة الخواطر ، وإنما جعل تكوين المذهب وظهوره على يد حمزة هذا . فكان الحاكم يكثر من زيارة حمزة (٢٣٧) ، الذي اتخذ له مكاناً خارج القاهرة في مسجد اسمه : التبر أو التبن أو الجميزة ، وعرف قديماً باسم البئر ، كان قد بنى في أيام كافور (٢٣٨) . وقد تعمد الحاكم تقوية المذهب الجديد (٢٣٩) ، فاطلق يد حمزة في عقد مجالس الدعوة للرجال والنساء (٢٤٠) ، ومكاتبة رجال الدولة الرسميين ، بما فيهم ختسكين داعي الدعوة ، وابن أبي العوام قاضي القضاة ، وعبد الرحيم ولي العهد (٢٤١) ، بل منع الحاكم غير حمزة من الكلام في الدعوة ، مثلما فعل مع ابن أبي العوام ، الذي كان سنياً (٢٤٢) . فكان الحاكم يأتي لحمزة ويسأله عما حصل من أهل الدعوة (٢٤٣) ، ويحرضه على الكتابة للدعاة (٢٤٤) .

وقد نجح حمزة في تكوين المذهب الجديد ، فتسمع عن طبقات جديدة للدعاة في مصر تشبه ما كان عليه الحال عند بدء الدعوة الإسماعيلية ، على رأسهم الإمام الذي يأمر لهم ، والناطق الذي ينطق في كل عصر وزمان بالحق ، والداعي الجدد ؛ لأنه جد في طلب العلم من الإمام ، والمأذون لأنه يفتح باب العهد ، والمكاسر الخيال الذي يلوح بعلمه (٢٤٥) ؛ كما عين حمزة الدعاة في جميع أنحاء مصر وأعمالها والشامات وما حولها (٢٤٦) . وكذلك أصبح حمزة ودعاته يجيبون مال الدعوة - دون غيرهم - من النجوى وغيرها ، التي بلغت ثلاثين درهماً أو ثلاثة دنانير ونصف (٢٤٧) . وقد كان من ينضم للمذهب الجديد ، يؤخذ عليه العهد ، وقد تلقب حمزة بالهادي ، أو هادي المستجيبين (٢٤٨) .

وقد سعى المذهب الجديد ، إلى اظهار الإيمان المطلق أو ما عُرف بالتوحيد (٢٤٩) ؛ الذي اضطربت حقيقته بين الدعاة ، لا سيما بظهور دهوى

الأخرم والدرزى . يضاف إلى ذلك ؛ أن التوحيد عند الشيعة هو أصل الدين الإسلامى ؛ وأن الإخلاص فيه يكون بثبوت مرتبة الوصاية ، وهى تولية النبي لعلّى ، والإمامة التى تبقى فى أسرة علىّ إلى يوم الدين (٢٥٠) . لذلك عرفت الدعوة إلى المذهب الجديد بالتوحيد ، وسمى المستجيبون لها من الرجال بالموحدين ، ومن النساء بالموحيدات . ويؤيد قصد المذهب الجديد فى تنقية الإيمان ، ما ورد فى رسالة حمزة المعنونة : « برسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين » ، التى فيها يتكلم عن التوحيد على طريقة الدعاة الشيعة ، بما فيها من ظاهر وباطن (٢٥١) .

ومن الطبيعى أن يكون المذهب الجديد ضد كل ما يمس نقاء عقيدة التوحيد أو ينال منها . ويؤيد ذلك مهاجمة حمزة للنصيرية (٢٥٢) ، ويبدو أنها كانت فرقة قديمة للغلاة فى الشام ، وسميت هكذا لأنها غلت فى علىّ ابن أبي طالب ، وادعت فيه ما أدعت النصارى فى المسيح ، فقالت بالروحية علىّ . ولدينا عدة رسائل من تأليف حمزة ، كلها تهاجم النصيرية وخروجها عن التوحيد ، أشهرها رسالة بعنوان : « الرسالة الدامغة للفاسق ، والرد على النصيرى لعنه المولى فى كل كور ودور » (٢٥٣) . وقد كانت النصيرية بسبب مقالاتها فى علىّ ، من أعدى أعداء الإسماعيلية (٢٥٤) ، وحتى بعد الحاكم نجد ابنه الظاهر يحارب هذه الفرقة أيضاً ، كما يظهر فى سجله ككلام كثير ، صدر فى سنة ٤١٤ / ١٠٢٣ (٢٥٥) .

وأكثر من هذا أن حمزة هاجم الدرزى ومقاتله ، ويبدو أن الدرزى كان من أتباع حمزة فى أول الأمر ، إلا أنه خرج على مبدأ التوحيد ، وسار على نسق المغالين ، فنحى فى ذات الحاكم . فيقول حمزة فى رسائله إن الدرزى كان ينطق بغير معرفة ولا علم (٢٥٦) ، وأنه ألف كتاباً — يقصد الدستور —

بدون إذن الإمام ، مع أنه على حسب ملاحظة حمزة ، لا أحد يؤلف بدون أمر الإمام (٢٥٧) . وبين حمزة في كتاب : «الغاية والتضحية» ، ظروف خروج الدرزي على عقيدة التوحيد : « فقد سمي نفسه بسيف الإيمان ، فلما أنكرت عليه ذلك ، وبينت له أن هذا الاسم محال ، وكذلك لأن الإيمان لا يحتاج إلى سيف بعينه ، بل المؤمنون محتاجون إلى قوة السيف وإعزازه ، فلم يرجع عن ذلك الاسم وزاد في عصيانه ، وأظهر فعل الضدية في شأنه ، وتسمى باسم الشرك ، وقال : أنا سيد الهادين ، يعني أنا خير من أئمة الهادي » (٢٥٨) . فن المؤكد - وهذا كلام حمزة - أنه من الخطأ ، أن يسمى مذهب الحاكم الجديد بالدرزية نسبة إلى الدرزي ، كما لاحظ دى ساسي « De Sac » (٢٥٩) ؛ لا سيما وأن العيني يسمى مذهب الحاسم بالفرقة الحاكمية (٢٦٠) ، نسبة إلى الحاكم مباشرة .

وطبيعي والمذهب ناشئ ، كان لا بد أن يدفع عن نفسه هرطقة الغلاة ، حتى لا تختلط عقائده بها . فتنى حمزة عن المذهب الدعوة إلى التناسخ ، أو إلى إلهية الحاكم ، وأورد قولاً قاطعاً ضد مقالة الغلاة ، بقوله : « ولا تعتقد بأن مولانا جل ذكره الإمام ، بل الإمام عبده ومملوكه ، لا يقدر على دفع مضرة ، ولا جر منفعة ؛ إلا بقوة مولانا جل ذكره » (٢٦١) . ويقول : « إن الإلهام عبده مولانا » . ويذكر في رسائله : الله ومحمد وأمير المؤمنين وآيات من القرآن الكريم ، (٢٦٢) ؛ كما سمي نفسه : « هادي المستجيبيين ، المنتقم من المشركين ، والمنافقين ، والناكثين بسيف مولانا أمير المؤمنين » (٢٦٣) . وقد نفي عن المذهب أيضاً ، إباحتهم استحلالات الفروج ، أو نكاح الأخت ، أو شرب الخمر ، أو لعب الميسر (٢٦٤) . وعلى النقيض دعا النساء خاصة إلى التجمل بالخلق الفاضل : « والتبرى من كل عيب

ودنس ، وأن يحذرن أنفسهم عن الشهوات والشبهات ، وارتكاب الفواحش والمنكرات ؛ لينتفعن بإيمانهم (٢٦٥) .

ولكن نجاح المذهب الجديد جبر إلى صراع شديد مع أنصار القديم ؛ لاسيما وأنه قد استجاب للمذهب عدد كبير من رجال ونساء لا في مصر فقط ، بل في الشام في نواحي وادي التيم ، وبلاد صيدا ، وبيروت ، وحلب ، وما جاورهم . فقد كان أصحاب ختكين ؛ إذا لقوا دعاة حمرة ، لعنوا بعضهم بعضا ، ويكفر كل فريق منهم الفريق الآخر (٢٦٦) . كذلك لقي الحاكم في تصرفه الجديد عنقا من سكان مصر ، الذين تجرأوا على سبه وسب أهل الدعوة ، حتى في أعماق القرى (٢٦٧) . وقد تداول الناس سجلا ، بتاريخ العشر الأخير من شهر رمضان سنة ٤١٠ / يناير ١٠٢٠ (٢٦٨) ؛ يطالبهم فيه الحاكم باحترام إمامهم ، والامتناع عن سماع الترهات ، والتدخل فيما يقوم به : « فينعي عليهم ترك التشاغل بعيوب نفوسهم ، واعتراضهم عليه فيما يفعله ، ويشير عليهم بالمبادرة إلى الإيمان في أوانه ، ويوبخهم على مخالفتهم إياه فيما قصد بهم إليه ، مما يعود عليهم بالقرب إلى باريهم ، ومجاهرتهم له بما أتوه من الخطايا ، وتظاهروا به من البدع ، ويتوعدهم بأن كل عقوبة سيحلها بهم إن لم يذروا الشر ويعملوا الخير ويعمدوا عليه ، ويسلموا إلى إمام دهرهم ، ويولجوا إليه أمرهم ، ويذكروهم بما تقدم من إنذاره لهم ، وتخويفه إياهم على مباينته ، وبعد من قبل أوامره واهتدى مرضاته بالإحسان إليهم ، والإبقاء عليهم ، ويحذر من صبر على الأفعال المنكرة بخلاء ديارهم ، وتعفية آثارهم ، وسبي نساءهم وأولادهم ، ونهب أموالهم ، وأنهم حينئذ يطلبون ناصراً فلا ينصرون » .

ومن ناحية أخرى نقل إلينا مؤرخو السنة روايات مغرصة عن المذهب

الجديد ، دون سعي إلى تحرى الحقيقة كعادتهم . فبقولهم إن حمزة دعا الناس إلى مقالة الدرزي في التناسخ ، والرخصة في نكاح الأخوات والبنات والأمهات ، وإسقاط جميع التكليفات الدينية من الصوم والصلاة والحج (٢٢٩) . ويبدو أن مؤرخي السنة تعودوا أن يلقوا بمثل هذه التهم ، لكل فرقة شيعية ، حتى ولو كانت هذه التهم غير صحيحة أو معقولة . فمثلاً تناقلوا عن القرامطة قبلاً ، قولهم (٢٧٠) : إن روح الله وأرواح الأنبياء تحل في الأجساد ، وأنهم جعلوا القبلة إلى بيت المقدس ، والصلاة أربع ، ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها ، وأن الجمعة يوم الإثنين ولا يعمل فيها شيء ، ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، والصوم يومان في السنة . كذلك ينقل البغدادي عن فرقة القرامطة أشياء عجيبة ، منها (٢٧١) : أنه كان لها كتاب اسمه السياسة والبلاغة الأكيد ، ورد فيه الإباحة والرخصة ، مثل قولهم : « وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعى العقل ، ثم يكون له أخت أو بنت حسناء ، وليست له زوجة في حسنها ، فيحرمها على نفسه ، وينكحها من أجنبي ، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق باخته وبنته من الأجنبي » . فمن الواضح أن أتوال معظم مؤرخي السنة لا يعتد بها في الكلام عن مذهب حمزة أو غيره من مذاهب الشيعة ؛ لما يظهر فيها من تحامل وحقد ، ومخالفتها للحقيقة .

وقد وصل الحقد على المذهب الجديد إلى درجة التزييف والتلفيق فيما كتبه حمزة (٢٧٢) ، وعُرف برسائل حمزة ، أو رسائل الدرزي خطأ ؛ حيث يوجد أغلبها مخطوطاً في عدة مكتبات ببلدان مختلفة ، مثل : باريس وليدن واكسفورد وقيينا والقاهرة ؛ وإن كان أكثرها عدداً هو ما يوجد بالمسكينة الأهلية بباريس (٢٧٣) . فإذا تصفحنا هذه الرسائل ، شعرنا بعدم الاطمئنان

إلى صدق ما ورد فيها ؛ بسبب تنافر السياق والمعنى ؛ مما يؤكد الدس ، وأنها لم تنقل من وجه صحيح . يضاف إلى ذلك أن هذه الرسائل كتبت بأنواع الحبر : أحمر وأسود وأخضر وأصفر ، وهمشت بخط يخالف خط النص (٢٧٤) ؛ كما أن بعضها يحمل تواريخ متأخرة على وفاة حمزة ، وأن بعضها الآخر قد كتبه أحد الدروز ، الذين تحولوا إلى المسيحية (٢٧٥) . كل هذا يدلنا على أن أيدي غربية معادية قد تدخلت بقصد تزيفها ، وشوهت حقيقتها .

وبجانب ذلك ، وقع بعض كبار المؤرخين الحديثين ، مثل **De Sacy** (دي ساسي) ، الذي تناول ديانة الدروز في كتابه : **Exposé de la religion des Druzes** ، في التسرع في الأخذ بكل ما جاء في رسائل حمزة ؛ فترجمها على علاتها ؛ دون أن يميز فيها الصحيح من الزائف . ثم في ترجمته لهذه الرسائل تدخل هو الآخر في مضمون النص ؛ فمثلاً إذا جاءت كلمة مولانا ، قال : **C'est - à - dire Hakem** (أى الحاكم) (٢٧٦) ؛ وإذا جاء في النص قائم الزمان قال : **C'est - à - dire le chef de ce siècle** (أى صاحب هذا الزمان حمزة نفسه) (٢٧٧) ، مع أن كلمة مولانا قد تعنى الله ، وصاحب الزمان هو لقب الإمام القائم (٢٧٨) . ومن المؤكد أن **De Sacy** أساء فهم النص ، بسبب أنه لم يكن في متناوله الكتب الاسماعيلية التي بين أيدينا ، كما لاحظ مستشرق آخر هو **Ivanow** (ايفانوف) (٢٧٩) ، وأن هذه الرسائل مملوءة بالتأويل وعلم الباطن ، شأن كتب الدعوة زمن الحاكم ؛ مما جعلها عسيرة الفهم عليه . كذلك مؤرخنا المعاصر عنان نقل هو الآخر في كتابه : « الحاكم بأمر الله ، وأسرار الدعوة الفاطمية » ، بعض رسائل حمزة دون تمحيص ، وفسر محتوياتها - بما فيها من زيف - على أنها تأييد للقول بالوهية الحاكم . وأخيراً **Betty Bouthoul**

(بيني بتول) في كتابها : "Le Calife Hakim, Dieu de l'an Mille" ، قد خلطت الروايات، المغرضة التي قالتها السنة ، بما ورد من تليفق في هذه الرسائل . وأما أتباع مذهب حمزة اليوم ، وهم المسمون بالدروز خطأ (٢٨٠) ، فقد اقتصروا في العالم الإسلامي على منطقة حوران بالشام (٢٨١) ، التي أصبحت تعرف في وقتنا بجبل الدروز . ونحن لا نعرف سبب اقتصرهم على هذه المنطقة بالذات في الشام ؛ ربما لأنه كان بها سلالة تختلف بتكوينها القوي وخشونتها عن جوارها ، اعتنقت هذا المذهب ، أو ربما لأنه قد سكنتها إحدى هجرات عربية حديثة ، جاءت مع غزوات القرامطة . ولا بد لنا أن نقرر أن أتباع حمزة اليوم على قطع وبقين مسلمون ، دينهم هو الإسلام ، ويشاركون في كل مظاهره ؛ ولكنهم تميزوا في أخذهم بالتصوف ، وهذا يدل على أثر الحاكم القوي فيهم . فهم في أغلبهم لا يعددون الزوجات ، ومنهم من ينقطع كلية عن الزواج ، ومنهم من يصوم الدهر ، أو يضرب عن أكل اللحم طوال حياته ، وهم يقتصدون في الطعام والشراب ، وجميع ملاذ الحس والنفس ، ولا يتناولون الخمر ، كما أنهم يميلون إلى الخلو للتلأمل ، شأن الحاكم (٢٨٢) . إلا أنهم — مثل الشيعة الإيرانيين — يعتقدون برجعة الحاكم في آخر الزمان ، وأنه هو المهدي لا محالة ؛ ويحلفون إلى الآن بنبية الحاكم (٢٨٣) . ويقول كاشف الغطاء — وهو شيعي — إن التدين بالرجعة جائز في الإسلام بقصد إظهار قدرة الله ، وهو من قبل الإيمان بنزول عيسى من السماء ، ووجود الجنة والنار (٢٨٤) .

ولكن بعض المؤرخين حتى في وقتنا ، يحيطون أتباع حمزة اليوم بالعموض ، وكأنهم يكتبون في الظلام ؛ كما أنهم أوردوا عن معتقداتهم مصنوحاً من التناقض لا يقبلها العقل ؛ مثلما فعل المؤرخون السابقون

في كلامهم عن مذهب حمزة ، فيدعون أن الدروز ينكرون وجود الله
والأنبياء ، ويعتقدون أن القرآن ليس من وحى محمد ، وإنما من كلام
سلمان الفارسي أحد صحابته ، وأنهم يعبدون الحاكم ، وقد قسموهم طبقتين :
طبقة العقلاء ويقابلهم في النساء جويدة ، والأخرى الجهال ويقابلهم في
النساء غير جويدة ؛ وأنها يتميزان بلبسهما ، كما أن العقلاء يطلقون
الحاكم (٢٨٥) . ونحن نرى أن مثل هذا الكلام ينبو عنه تفكيرنا ؛ لتناوله
فرقة من المسلمين تعيش بيننا .

وغنى عن البيان أن نقرر أن ما حدث من غلو الدعاة في ذات الحاكم ،
حدث من قبل لأجداده الأئمة ، ولخلفه من بعده ، وفي كل حالة كان الأئمة
الفاطميون يمتحنون على هذه الادعاءات ، ويعتبرونها هرطقة ، وخروجاً
على الاعتقاد الفاطمي ، ويعملون جهدهم على تصحيحها . ونجد استبشاع
هذه الادعاءات على لسان المعزّ - جد الحاكم - في فقرة وردت في كتاب
المجالس والمسائرات ، يحمل فيها على جرأة الدعاة ، فيوجه الكلام إلى
الداعية الفقيه النعمان بن حيون ، فيقول (٢٨٦) : « إنه إنتهى إليك وإلينا ،
أتنا ندفع نبوة محمد وندعى النبوة بعده ، وندفع سنته وشريعته ، وندعو إلى
غيرها ، قلن الله من قال بهذا وانتجله وادعاه ، ومن تقوله علينا ، ورمانا
به ونسبه إلينا » . ثم يقول أيضاً : « فكيف ندعيا (النبوة) وندعى
ما يُصلي الله من ادعاه النار ، ونقول بقول من أبطال نبوة جدنا محمد (صلح)
من الكفار ، والله سائل من قولنا من ذلك ما لم نقله ، ومؤاخذه بقوله » .
وأخيراً يقول : « إن المنتسبين إلينا ، المتقولين ما لم نقله ، أعداء لنا ، وأضر
من عدونا المناصب لنا ، المبين بعداوتنا » . كذلك الظاهر بن الحاكم ،
أصدر سجلاً يفند ما قاله الدعاة في ذات الأئمة ، ويتيح لهم فرصة التوبة كما

أتاحها لهم أبوه ؛ فبفتح حدث في بيحله (٢٨٧) : « من ذهب طائفة من الجهال إلى الغلو في الإمامة ، وعدوها بالأباطيل عن موجب الحقائق ، وصفتها المخلوق بصفة الخالق ، وتبرؤه إلى الله في ذلك » . ثم يقول : « وإنه هو وأسلافه الماضين وأخلافه الباقين مخلوقون اقتداراً ، ومرتبون اقتساراً ، لا يملكون لأنفسهم مرتاً ولا حياة ، ولا يخرجون عن قضية الله تعالى » . وأخيراً يقول : « إنه قدم إنذاره لهم بالتوبة إلى الله تعالى من كفرهم ، ولما يعتمد منه من الإبقاء على الجماعة - الدعاة - ومن أتى ذلك فيهم وأقام على كفره ، فسيف الحق يستأصله » .

☆

إذن لا بد لنا أن نقر أن الحاكم بين الأئمة الفاطميين شخصية متميزة ، وضعت أسس الدعوة ، وعملت على سيادة قانون الأخلاق والدين ، وتركت أثرها في نحلة دينية لا تزال تعيش بيننا .

الفصل الخامس

الأحداث الخارجية

أصبحت الخلافة الفاطمية منذ أن انتقلت من المغرب إلى مصر ،
إمبراطورية واسعة في نمو مستمر ، امتدت من المحيط الأطلسي إلى الخليج
الفارسي . فكان الحاكم مثل أسلافه عاملاً على نمو هذه الإمبراطورية ؛
بحيث أُعتبر عصره عصر سيادة للخلافة الفاطمية ، وقد دل الحاكم على
رجاحة عقل نادرة ؛ بتوزيعه الألقاب الفخرية على الولاة في مملكته (1) ؛
بما قوى من ولائهم . حقاً إن الحاكم انشغل بأمور المذهب في آخر عهده ؛
إلا أنه حافظ على حدود مملكته سليمة ؛ وإن كان لهذا الانشغال المذهبي
أثره على ولايات مملكته بعده ؛ بظهور عوامل الفتور في أجزائها .

وقد كان الشام أهم مكان ظهرت فيه سياسة الحاكم ؛ إذ أنه بالنسبة لحكام
مصر المسلمين منطقة أمان للملاصقة أرض مصر ، وميداناً لجهاد أعداء
الإسلام ؛ لوجود الثغور الإسلامية على حدوده الشمالية . ولقد صادف
الحاكم في الشام نفس الصعاب التي صادفها المعزّ والعزير قبله ، إلا أن الحاكم
يرجع إليه الفضل في توطيد حكم الخلافة الفاطمية فيه .

وقد كانت الصعاب تأتي غالباً من قبل أهل الشام أنفسهم ، وهم من سلالة
عربية تتوزعهم قبائل كبيرة سكنت الشام قبل الفتح ، مثل الطائيين والكليين ،

وتبائل جاءت مع القرامطة حينما غزوا الشام ومصر، مثل سليم وبني هلال .
ونعرف أن عرب الشام لم يكونوا يرحبون بالفاطميين ؛ بسبب أن معظمهم
كان على المذهب السني المعادي للمذهب الفاطمي ، فضلاً عن أن الفاطميين
في أيامهم الأولى ، اعتمدوا في فتحهم للشام على عسكر من المغاربة ،
الذين اعتبروا أعداء تقليديين لعرب الشام منذ الفتوحات الأموية . لذلك
وجدنا قبائل الشام تتحالف مع القرامطة في طرد الفاطميين لما غزوا الشام
في سنة ٣٥٩ / ٩٧٠ ؛ بل ساعدوا القرامطة في غزو مصر أيضاً (٢) .
ثم هناك بقية الحمدانيين في شمال الشام والجزيرة المجاورة (٣) ، وهم أسرة
أرستقراطية من قبيلة تغلب — أعظم قبائل ربيعة — ولم تكن معروفة أيام
الأمويين ، ولكن ظهرت أطاعهم بضعف العباسيين ؛ فسعوا إلى الحصول
على أمرة الأمراء — وهو الحكم المطلق — في بغداد ، ثم أقطعهم الخلافة العباسية
نواحي شمال الشام والجزيرة للتخلص منهم ؛ على أن يحموا ثغور المسلمين
فيها . ولكن الحمدانيين كانوا في حالة سيئة ، فلم يستطيعوا أن يدافعوا عن
ثغور الإسلام كما يجب ؛ بسبب التنازع فيما بينهم ، وإنغماسهم في حياة الترف ؛
فكانوا يبنون قصوراً فخمة ، مثلما فعل سيف الدولة مؤسس دولتهم بالشام ،
الذي حول نهر قُرَيْق — نهر مدينة حلب — وأطافه بقصره (٤) ، وكانوا
يتخذون الجوارى الجميلات من بنات الروم ، وكان يجتمع بياهم الشعراء
وشيوخ العصر ونجومه (٥) . ولذلك وجدنا المعز حينما سير جوهراً لفتح
مصر والشام ، حذره من بني حمدان ، بأنهم غدارون لا ثقة فيهم ؛ ففي رأيه :
« إنهم يتظاهرون بثلاثة أشياء ، وليس لهم فيها نصيب ، يتظاهرون
بالدين وليس لهم فيه نصيب ، ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم
كرم في الله ، ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا لا الآخرة (٦) » .
ولا ريب أن عدااء الفاطميين للحمدانيين يرجع على الخصوص إلى أن

الجمدانيين ساعدوا القرامطة في غزوهم للشام ومصر (٧) .

ووراء كل هؤلاء دولة بيزنطة اليونانية النصرانية ، أو ما كان يسميه المسلمون بالروم . فهذه الدولة كانت قد ضعفت بسبب أن المسلمين في أيام الراشدين والأمويين ، نفوها إلى أقصى بلادها في آسيا الصغرى ، وسيطروا على مستعمراتها في الشرق ، كما أن حدودها في الغرب كانت تحت ضغط هجرات العناصر السلافية مثل البلغار والروس (٨) . واسكن بيزنطة قويت بالأسرة المقدونية النشيطة ، وبضعف الخلافة العباسية نتيجة لغزوات القرامطة في العراق والشام ؛ فبدأت تحركها الأطماع في استرداد أملاكها في الشرق ؛ بحيث أعتبرت محاولاتها في سبيل استرداد الشام ، المحاولات المسيحية الأولى لغزو الأراضي المقدسة ؛ تمهيداً للغزو اللاتيني بعد ذلك . ولا مرأه فقد كانت دولة بيزنطة تزعم النصرانية إلى وقتئذ ؛ إذ كانت تعتبر المسيح امبراطورها : "Christos Basilleus" (٩)

ففي عهد نقفور فوكاس (١٠) "Nickephoros Phokas" ، وكان يسمى طاغية الروم ؛ لأنه قتل الإمبراطور أرمانوس الثاني "Romanos II" ، وتزوج زوجته ثيوفانو "Theophano" ، ووجه كل همه لحرب المسلمين ، فغزا الشام غزوات متتالية منذ ٩٦٢/٣٥١ ؛ فاستولى على أهم مدن الثغور ، ثم فتح حلب ، واضطر سيف الدولة - مؤسس دولة الجمدانيين بالشام - إلى ترك حلب والهروب أمامه ، وطلب الهدنة . وبعد موت سيف الدولة في ٩٦٧/٣٥٦ ؛ انتهز نقفور فرصة تنازع قراد الترك على الوصاية على أبي المعالي سعد الدولة بن سيف الدولة ، ودخل الشام من جديد ، ووصل فيه حتى طرابلس ، وأقام شهرين ثم رجع ، بعد أن أخذ أسرى كثيرين ، وأجبر خلقاً كثيراً على التنصر ؛ كما استولى على أنطاكية وضمها إلى ملكه ، وهي التي كانت (م - ٩ الحاكم بأمر الله)

مفتاح عواصم المسلمين أيام الأمويين والعباسيين ؛ وسبي من نساها وأطفالها نحواً من عشرين ألفاً (١١) .

ولكن نقفور لقي حتفه في ٩٦٩/٣٥٩ على يد أقرب الناس إليه ، وهي زوجته ثيوفانو ، التي كانت تكره زوجها الشرس ، فدبرت مؤامرة لقتله ، بالاشتراك مع شخص أرمني اسمه "Tchemeshauig" ، وإن عرف باسم زمسكيس "Zimiskes" ، وسماه العرب ابن الشمشقيق ، فقتل زمسكيس نقفور وهو يقرأ في الإنجيل ، وتولى الملك بعده (١٢) . وقد كان زمسكيس مثل سلفه تحركه الأطماع في استرداد بيت المقدس ، ويعتقد استعجاله بقاء الحياة بينه وبين الفاطميين . فأغار على الشام في ٩٧٣/٣٦٣ ، وسهل له ساعد الدولة وقبائل العرب السير فيه ، فسلمت دمشق ، التي كان استولى عليها مغامر تركي اسمه أفتكين بمساعدة أهلها لمنع الفاطميين من العودة إلى الشام ، وأراد زمسكيس أن يتوجه إلى فلسطين ؛ حيث يوجد الجيش الفاطمي ، الذي تحصن في القدس . ولحسن الحظ أن زمسكيس ما لبث أن عاد إلى القسطنطينية ؛ ربما بسبب الاضطراب فيها ، أو لأنه زهد في الحكم ، وذهب إلى الدير وترهب ، لتأنيب ضميره له على قتله نقفور ، أو لأنه دُس له السم ومات (١٣) .

هذه الغزوة البيزنطية المفاجئة أفهمت العزيز ، الذي تولى بعد المعز بضرورة احتلال الشام ، حتى يمنع عدو الإسلام من العودة إليها . فأرسل جوهر أليقاتل أفتكين التركي والعرب ، فاستدعى أفتكين الحسن الأعجمي زعيم القرامطة ، وهزموا جوهر أ . فذهب العزيز بنفسه للقضاء على أفتكين والقرامطة ، وذلك في ٩٧٩/٣٦٨ (١٤) ؛ ويرجع إلى العزيز الفضل في توطيد سيطرة الفاطميين في جنوب الشام ، حتى دمشق .

ثم وجه العزيز همه إلى القضاء على الحمدانيين ، الذين قبلوا حماية بيزنطة ، فكان أميرهم سعيد الدولة أبو الفضائل ، الذي تولى بعد أبيه سعد الدولة ، ووصيه التركي لؤلؤ الكبير ، يحملان المال المقرر والهدايا إلى الروم (١٥) . فإرسال العزيز نحوهم قائده التركي منسججو تكين في ٩٩٢/٣٨٢ ، على رأس العسكر المصري ؛ ليثير غلمان الأتراك في حلب ؛ فهاجم منجوتكين حلب وأحاطها بالحانات والحمامات ، وصمم على الاستيلاء عليها ؛ بحيث اشتد الحصار بالحمدانيين . عندئذ استنجد لؤلؤ بالروم ، وتوسل لهم بالمعاهدة التي بينهم وبين الحمدانيين ؛ وكتب إلى ملكهم : « متى أخذت حلب ، أخذت أنطاكية ، ومتى أخذت أنطاكية ، أخذت قسطنطينية » (١٦) .

فانتهم باسيل الثاني « Basilios II » — عظيم الروم — الذي كان تولى بعد زمسكيس ، فرصة العداة بين الفاطميين والحمدانيين ؛ لاستعادة الشام ، لاسيما وأنه كان قد انتهت حروبه مع الروس ، الذين كانوا يسكنون نهر الدنيبر ، وعاصمتهم في كييف ، وقد اعتنق ملكهم النصرانية في ٩٨٥/٣٧٥ ، وأنه هزم البلغار بعد حروب استمرت خمسا وثلاثين سنة (١٧) ؛ بحيث سمي بقاتل البلغار : « Bulgaroktonos » (١٨) . فأسرع باسيل الثاني إلى دخول الشام ، في جيش كبير عدده مائة ألف ، يساعده أسطول كبير من الشلندييات (١٩) — وهي مراكب حربية كبيرة — فسابت له حلب وحمص . ولكن باسيل الثاني اضطر هو الآخر إلى الإنسحاب لظروف داخلية أو خارجية .

فلما سمع العزيز بزحف ملك الروم جهر أسطولا كبيرا في ميناء القاهرة المسمى : « المقس » (٢٠) وهو الأسطول الذي بناه المعز من ستائة مركب ، ولكن في ظروف غامضة احترقت بعض مراكبه ومعها عدة الأسطول وسلاحه ، وأتهم به جماعة من الروم في مصر — لعلمهم من

الروم المملكانية — فاستعجل العزيز بناء أسطول خيره . كذلك نادى العزيز بالنفير العام في المصريين « الناس » ، وجمع منهم أعداداً هائلة ، كما كتب إلى أهل الشام بالسير نحو ملك الروم ، حتى اجتمع بدمشق من العساكر ما لم يجمع من قبل (٢١) . ولكن العزيز ، الذي ذهب على رأس عسكر المصريين إلى بلبيس ، شرق الدلتا في طريق الشام ، وكأنه فرعون مصر ؛ توفي فجأة قبل تحرك العسكر في ٢٨٦/٩٩٦ (٢٢) .

وبعد العزيز وفي أول وصاية برجوان ، حدثت مصادمات عنيفة بين الروم وجيش الحاكم واسطوله ؛ وأحرز جيش الحاكم واسطوله انتصارات هائلة ، بما لم يقع مثله قبلاً منذ مجيء الفاطميين في الشرق . ففي عام ٣٨٨/٩٩٨ ، أفسد الجيش الفاطمي تدخلاً من باسيل الثاني في صور ، وهي مدينة بساحل البحر الأبيض تقع غربي نواحي صور ، كانت أشبه بالكف في البحر ، لها طريق ضيقة إلى البر ، وسورها من كل جهاتها ، ولها مرسى . فقد ثار بها رجل ملاح مغامر اسمه علاقة ، فارسل إليه باسيل الثاني أسطولاً لمساعدته . فتبعض علاقة على الأمور في صور ، وضرب العملة ، ونقش عابها : « عزاً بعد فاقة للأمير علاقة » . فارسل برجوان جيشاً حاصر صور ، كما أرسل الأسطول ، الذي استطاع هزيمة أسطول الروم ، وأخذ علاقة أسيراً ، وأرسل إلى مصر ، فسلخ وصاب بهاء . وفي نفس العام توغل جيش الحاكم في أرض الروم في منطقة الثغور ، وقابل جيشاً بيرنطياً بقيادة الدوق داميانوس اللاستوس « *Ducas Daniien* » قتل الدوقس ، وأسر أبناؤه (٢٣) .

ويبدو أن برجوان وصي الحاكم ، لم يكن يريد أن يستمر العداء بين الفاطميين والروم ؛ ربما لرغبته في الانشغال ببسط سلطانه في مملكة الحاكم ، أو لأنه انشغل باللهو عن أعمال الدولة في آخر أيامه كما ذكرنا ؛ فسعى إلى الصلح معهم . ومن قبل ، كان ابن كاس وزير العزيز المشهور ، قد نصح خليفته وهو علي فراش الموت ، بعقد السلام مع الروم (٢٤) ، لا سيما وأنه عقدت معهم هدنة سابقة في ٣٧٧ / ٩٨٧ (٢٥) ، لم ينقضها غير هجوم باسيل الثاني الأخير في الشام . ولعل ابن كاس كان يقدر أنه لا يمكن الاستمرار في محاربة الروم ؛ إلا إذا عمل الفاطميون أولاً على السيطرة في الشام ؛ لذلك جرت بين برجوان وباسيل الثاني مراسلات وملاطفات ، وأرسل أريسطس بطريك بيت المقدس ، وخال ست الملك إلى القسطنطينية ، مع رسول الروم ، وتم عقدهدنة لمدة عشر سنوات في ٤٩٩ / ١٠٠٠ . وكان من شروط الصلح أن يتمتع الروم في إمبراطورية الفاطميين ، بالحرية الدينية ، ويسمح لهم بتجديد كنائسهم (٢٦) .

ومع أن الحاكم بعد ذلك قبض على صولجان السلطة من قواده ، وتعصب ضد الروم الملكانية في بلاده ، وهدم كنيسة القيامة التي يمج إليها الروم ؛ فقد بقي متمسكاً بالهدنة مع باسيل الثاني . فحينما أرسل ملك الروم للحاكم بعثة في ٤٠٥ / ١٠١٤ ، أحسن الحاكم وولى عهده استقبالها في قصره ، فاصطفت العساكر بعندها وأسلحتها ، وفرش الإيوان ، وعلق على حيطانه الديباج بالذهب ، حتى صار يتلألأ بالذهب ، كما علق في صدره درقة مكللة بفاخر الجواهر ، تضيء ما حولها (٢٧) . وانكن باسيل الثاني ربما يكون قد فكر في نقض الهدنة ؛ بسبب أن جماعة كاثوليكية تعرف بالأبناز - لا يعرف أصلهم ، ولعلهم من البلغار أو الهنغار أو الروس - وملسكهم

يُسمى بالأبجاذى ، كانوا يحاربون باسيل الثاني ، الذي أرسل نحوهم أسطوله ، فكاتب جرجس ملكهم الحاكم في أن يتعاقد معه على حرب باسيل الثاني ، وأن يقصده كل واحد من جهته ، بحيث أن باسيل الثاني استعد لمهاجمة الحاكم ، لولا فقد الحاكم (٢٨) . ولكن ست الملك أخت الحاكم ، التي تولت وصاية الظاهر بن الحاكم ، أسرعت باسترضاء باسيل الثاني ، فأرسلت إليه نفقور بطريك بيت المقدس ، ليطلبه بعودة الكنائس ، وتجديد كنيسة القيامة المقدسة وسائر البيع في جميع بلاد مصر والشام ، ورجوع أوقافها إليها ، واستقامة أمور النصارى ؛ وذلك مشافهة من غير مكتوبة ، مما جعل باسيل الثاني يعدل عن نقض الهدنة (٢٩) .

هذه السياسة السلمية مع بزنطة ، هيأت الفرصة للحاكم ليسيطر على الشام سيطرة تامة ؛ وهذا لم يحدث قبلاً . فتعرف أن عرب الشام كانوا في عداوة مع الفاطميين ، حتى بعد استيلاء العزيز على بلادهم . وفي أول عهد الحاكم ، انتهزوا الفتنة بين طوائف المغاربة والمشاركة ، فثاروا بزعامة المفرج بن دغفل بن الجراح كبير قبيلة طيء . ولكن برجوان أرسل نحو المفرج جيشاً طارده وأسرته ، وحمله إلى القاهرة ، ثم أطلق سراحه (٣٠) ؛ مع أن ابن كاس وهو على فراش الموت ، كان قد نصح بقتله (٣١) . ويبدو أن عرب الشام لم تعجبهم سياسة الحاكم المذهبية ، فعادوا للثورة من جديد ؛ بحيث أنهم احتروا على معظم جنوب الشام إلى الفرما أي مدخل الدلتا المصرية ؛ كما أنهم هاجموا حصون السواحل ، التي فيها عساكر فاطمية . وقد أصبح حكم العرب في الشام رهيباً ، حتى أن عدداً كبيراً من سكانه البلاد غير المسلمين خرجوا إلى بلاد الروم . وقد استمرت ثورتهم مدة سنتين ونصف من ٤٠٢ / ١٠١١ إلى ٤٠٤ / ١٠١٣ ، دون أن يرسل

الحاكم نحوهم جيشاً . ولكن لما استفحل خطرهم ، بدعوتهم عرب الحجاز إلى التضامن معهم ، أرسل الحاكم نحوهم جيشاً مغرباً قوياً ، بقيادة عليّ ابن جعفر بن فلاح ؛ كما أمر بقية الجيوش التي كانت بدمشق والسواحل ، الاشتراك في قتالهم . ويبدو أن الحاكم تمكن من قتل المفرج زعيمهم ، بأن دس له السم ، فتمكنت جيوش الحاكم من مهاجمة العرب في كل مكان ؛ بحيث هرب أولاده ، لا سيما حسان ، الذي بقي شريداً وقتاً طويلاً ، إلى أن جاء إلى مصر في ثياب كان الحاكم منحها لأم حسان ، وهو راكب حماراً ، وطلب الصفح من الحاكم (٢٢) . وبذلك قضى الحاكم على أكبر خطر قام به عرب الشام ضد الدولة الفاطمية .

وكذلك نجد الحاكم قد تمكن من أخذ حلب أيضاً ، التي لم تنجح حملات أبيه العزيز في أخذها . فقد كان لؤلؤ الكبير استولى على حلب بعد موت أبي الفضائل في ٣٩٢ / ١٠٠٢ (٢٣) ، الذي يبدو أنه مات مسموماً ، وضيق على أسرة الحمدانيين ، فهرب أبنا أبي الفضائل وهما أبو الحسن عليّ وأبو المعالي شريف إلى الحاكم ؛ كما هرب أخو أبي الفضائل المسمى أبا الهيجاء إلى باسيل الثاني ؛ بحيث لم يبق من ذرية الحمدانيين أحد في حلب . ويبدو أن لؤلؤاً قدّر صعوبة موقفه من دولة الفاطميين بعد عقدتها الصلح مع الروم ؛ فأعلن الطاعة للفاطميين ، وليبيين صدق خضوعه ، أرسل أولاده إلى مصر ، وأعلن الدعوة الفاطمية في مملكته .

ومع أن الحاكم كان قد أرسل جيوشه لمساعدة لؤلؤ في القضاء على أبي الهيجاء ، الذي حاول استعادة حلب بموافقة باسيل الثاني ، فإن لؤلؤاً عاد إلى موقف الضعف ، وقطع الدعوة الفاطمية ؛ بل إنه حارب والي طرابلس من قبل الحاكم ؛ لذلك شجع الحاكم ضد لؤلؤ زعماء بني كلاب

المحيطين بحلب ، وهم المرदाسيون ، وقد كان الحمدانيون سيطروا عليهم لما أقاموا دولتهم . فأخذ بنو كلاب بقيادة صالح بن مرداس الكلابي ، يغيرون في بلاد لؤلؤ ، بتحريض الحاكم .

وبعد موت لؤلؤ في ٣٩٩ / ١٠٠٨ ، خلفه ابنه مرتضى الدولة بهمنصور فخاربه الكلابيون ، كما حاربوا أباه ، بحيث استولوا على نصف بلاده ، وجعلوه يفر إلى الروم في ٤٠٤ / ١٠١٣ ، وبذلك زال ملك بني حمدان على حسب ملاحظة ابن تغرى بردى ، وقد منح الحاكم صالح بن مرداس بهذه المناسبة ، لقب : أسد الدولة . ولكن فتحاً أحد غلمان بهمنصور ، احتفظ بالقلعة في حلب ، ولم يرض أن يسلمها لصالح ، واتصل بجيش الحاكم ، فلقبه الحاكم : مبارك الدولة . ولما دخل جيش الحاكم حلب بالإتفاق مع فتح ، واستولى على القلعة والمدينة ، زاد الحاكم في لقب فتح ، فأصبح يلقب : مبارك الدولة وسعدها وعزّها . فأصبحت حلب لأول مرة خاضعة لنواب الحاكم إلى أن تولى الخلافة الظاهر ، وولاهها الحاكم أحد الحمدانيين ليعارض به المرदाسيين ، وهو عزيز الملك (الدولة) فاتك ، الذي لقبه بأمير الأمراء ، فحكمها فاتك من ٤٠٧ / ١٠١٦ ، إلى نهاية حكم الحاكم .

بما سبق يتبين نجاح سياسة الحاكم في الشام ، حيث سيطر عليها من حدود مصر إلى الفرات . يُضاف إلى ذلك أن الشام ، وقد كان تربة معادية للفاطميين ، أصبح في عهده بفضل نشر الدعوة المذهب الشيعي ، تربة صالحة للدعوة الشيعية ، بحيث أن الشام لا يزال مركزاً من مراكز الشيعة إلى وتمدنا الحاضر .

كذلك كان هدف الفاطميين منذ تكوين دولتهم بالمغرب ، تدمير خلافة العباسيين في العراق ، عدوهم اللدود . ولكنهم حين انتقلوا إلى مصر وفتحهم الشام ، أحجموا عن ذلك ؛ بسبب هجمات الروم في الشام ، ولأن العباسيين كانوا قد سيطرت عليهم دولة شيعية هي الدولة البويهية ، وأصبح العراق نفسه مرطناً هاماً للتشيع (٢٤) .

فقد كان العباسيون في فترة احتضار ، وأصبح الخليفة العباسي أشبه بشبح لا سلطان له تحت وصاية المتغلب عليه من قواده الأتراك الأقوياء ، وذلك منذ عهد المعتصم . ومنذ ٣٣٤ / ٩٤٥ ، لم يقف ضعف الخليفة العباسي على استيلاء رجل أقوى منه على السلطة ، ولكن تطور الأمر إلى أن سيطرت عليه أسرة تحكم معه وارثاً عن وارث ، هي أسرة بني بويه (٢٥) ، التي أصلها من عنصر الديلم الفارسي ، المقيمين حول بحر قزوين . وقد بقي الديلم وقتاً طويلاً على دينهم المجوسي ، إلا أنهم تحولوا إلى الإسلام منذ سنة ٢٥٠ / ٨٦٤ ، وظهرت لهم مطامع على يد الأسرة البويهية ، التي تمكنت من تكوين دويلات بزعامة أفرادها في فارس ؛ بسبب ضعف الخلفاء العباسيين ، ثم استولت على بغداد من الأتراك المتغلبين عليها . فكان بنو بويه مع الخلفاء العباسيين أشد وطأة من قواد الأتراك ، وأصبح الواحد منهم يسك العملة باسم شاهنشاه أي ملك الملوك ، ويقرن اسمه باسم الخليفة العباسي في الخطب على منابر المساجد ، وتضرب له الدفوف - الطبل - أمام قصره في الضحى والعش ، وهذا لم يكن يحظى به غير الخليفة العباسي من قبل (٢٦) .

يُضاف إلى ذلك أن بنو بويه على عكس قواد الأتراك السنة ، كانوا متشيعين ؛ فقد كانت القومية النارية منذ زمن تمد تحولت إلى الشيعة (٢٧) ؛

بسبب أن الحسين كان قد تزوج جهانشاه ابنة يزيد جرد . ولكن تشيع البويهيين ، كان على أساس المبدأ الزيدي (٢٨) ، نسبة إلى زيد بن عليّ السجاد ابن الحسين بن عليّ ، الذي قُتل أيام هشام الأموي . فكان الزيديون لا يعترفون بخلافة العباسيين ؛ إلا أنهم كانوا يقبلون خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، فقالوا بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، كما قالوا إن الإمامة غير واجبة شرعاً ، وأنها تقليد يمكن الإستغناء عنه ، وأن الفقهاء يكونون عوضاً عنها . ومع ذلك يجب أن نقرر أن البويهيين لم يكن لهم إمام حاضر ؛ وأن فقه مذهبهم لم يصل إلى درجة الفقه الإسماعيلي مثلاً .

معنى هذا أن الفواطم حينما نقلوا خلافتهم من المغرب إلى مصر ، وامتد ملكهم نحو العراق بالاستيلاء على الشام ؛ وجدوا تشيعاً في بغداد ، مركز الخلافة والأرض الخاضعة لها في العراق والمشرق ، وأن صاحب هذا التشيع هو صاحب الأمر والنهي . فكان هذا من شأنه ولا ريب ألا يدفع كلاً من الفاطميين أو البويهيين إلى أن يقضى الواحد منهما على الآخر ، ولكن على العكس عمل على التقريب بينهما . وتليس هذه الروح والميل الصريح نحو الفواطم من قبل البويهيين مما حاوله معز الدولة أول البويهيين في بغداد بالكشف عما في قلبه بالبيعة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله لما جاء مصر ، لولا أن أشار إليه أصحاب النظرة البعيدة من أتباعه بتركه هذا الأمر خوفاً على سلطانه وسلطانهم ، ونفوذه ونفوذهم (٢٩) . فالخوف على سلطانهم كان الحائل الوحيد في سبيل إعلان الفاطميين أئمة عليهم ، وهو نفسه الذي جر القرامطة إلى مقاومة الفاطميين وحرهم . ومع ذلك ، فالولاء لأئمة الفاطميين من البويهيين أصحاب الأمر والنهي في بغداد ، كان يعليه الملأ في كل مكان ، وتحت سماع الخلافة العباسية .

ولعل العلاقات الحسنة بين البويهيين والفاطميين لم تكن من القوة والصفاء ، مثلما كانت بين عضد الدولة البويهى والعزیز الفاطمى . وقد احتفظ لنا أبو المحاسن (ابن تغرى بردى) برسالة بين العزیز الفاطمى رداً على رسالة عضد الدولة ، وفيها يشكر عضد الدولة على ولائه وخضوعه ، كما انتهر عضد الدولة وصول رسول العزیز بهذا المكتوب لينذل الخلافة السنية عدوة الفواطم ، فقرأ الرسالة مع ما تحمله من خضوع سافر وولاء ظاهر للفواطم فى حضرة المطيع ، حتى دهش أبو المحاسن وتعجب ؛ وإن كان ليس هناك ما يدعو للعجب لإجتماع البويهيين والفواطم فى رمز واحد ، وإمام واحد ، هو « على » . ويجمل بنا أن نعرض بعض ما جاء فى هذه الرسالة (٤٠) الهامة : « وبعد ، فإن رسولك ، وصل إلى حضرة أمير المؤمنين ، مع الرسول المنفذ إليك ، فأدى ما تحمله من إخلاصك فى ولاء أمير المؤمنين ومودتك ، ومعرفتك بحق إمامته ، ومحبتك لأبائه الطائعين الهادين المهديين . . . » ، ثم ذكر كلاماً طويلاً فى المعنى . أما بقية الكتاب ، فيستدل منها على أن العلاقة لم تقف عند تبادل عبارات المودة والصداقة ، بل تعدتها إلى تبادل الرأى والمشورة ، فيما يحيط بهما فى العالم الإسلامى من خطر الروم ، وضعف الحمدانيين فى منطقة الشغور .

ولقد شارك عضد الدولة العزیز فى كرهه للحمدانيين ؛ فمكأ عمل العزیز على محاربة حمدانى الشام ، عمل عضد الدولة على القضاء على حمدانى الجزيرة ، لاسيما وأنهم كانوا هم الآخرين فى منازعات داخلية ؛ فقد كان أبو تغلب قبض على أبيه ناصر الدولة ، واستولى على السلطة منذ ٩٦٧/٣٥٦ ، فغزا عضد الدولة دولة أبي تغلب واستولى عليها ؛ فهرب أبو تغلب إلى الشام وقتل فيها فى ٩٧٩/٣٦٩ (٤١) . وكذلك لما حدث نزاع بين باسيل الثانى ،

ورجل اسمه بردس السقاروس « Bardas Skléros » ، فكر عضد الدولة في مشاركة العزيز في جهاده ضد الروم ، بالمساومة ببردس الذي التجأ إليه ، لاسترداد المدن التي فتحها الروم في منطقة الثغور . ولكن صمصام الدولة ابن عضد الدولة عقد معاهدة مع الروم في ٩٨٦/٣٧٦^(٤٢) ، مثلما فعل العزيز في السنة التالية في ٩٨٧/٣٧٧ .

ولكن بعد موت عضد الدولة في ٩٨٦/٣٧٦ ، ضعف البويهيون ، وتغير الموقف بين الفاطميين والعباسيين ، بسبب ما ترتب عليه من تقوية هذه الأخيرة ، عدوة الشيعة . وقد كان ضعف الدولة البويهية بسبب أن بناءها كان ضعيفاً ، فهي مثلاً لم تكن ذات عاصمة معينة ، وإنما انقسمت بين أعضاء الأسرة البويهية ، وأصبحت تبريز والري وأصفهان وبغداد عواصم كل أمير بويهي ، ينزع إلى الاستقلال ؛ بحيث أن الخليفة الطائع السني كان يجلس للمصالحة بينهم ، ويجمعهم على الائتلاف^(٤٣) . وزاد من ضعف البويهيين اعتمادهم على الأتراك وغيرهم في منازعاتهم^(٤٤) ، مع أن استيلاء البويهيين على السلطة - لا سيما في بغداد - كان بطرد الترك ، وانتصار العنصر الفارسي على التركي . يضاف إلى ذلك ، أن المذهب الزيدي كان يبيع الحرية المذهبية ، ويجيز المهادنة بين أهل الملتين ؛ فكان هذا من شأنه أيضاً تقوية أمر السنة على حساب الشيعة .

وكان مظهر ضعف البويهيين في العراق ، هو أن السنين فيها أقاموا مشاهد لأعداء العلويين ، مثل مشهد الزبير بن العوام أحد أعداء علي ، الذي حاربه في موقعة الجمل ، كما أقاموا أعياداً تقابل أعياد الشيعة مثل يوم الغار ، جعلوه بعد ثمانية أيام من يوم الغدير في السادس والعشرين من ذي الحجة ،

وسبعوا إزاء يوم عاشوراء ، يوم مصرع مصعب بن الزبير ، الذي عملوه لأول مرة في ٣٨٩/٩٩٩^(١٥) . وكذلك كان من مظاهر ضعف البويهيين ؛ تدخل الخليفة السن في أمور السياسة في بغداد ؛ فأظهر ما يكمنه من بغض وحقد نحو الشيعة عموماً . فقد عمل الخليفة القادر بالله ، الذي تولى بعد عزل الطائع في ٣٨١/٩٩١^(١٦) ، على منع الشيعة في أحياء الكرخ والطاق ببغداد ، من الاحتفال بيوم عاشوراء ، والنوح على الحسين في ٣٨٢/٩٩٢ ؛ مع أنه عمل منذ نحو ثلاثين سنة^(١٧) . ولما حدثت ثورة بين أهل السنة والشيعة ، وصاحت الشيعة : « حاكم يا منصور » ، إشارة إلى خليفة مصر ، أنفذ القادر الحراس لنصرة السنة^(١٨) . بل تمكن أحد قواد الترك في بغداد من حبس بهاء الدولة البويهى ، وأصبح الخليفة والأتراك هم المسيطرون في بغداد^(١٩) .

وأكثر من ذلك ، أن الخليفة العباسى السن أظهر ؛ ما يكمنه من بغض وحقد نحو الدولة الفاطمية ؛ عدوه اللدود . فوقف بالمرصاد للعقيليين بالجزيرة^(٢٠) ، الذين سعوا إلى التقرب من الفاطميين . فقد كان بنو عقيل هاجروا من البحرين إلى الموصل ، وأصبحوا من رعايا بنى حمدان ، ولكن لما استولى البويهيون على دولة بنى حمدان ؛ تمكن العقيليون من الاستقرار مكانهم . فلما تولى قرواش بن المهملد أمير عقيل ، الملقب بمعتمد الدولة ، أعلن الخطبة في الموصل والكوفة والمدائن للحاكم في سنة ٤٠١/١٠١١ ؛ كما ضرب اسم الحاكم على السكة والبنود . وقد احتفظ لنا أبو الحسن بنص الخطبة ، وهى اعتراف صريح بالحاكم وأسلافه ، ختمها بقوله^(٢١) : « اللهم واجعل نواى صلواتك ، وزواكى بركاتك ، على سيدنا ومولانا إمام الزمان ، وحصن الإيمان ، وصاحب الدعوة العلوية ، والملة .

الذبوية ، عبدك ووليّك المنصور أبي عليّ الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ،
كما صلّيت على آباءه الراشدين ، وأكرمت أجداده المهديين . اللهم وفّقنا
لطاقته ، وأجمعنا على كلمته ودعوته ؛ واحشدنا في حزبه وزمرته . اللهم
وأعنه على ما ولىّته ، واحفظه فيما استرعيتَه ، وبارك له فيما آتيتَه ، وانصر
جيوشه ، وأعل أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها ، إنك على كل شيء
قدير . فلما علم القادر بذلك ، حرص الترك على مهاجمة العقيليين ، وأراد
أن يسير نحوهم بنفسه ، وأنفق في المعسكر مائة ألف ، بما اضطر قروايش
أن يلغى الخطبة للحاكم .

وقد كان هذا الضعف البويهي مشجعاً للخليفة السني القادر بالله على أن
يهاجم الخلافة الفاطمية نفسها . فطعن في نسب الفاطميين في محضر رسمي (٥٢) ،
قرأ على المنابر وأرسل إلى جميع ولايات الخلافة ، وهو النسب الذي
يجعلهم ينتسبون إلى فاطمة وعليّ ، وترتكز سلطة الدولة الفاطمية عليه .
وقد كانت الخلافة العباسية تشكك في نسب الفاطميين (٥٣) ؛ ولكن لم يحدث
أن ظهر طعن رسمي قبل ذلك . وقد حرص الخليفة العباسي على أن يأخذ
توقيعات كبار الأشراف العلويين والفقهاء والعلماء في بغداد (٥٤) ، وذلك
حتى يحوز الطعن الأهمية ، ولا يتسرب الشك إلى الناس ، مثل : الشريف الرضي ،
وأخوه المرتضى نقيب الطالبين ، والأبيوردى والأسفرائيني وأبو جعفر
السنيني من العلماء ، وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة ؛ من أسرة النعمان في
مصر ، التي أبعدها الحاكم عن مناصب دولته . وهما هي صورة المحضر : «... فشهدوا
جميعاً أن الناجم بمصر ، وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم — حكم
الله عليه بالبوار والخزي والنكال — ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن ابن
سعيد — لا أسعده الله — فإنه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله ، وتلقب

بالمهدى ، وهو ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس — عليه وعليهم اللعنة — أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ، وأن ذلك باطل وزور . . ، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق بخار زنادقة . . ؛ قد عطلوا الحدود ، وأباحوا الفروج ، وسفكوا الدماء ، وسبوا الأنبياء ، ولعنوا السلف ، وادعوا الربوبية .

وكتب في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة .

والواقع أن نظرة واحدة إلى هذا المحضر ، تكشف عن اضطرابه وزيفه ؛ إذ ليس فيه براهين ، وإنما قدح وترهات ملؤها التعصب ؛ بحيث لم يخرجوا الفاطميين فقط من النسب الشريف ، بل وأنهم راحوا يخرجونهم من الإسلام قاطبة . وقد رأى المؤرخ الحصيف ابن خلدون في مقدمته^(٥٥) ، أن العباسيين طعنوا في نسب الفاطميين ، بسبب أن الفاطميين شاركوا في دولتهم ؛ أما من وافقهم على ذلك فهو من باب التزلف ، وأن شهادتهم كانت على السماع ؛ تصديقاً لأحاديث ملفقة . ولدينا مقالة شيقة من الأمير الهولندي مامور « Mamour^(٥٦) » ، يناقش فيها سبب ظهور هذا الطعن في عهد الحاكم ، وذلك في كتابه الممتع : « Polemics on the origin of the Fatimi Caliphs » ؛ يلخصها في البنود الآتية :

١ — الكراهية المتأصلة في العباسيين . من نسل علي وفاطمة .

٢ — المرارة من مقاسمة الفاطميين أملاكهم ، وذلك حينما هددوا

سلطانهم .

٣ — الحقد الذي تولد من منافسة القاهرة قاعدة الفواطم لبغداد قاعدة

العباسيين ، كمرکز للعلم والثقافة والفن والأدب الإسلامي .

- ٤ — الخوف من امتداد سلطان الفاطميين لما بقي من أيديهم .
 - ٥ — الفرصة مؤاتية لاختلاف العلويين وتفرقهم بين فرق مختلفة .
 - ٦ — إمكان التأثير على بعض العلويين في بغداد ، وضمهم لجانبهم .
 - ٧ — كذلك البويهيون لا يمانعون ؛ لأنه قد نالهم الضعف ، فقدروا الخطر الفاطمي حق قدره .
 - ٨ — إمكان إثارة العناصر السنية التي توجد في البلاد التي امتلكها الفاطميون .
 - ٩ — إعلان هذا المحضر من شأنه أن يضعف نفوذ الفواطم ، ولا ضرر منه على العباسيين .
 - ١٠ — ملاءمة الوقت لوجود خليفة متعصب هو الحاكم .
- ولكننا نلاحظ في الطعن أيضاً ، أن العباسيين نسبوهم إلى أصل مجوسى ، وعلى الخصوص إلى شخص غامض اسمه: ديسان بن سعيد . ولدينا معلومات أخرى عن هذا الشخص ؛ فهو ميمون بن ديسان المعروف بالقداح ، كان مولى جعفر ابن محمد الصادق ، وكان من الأهواز بفارس (٥٧) ؛ والقداح هو كحال يقح العين إذا نزل فيها الماء . وربما يكون الطعن بنسبتهم إلى هذا الشخص بالذات ؛ لأن القرامطة قبلهم — لما حاربوا الفاطميين — قد نسبوهم إليه (٥٨) . بل إن الفاطميين أنفسهم ذكروا القداح في كتبهم ، فقد تناقلوا أن محمد بن إسماعيل اختفى مع شخص اسمه ميمون القداح ، وابنه عبد الله (٥٩) ؛ وربما كان ميمون بذلك أول حجة للإمام المكتوم (٦٠) . ومما زاد الاضطراب هو أن الفاطميين لم يتكلموا عن أئمتهم في دور الستر ، حتى بعد فترة الظهور ؛ ربما لأنه كان في اعتقادهم أن فترة الستر موحى بها ، فكان إذا سأهم أحد عن

هؤلاء الأئمة المستورين لم يجيبوا ، وقالوا : « هم أئمة قهروا ، قنستروا ، ولم يؤمروا باظهارهم ولا ذكرهم لأحد (٦١) ، حتى أن علماء كباراً من الشيعة مثل الرازى والنعمان لا يذكرونهم . كما أن بعضهم تحدث عن هذه الفترة بما يحلو له ، بحيث جاء حديثهم مضطرباً ؛ فاختلف في أسماء الأئمة وعددهم . كذلك ذكرت بعض كتب الفاطميين أن المهدي ليس هو الجد الحقيقي للفاطميين ، وإنما هو سعيد الخير الأب الروحي لأبي القاسم ، الجد الحقيقي لهم . ويذكر ابن حمّاد السنى ، أن أبا القاسم كان في أيام أبيه يركب بالمظلة ؛ وباسمه كانت تنفذ الكتب والعهود ؛ مما يزيد ما ورد في هذه الكتب الشيعية (٦٢) . فيبدو أن العباسيين استغلوا فترة الستر ، وروايات الشيعة خاصة بالمهدى وولىّ عهده ؛ لكي يظهروا الفاطميين بمظهر المدعين للنسب الشريف .

مهما يكن ، فقد ظهر أثر هذا الطعن الرسمي بين سكان أملاك الفاطميين . ففي مصر يقول أبو المحاسن : إن الحاكم هان في أعين الناس لكتابة العلماء في المحضر ، وأنه قامت قيامته . وقد يكون هذا القول صحيحاً ؛ بحيث أنه لما شاع عن الحاكم دعوى الألوهية ؛ ازداد الناس سخرية منه . فنجد الحاكم يرد على ذلك ، بأنه كان يذكر نسبه في كل جمعة وهو على المنبر يخطب ؛ لا سيما وأن الناس كانوا يدسون له رقاعاً محتومة بالدعاء عليه ، والسب لأسلافة (٦٣) . وفي الوقت نفسه ، أرسل الحاكم الأموال الجزيلة إلى من في العراق من الولاة ليجتذبهم إليه (٦٤) ؛ كما وجه جهاز الدعوة الهائل لاجتذاب ملوك البويهيين ؛ فعين في العراق والجزيرة حميد الدين الكرمانى ، الذى وصف بحجة العراقيين (٦٥) . وقد استطاعت دعوة الحاكم اجتذاب أهل الأماكن البعيدة في أملاك العباسيين ، فكانت دعواته في الهند قوية جداً ؛ فقد كان الفاطميون يرسلون إليها الدعاة منذ زمن الدعوة الأولى (م - ١٠ - الحاكم بأمر الله)

أيام ابن حوشب كبير دعواتهم باليمن (٦٦) ، بحيث كون الشيعة في الهند دويلات أشهرها المُدَلَّتَان (٦٧) ، فكان -عكسها- يرسلون الهدايا وأموال الدعوة إلى أئمة الفاطميين بمصر . ولكن لما قامت دولة الغزنويين السنية على حدود الهند (أفغانستان) ، ثم توسعت باستيلائها على إقليم ما وراء النهر من السامانيين (٦٨) ؛ غزت دولة الغزنويين دويلات الشيعة ، بما فيها الملتان في ٣٩٦ / ١٠٠٥ (٦٩) . فاول الحاكم استمالة حكام الدولة الغزنوية ، فكاتب محمود الغزنوي في ٤٠٣ / ١٠١٣ ، ولكن محموداً مزق الكتاب ، وارسله إلى القادر ليطلع عليه (٧٠) . بل إن هذه الدولة في عهد هذا الأمير الغزنوي ، عمدت إلى قتل الشيعة ، وأصبحت غزنة عاصمة بلاده ، مصيدة لكل شيعي من الهند أو من غيرها (٧١) .

يتبين أن الحاكم بذل مجهوداً مفضياً في سبيل وقف حملة أعدائه السنيين في العراق ، وأنه تحمل ثقل عدائهم السافر ، الذي لم يقع لأحد من الأئمة قبله .

•

أما سياسة الحاكم نحو بلاد الجزيرة العربية ، فقد اتسمت هي الأخرى بالنشاط والنجاح ؛ لاسيما وأن أهلها كانوا في عداة طبيعي للعباسيين ؛ بسبب أن هؤلاء عادوا العنصر العربي ، باعتمادهم على الفرس ثم الترك من دونهم .

فمنذ وقت مبكر انتشر التشيع الإسماعيلي في اليمن -حوالي سنة ٢٦٨ / ٨٨١ (٧٢) ، على يد أكبر دعواته وهما ابن حوشب ، الذي نزل جنوب صنعاء ، وعلى ابن

الفضل ، الذي نزل قرب البحر الأحمر ، فزحفا بالجيوش وفتحوا المدن ، فاشتهر ابن حوشب بالمنصور أو منصور اليمن ربما لسيطرته فيها ؛ كما أطلق الشيعة عليه فجر الدعوة المنتفس . وقد كان بعد اليمن عن مركز الخلافة العباسية ، ووعورة طرقها من أهم الأسباب التي حالت بين الخلفاء العباسيين وبين توجيه الجيوش لإنقاذها من دعاة الفاطميين ، فكان هزلء يخرجون من اليمن إلى كل مكان في الهند و مصر والمغرب (٧٣) ، فأبو عبد الله الشيعي الصنعاني خرج من اليمن إلى المغرب ؛ وهذا يدل على أهمية اليمن في الدعوة . وكان الخلفاء الفاطميون أيضاً يفكرون في الاستقرار باليمن ، وتكوين خلافتهم فيها ؛ بدلاً من إنشائها بالمغرب (٧٤) . ولكن الدعوة الشيعية باليمن لم تستمر في نجاحها ، فعلى بن الفضل خرج على ابن حوشب ودعا لنفسه ، فخاربه ابن حوشب وانتصر عليه . ومع أن ابن الفضل مات مسموماً ، ولم يلبث ابن حوشب أن مات حوالي ٣٠٣ / ٩١٥ ؛ فإن أولاد ابن حوشب هم الآخرون انقسموا على أنفسهم ، ومنهم من دعا للعباسيين ؛ بحيث أن جعفر بن منصور اليمن هرب إلى المهدي بالمغرب (٧٥) ، نتيجة لسوء سياسة أخوته ، وخرجهم على الدعوة الفاطمية (٧٦) .

ولكن لا يعني هذا أن الدعوة الإسماعيلية زالت من اليمن ؛ وإنما خرجت من بيت المنصور ، وتحولت سرية في مناطق الجبال . فطوال عهد الخلفاء الفاطميين بالمغرب ومصر ، كان كل داعية باليمن ، يحافظ على حسن العلاقة بينه وبين الإمام الفاطمي الحاضر ، ويحرص على أن يأتيه التعيين الرسمي منه ؛ كما يرسل له مال المستجيبين لدعوته . وربما قويت الدعوة الإسماعيلية عن ذى قبل في عهد العزيز ، حيث نسمع أنه خطب له باليمن (٧٧) . وقد كان الحاكم مثل سابقه من الأئمة يغذى الدعوة باليمن ، فيتبادل

مع دعائه فيها الرسائل والبعوث . ولدينا سجل أرسله الحاكم إلى هارون
ابن محمد بن رحيم في ٣٩١ / ١٠٠١ (٧٨) ، الذي تولى الدعوة منذ زمن العزيز ،
يبلغه الحاكم فيه بوصول مال الدعوة من ذهب وقرابين ، وينقل إليه أوامره
إلى الدعاة الآخرين ، ويعلمه بارسال رسول من قبله إليه . وبعد موت هارون
تخلفه داعية آخر اسمه يوسف بن أحمد بن الأشج أو الأمشج ، ثم خلفه سليمان
ابن عبيد الله بن عامر الزواحي (٧٩) . ولقد استمر هذا الأخير يدعو
للحاكم وابنه الظاهر ، وعلى يده قويت دعوة الإسماعيلية ، مما مهد إلى
عودة الدولة الإسماعيلية باليمن من جديد في عهد المستنصر بن الظاهر .

كذلك كانت الدعوة الإسماعيلية قد نجحت في البحرين ، وهي البلاد التي
تقع بين البصرة وسمان على الخليج الفارسي (٨٠) . وقد بلغت الدعوة غاية
نجاحها على يد القرامطة الأوائل ، مثل أبي سعيد الجنابي ، وابنه أبي تاهر ،
بتأسيسهما دولة إسماعيلية قوية كما ذكرنا (٨١) . ولكن كان قد ظهر بين
القرامطة منذ أيام أبي تاهر فريق مناهض للفاطميين ، وقوى بعد موت
أبي تاهر ، الذي لم يترك إلا عشرة أبناء صغار . فقام أحمد بن أبي سعيد
الجنابي ، المسمى أبا منصور بالوصاية على سابور بن أبي تاهر ،
حيث ظلت علاقة القرامطة بالفاطميين غير واضحة زمن وصايته إلى
سنة ٣٥٨ / ٩٦٩ ، وهي السنة التي غزا فيها المعز مصر ، فقبض سابور على
عمه أحمد ، غير أن أحمد توفي بتدبير شيعة سابور ، ولكن الحسن بن أحمد
— المعروف بالأعصم — قتل سابور في ٣٥٩ / ٩٧٠ ، وأوقع باتباع
الفاطميين ، وخرج في حملة على الشام ومصر ، حيث صدم المعز . ومع أن
هذا الأخير كتب إلى الأعصم كتاباً طويلاً يدعو فيه للوادة والطاعة
لإمامه ، فإن الأعصم قد استمر في عداوته (٨٢) .

ولكن لما حارب العزيز أفتكين ، استنجد أفتكين بالأعصم القرظي ضد جوهر ، وهزموه . فلما خرج العزيز بنفسه وهزم أفتكين والقرمطي ، الذي هرب إلى الرملة بأرض فلسطين . فأرسل العزيز — الذي صالح أفتكين واستماله إليه — يعرض الصلح على القرمطي بمبلغ ثلاثين ألف دينار تحمل له ولأصحابه كل سنة ؛ ويعده بالصفح ، وتكون له الطاعة : فقبل القرمطي شروط العزيز ، وذهب جوهر بنفسه إليه ، واستحلفه بالطاعة للعزيز ، فنادى الأعصم إلى الأحساء بالبحرين^(٨٣) . وقد كان المال يحمل إلى القرمطي كل سنة إلى وقت وفاته ، الذي ذكر بعض المؤرخين أنه عام ٩٧٧/٣٦٦^(٨٤) .

وقد ترتب على هذا الصلح أن عاد القرامطة إلى الفتنة ضد العباسيين أعداء الفاطميين ، لاسيما وأنه بعد موت الأعصم ، اشترك بنو أبي نطاهر من شيعة الفاطميين مع بني أحمد بن أبي سعيد في حكم البحرين ، وكانوا يعرفون بالسادة^(٨٥) . فهاجموا في العراق البصرة في ٩٨٤/٣٧٤ ، والكوفة في ٩٨٥/٣٧٥ ؛ كما لم ينجح أحد من العراق خوفاً من القرامطة في ٩٩٥/٣٨٤ ، وعادوا إلى مهاجمة البصرة في ٩٩٦/٣٨٥^(٨٦) . على العموم ، لا يبدو أن الحاكم قاسي من عداة القرامطة ؛ كما حدث في عهد المعز والعزيز قبله ؛ بل ساعده القرامطة في عداته ضد العباسيين ؛ الذين كانوا قد قوّوا بضعف البويهيين ؛ وإن كان لا يظهر إطلاقاً أن القرامطة انضموا إلى دعوة الحاكم .

أما في الحجاز وسقط الجزيرة العربية ، فقد كان هم الفاطميين أن يدعى لهم في الحرمين ؛ بسبب أن أمير المؤمنين الحقيقي هو من كان ملكاً للحرمين^(٨٧) ؛ وذلك لأن الحجاز هو قبلة المسلمين جميعاً . فوجدت منافسة شديدة بين خلاقي العباسيين والفاطميين ؛ لاسيما منذ أن ظهرت هذه

الأخيرة ، تسعى كل منهما إلى أن تكون الخطبة لها ؛ لتوطيد نفوذها في دار الإسلام .

ولا يبدو أن التشيع الإسماعيلي لقي في الحجاز مثل النجاح الذي لقيه في اليمن أو البحرين ؛ وإنما ظهرت في الحجاز أسر شيعية غير إسماعيلية ، في أثناء حركة انتشار التشيع الإسماعيلي في أنحاء الجزيرة الأخرى . فظهر بنو حسن أو الحسينيين أو الطالبيين بمكة (٨٨) ؛ حيث كونوا فيها دولة السيلمانيين نسبة إلى بنى سليمان بن داود بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن عليّ ، فخطبوا لأنفسهم في خلافة المقتدر العباسي في ٩١٣/٣٠١ . ولكن القرامطة الإسماعيلية استولوا على مكة أثناء توسعهم في ٩٢٩/٣١٧ ؛ إلا أن انشغالهم بالسيطرة في أماكن أخرى ، مهد لعودة مكة إلى نفوذ العباسيين ، عن طريق ضمها إلى الاخشيديين ولاية مصر (٨٩) . ثم عاد العلويون من بنى حسن ، وأسسوا فيها دولة عرفت بالموسوية نسبة إلى موسى بن عبد الله بن موسى ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ ، وكان هؤلاء يدعون للخلفاء العباسيين . أما في المدينة ، فتأسست فيها دولة الحسينيين العلوية ، على يد محمد بن طاهر من نسل الحسن بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ في ٩٧١/٣٦٠ (٩٠) . وقد كانت محاولة الخلافة العباسية للسيطرة في هذه البلاد من ناحية ، والنزاع بين الحسينيين والحسينيين من ناحية أخرى ، أن جعل الحج فوضى ؛ بحيث أنه هلك ركب الشام والمغرب في ٩٦٦/٣٥٥ ؛ ولم يحج أحد في ٣٦٨/٣٥٧ (٩١) .

مهما يكن نجد المعزّ في نفس الوقت — الذي كان يستمد فيه لغزو مصر — يتدخل بطريق مباشر في وقف فوضى الحج ؛ نتيجة انزعاج بنى حسن وبنى الحسين ، فأرسل إليهما الأوال الطائفة لشراء ديات المقتواين من

الطرفين في ٣٤٨/٩٥٩ (٩٢) ؛ مما مهد إلى عقد السلام بينهما ، والدعوة للخليفة المعزّ في الحرمين ، وإسقاط الدعوة للعباسيين . ولا ريب أنه كان من أسباب سير الفاطميين إلى الشرق ، هو عزم المعزّ على تأمين الحج .

وقد جر الاعتراف بالمعزّ الفاطمي في الحجاز أن أصبحت الكسوة تذهب من مصر إلى الكعبة ، عندما جاء المعزّ إلى مصر ، واستمر إرسالها إلى وقتنا الحاضر ، بعد أن كان يرسلها العباسيون من العراق . ويصف لنا المقرئ الكسوة التي أرسلها المعزّ ، وتسمى الشمسية (٩٢) ؛ وهي من الحرير الأحمر ، ثبنت فيها الأهلة من الذهب ، وكتبت فيها آيات الحج بزمر أخضر ، ورُصعت بالدر كبيض الحمام ، والياقوت الأحمر والأصفر والأزرق ، ومُجرت بالمسك ، وقبل إرسالها نصبت في أعلى مكان في قصر المعزّ بالقاهرة . ويذكر الرحالة ناصر خسرو أيضاً أن الفاطميين كانوا يقومون بالدعوة إلى الحج ، فكان إذا ما حل موسم الحج قرئت في مساجد مصر مراسم الحج ، وهي : « يا معشر المسلمين ، حل موسم الحج ، وسيجب أن يركب السلطان كالمعتاد ، ومعه الأجناد والخيل والجمال والمؤن اللازمة » (٩٣) .

والواقع أن خلفاء الفاطميين ، كانوا يببالغون في تجهيز قوافل الحج ، فقد بلغ أحياناً ما ينفق عليها مائة ألف وعشرين ألف دينار ، وأحياناً ما تفي ألف (٩٤) . وقد كان الحجاج ينزلون قبل مسير القافلة ، في منطقة بركة الحجاج ، فلا تسير قوافلهم إلا في حضرة الخليفة ، الذي يودعهم بنفسه (٩٥) . ومن الطريف أن نذكر أنه لم يحج أحد من خلفاء الفاطميين ، كما لم يحج أحد من خلفاء العباسيين منذ هارون الرشيد ؛ وإن كنا نقر بأننا لا نعرف السبب في ذلك ، بالنسبة للخلافتين (٩٦) . وعلى العكس نجد أن ما قام به الفاطميون في سبيل تأمين

الحج ، أدى أيضاً إلى تسهيل حج العراقيين ، فكان البويهيون يعينون أميراً للحج من العراق (٩٨) .

ولكن الحجاز خرج عن السيطرة الفاطمية في عهد الحاكم حوالى سنة ١٠٠٩/٤٠٠ ، حينما أعلن أمير مكة أبو الفتوح بن جعفر الحسينى الخطبة لنفسه (٩٩) ، وتلقب بأمير المؤمنين الراشد بالله ، ونزع ما كان بالكعبة من ذهب وفضة وضرب نقوداً باسمه ، كما استولى على المدينة من الحسينيين . وربما يكون سبب ذلك تحريض الوزير على بن الحسين المغربى ، الذى غضب عليه الحاكم لسوء تصرفه ؛ فهرب إلى مكة واجتمع بأبي الفتوح ، فعمله على الخلاف . وكذلك نجد أبا الفتوح - تحت تحريض عرب الشام - يعمل على غزو مصر ، فلما وصل إلى الشام ، أجابته طيء ، وخلق عظيم من عرب الشام ، وخطبوا له . وقد استخدم أبو الفتوح ما كان يدفعه الحاكم من أموال لمساعدة عرب الحجاز ، فى استمالة العرب فى الشام ؛ كما أنشأ كتاباً قرىء على الناس بالأقبيل له أحد الأراض ، وخطب فى الناس خطبة وصف فيها الحاكم بأنه فرعون علا فى الأراض ، جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . طسم تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا فى الأراض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم ، إنه كان من المسفدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأراض ، ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأراض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم من كانوا يحذرون . »

ولكن الحاكم أسرع إلى العمل ، فاستمال العرب ؛ لاسيما وأن مال أبي الفتح كان قد نفذ ، فتفرق العرب عنه . وقد فكر حسان بن المفرج في القبض على أبي الفتح ، والوصول به إلى الحاكم ، ولكن أباه المفرج رفض رأى ابنه . كذلك ولى الحاكم الحرمين أحد بنى عم أبي الفتح ، ويُعرف بأبي الطيب ، وأنفذ لشيوخ بنى الحسن مالا وثياباً ؛ بحيث بدأوا في الهجوم على مكة . فلما رجع أبو الفتح إلى بلاده ؛ اجتمع بالناس ، واشهد بخلع نفسه ، وأن الإمامة للحاكم ؛ متصلاً بما اقترب طالباً العفو . فصطح الحاكم عنه ؛ ومالبت أن جاء مصر راكباً حماراً ، فأمر له الحاكم بالكساء وأنعم عليه . أما الوزير المغربي ؛ فإنه هرب إلى العراق ، وأرسل هو الآخر تصيدة يطلب فيها الصصح ؛ فصطح الحاكم عنه ، ودعاه إلى الحضرة ؛ إلا أنه مات قبل أن يحضر .

وفي آخر سن الحاكم ، الذي وجه كل همه إلى إصلاح عقائد المذهب ، كان لا يهتم بما يحدث في مكة ، التي تغلبت على أحوالها العرب . ولكن الحاكم عطل قوافل الحج عدة سنوات ؛ حرصاً على سلامة الحجاج ، كما انقطع عن إرسال الكسوة ، التي جرت العادة بتجهيزها ، وإن كان أعداء الحاكم نسبوا تصرفه هذا ؛ إلى إنصرافه عن الدين كما ذكرنا (١٠٠) .

كذلك واجه الحاكم خطراً مفاجئاً ، جاء هذه المرة من غرب مصر ، كاد يقتلع خلافة الفاطميين من أساسها . وكان تغلب الحاكم على هذا الخطر ، مثبتاً أنه لا يقل جدارة عن جده المعز ، الذي قضى على خطر القرامطة من قبل .

فنعلم أن الفاطميين كان هدفهم المشرق ، وأنهم تركوا المغرب مسرعين

إلى مصر ؛ ليتخذوها قاعدة لهم في تنفيذ خططهم في المشرق ، إذ لم تكن بلاد المغرب إلا خطوة تمهيدية في البرنامج الذي وضعوه لهم . وقد وجد المعز أن خير وسيلة للاحتفاظ بالمغرب للفاطميين — وهم في مصر — أن يحكمه أبناء من المغرب ، مخلصين لبيته ؛ خصوصاً وأن المغرب لم يحكمه أسرة مغربية على كثرة ثوراته منذ الفتح العربي ، وإنما كانت دائماً تحكمه أسر تأتيه من الخارج من شيعة وخوارج . فأراد المعز أن يعبر عن جميله للمغاربة ، الذين أنشأوا دولته ، بأن يترك شئون المغرب لأحد المغاربة . ولم يول المعز حاكماً من كتامة ، مع أنها أشد القبائل المغربية تعلقاً بالدولة — كما يظهر من توقيعات الخلفاء — بحيث كانوا كالحراسانيين للعباسيين ، حتى يقول المنصور أبو المعز : « يا أهل دعوتنا ، يا أنصار دولتنا ، بما كتامة (١٠١) » ؛ وذلك لأن المعز أخذ معظم كتامة معه إلى مصر . واسكن ولي المعز المغرب لقبيلة صنهاجة بالذات (١٠٢) ؛ لأنها كانت من أعظم القبائل ، ولم تكن مجرد قبيلة ، وإنما كانت شعباً عظيماً ، يتألف من بطون بلغت السبعين ، وهي قوة مماثلة تملك المغرب حتى أواسطه ، وتنقسم قسمين عظيمين ، أحدهما قريب من الساحل ، والآخر يسيطر على جنوب المغرب ، حتى السودان . يضاف إلى ذلك ، أن صنهاجة أظهرت إخلاصاً أيام نشأة دولة الفاطميين ؛ إذ كان معظمها من الحضر أو ما يعرف بالبرانس — ربما لتميزهم بزى البرانس — في عداة طبيعي ضد البدو أو البتر ، لاسيما قبيلة زناتة ؛ أنصار الأمويين بالأندلس ، أعداء الفاطميين .

وقد وقع اختيار المعز على أبي الفتوح يوسف بن زيري بن كناد الصنهاجي (١٠٣) ، الذي كان أبوه زيري قد أظهر إخلاصه أثناء ثورات البتر عليهم (١٠٤) . وقد عرف يوسف أيضاً باسم بلتكين أو بلتقين ، كما منحه المعز لقب

أمير إفريقية في ٣٦١/٩٧٢ ، فكان يوسف مؤسساً لدولة الزيرية . وقبل أن يترك المعزّ المغرب ، وضع شروطاً عليه^(١٠٥) ، تكفل بقاءه وخلفه من بعده خاضعين للخلافة الفاطمية . فجعل القضاء والخراج تابعين له ، بحيث أن سجلات القضاء بمصر ، كانت تشمل المغرب ؛ كما أن تكون العملة باسم خلفاء الفاطميين . وفي الوقت نفسه . فصل طرابلس وأعمالها ، وجعل عليها أحد الكتامين . وكذلك رسم السياسة التي يجب أن يسير عليها يوسف ، وهو عدم رفع السيف أو الجباية عن البتر من أهل البادية ، ومعاملة البرانس « أهل الحاضرة » معاملة خاصة ، وكافه بأن يقوم بحمله ضد البتر لإرهابهم ، حتى لا ينتهزوا فرصة خروجه إلى مصر للاستيلاء على المغرب . واخيراً أمره ألا يولي أحداً من اخوته وبنى عمه ؛ فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منه .

وقد أبقى بلتكين على سياسة الود للمعزّ ، بعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، واستمر على إخلاصه للعزّ بن المعزّ ، فأعلن بلتكين للعزّ الطاعة ، وأرسل إليه هدايا صحبها بنفسه إلى مسافة طويلة في ٣٦٥/٩٧٦ . وقد كان بلتكين يجمع المال ويرسله إلى العزّ ، الذي كان يردّه إلى أصحابه ؛ زيادة في استمالته^(١٠٦) . وفوق ذلك ، نفذ بلتكين سياسة المعزّ ، فكان يغزو البتر ، وكانت سجلات العزّ تشجعه على ذلك ، وتصله بالبريد^(١٠٧) ؛ بحيث بقي يجاهد في بلاد المغرب حتى استولى على أغلبه ؛ كما أخاف دولة الأمويين — عدوة الفاطميين — بالأندلس .

كذلك استمرت العلاقة ودية بين خلف بلتكين وخلفاء الفاطميين . فبعد موت بلتكين ، وافق العزّ على تولية المنصور بن بلتكين في ٣٧٤/٩٨٤^(١٠٨) ؛ كما أنه وصل سجل بولاية العهد لأبي مناد باديس في ٣٨٢/٩٩٢ ،

وأرسل العزيز للمنصور هدية قيمة ، ومعها فيل عظيم ، وبعض رموس القتلى من الروم ، لتعرض في بلاده . ولما توفي المنصور في ٣٨٦/٩٩٦ - وهي نفس السنة التي توفي فيها العزيز - وصل سجل التولية من الحاكم بولاية أبي مناد باديس (١٠٩) ، ولقبه الحاكم بنصير الدولة ، وسجل آخر يخبره فيه بوفاة أبيه العزيز ، ، وثالث لأخذ البيعة للحاكم . فجلس أبو مناد ، ودعا صنهاجه ، وأخذ عايمهم الطاعة للحاكم .

ولكن بوادر الفتور بدأت تظهر بالمغرب ، وهي لم تظهر من الأملاك التي كانت تحت نفوذ الزيريين ، وإنما من أملاك مصر في برقة (أنطابلس) وطرابلس (أطرابلس (١١٠) ؛ وهي المنطقة التي كانت تمتد من حدود مصر حتى إفريقية (تونس) . فهذه البلاد كانت خاضعة لحكام مصر منذ الفتح العربي ، وسكنتها قبائل بربرية - مغاربة - معظمها من السنة ، مثل مزاته وزناته ومغراوة ، ولا سيما لواته التي سكنت برقة منذ الفتح العربي ، وتفرقت منها في المغرب ، وبلغت أقصاه (١١١) . ولما جاء الفاطميون في إفريقية ، ضموا طرابلس ؛ وملكها المهدي بسبب إهمال ولاية مصر من قبل العباسيين ؛ فأرسل إليها وليّ عهده أبا القاسم في ٣٠٣/٩١٥ ؛ وأبقى والياً عليها من قبله ؛ ثم ضم برقة أيضاً (١١٢) . فكان والي برقة في أيام المعز أفلح بن ناشب ، ووالي طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي (١١٣) .

ولكن بلكين طلب من العزيز أن يضيف إليه ولاية طرابلس في ٣٦٧/٩٧٧ (١١٤) ؛ فأجابه العزيز إلى ملتمسه ، فكان بلكين يعين فيها نائباً عنه . فلما توفي بلكين وخلفه المنصور ، أقر العزيز المنصور على ولايتها . ولكن تعصب برجوان - وصي الحاكم - ضد المغاربة كما ذكرنا ؛ آثار اضطراباً

في هذه الولاية . وقد جاءت المناسبة لبرجوان ، حينما أراد حاكم طرابلس من قبل باديس واسمه عوصلة بن بكار ، تسليم طرابلس بدون علم باديس إلى الحاكم ، فأذن الحاكم لعصولة بالالتجاء إلى مصر ، وأرسل يانسا العريزي — وهو صقلبي — فاستولى على طرابلس . فخارب باديس يانسا وهزمه في ٢٩٠ / ١٠٠٠ ؛ فأرسل الحاكم جيشاً لتأييد يانس . ويبدو أن الأحوال أصبحت فوضى في هذا الإقليم ؛ بدليل أن الحاكم أرسل جيشاً من مصر إلى طرابلس في ٣٩٢ / ١٠٠٢ ، ولكن الجيش رجع ؛ وأن قبيلة مغراوة أرادت أن تسترد طرابلس لمصر ، ولكنها لم تنجح (١١٥) . وعلى العكس ، يبدو أن برقة استمرت دائماً خاضعة للفاطميين ، فولسها في عهد الحاكم صندل الأسود في ٣٩٤ / ١٠٠٤ (١١٦) .

هذه الحالة القلقة شجعت أحد الثوار من أعداء الفاطميين على الثورة في برقة ، وهي محاولة الوليد بن هشام (هاشم) (١١٧) ؛ الذي انتسب إلى بني أمية من بني مروان ، فهو الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل . فلما قبض الوزير المستبد المنصور بن أبي عامر على السلطة في عهد المؤيد الخليفة الأموي بالأندلس ، أخذ يتعصب ضد أهل المؤيد ، فكان أبو ركوة من هربوا عن الأندلس . فجاء الوليد إلى مصر ، وسمع الحديث بها ، ثم أقام بمكة ، وسار إلى اليمن ، وعاد إلى مصر قبل أن ينتقل إلى القيروان ، ومنها إلى برقة . وقد عرف الوليد بأبي ركوة ، لأنه كان يُظهر النسك ويحتفظ بركوة معه على عادة الصوفية ؛ وربما كانت هذه التسمية من تلقيب أهل مصر له ، إذ جروا على عادة السخرية من أعدائهم (١١٨) .

واستطاع أبو ركوة أن يجمع عناصر غاضبة على الفاطميين بين البربر السنين القاطنين بها ؛ وبين قبائل عربية كانت ببرقة . يُضاف إلى ذلك أن قبائل

زناثة من البتر ، عدوة الفاطميين وأنصار الأمويين بالأندلس ، كانت قد تسربت إلى طرابلس أثناء النزاع بين يانس وباديس . وساعد على ذلك أن أباركوة قد عمل معلماً لأولادهم ، فأخذ يحرصهم على الحاكم . وأظهر أن غرضه ليس إلا نصرة الإسلام ، والتأثر لأصحاب الشريعة ، الذين يسبهم الحاكم ؛ بحيث أن أهالي برقة انضموا معه في حرب عسكر والي الحاكم ، وذلك في جمادى الآخرة سنة ٢٩٥ / مارس - أبريل ١٠٠٥ .

وقد بدأ أبو ركوة حركته في برقة ، بالاستيلاء على عدة بلاد فيها مثل مقة من أعمال برقة ، التي قتل من فيها . ثم ذهب إلى قرنة — لعلمها قيريني — مدينة عامرة ، فحاول أهلها الدفاع عنها ، ولكن القبائل البربرية الجائعة اقتحمتها ، وقتلوا من فيها ، وهدموا أبو ركوة . ثم سار نحو برقة نفسها ، فقاتله عسكرها قتالاً شديداً ، ودفعوه أول الأمر . وفي أثناء ذلك ، جاء عسكر من البربر اللواتيين ، فأسرع أبو ركوة بمقابلتهم ، ووقع قتال شديد بينهما ، واضطرها إلى التفرق في الشعاب . ثم عاد بنفسه لحصار برقة بشدة ، وكان أهلها قد بنوا السور والخندق ، وقاتلوه قتالاً شديداً ، مع أنه فرق العسكر على السور ، ونصب عليه المنجنيقات والعرادات لدك السور . وقد ضيق على أهلها ، واشتد بهم الجهد ، وماتت الخيل ، وبقيت برقة عدة شهور محاصرة .

وحاول الحاكم أن يستدرجه ، فأمر بعض المغاربة بالكتابة إليه (١١٩) ، ولكن دون جدوى ؛ فجهز الحاكم لحربه جيشاً من المشاركة والمغاربة بقيادة ينال أحد قواد الأتراك . فلما سمع أبو ركوة بأخبار وصول ينال ومن معه ، أضرم النيران في المنجنيقات والعرادات ، ونادى بالرحيل رافعاً الحصار عن برقة ، قاصداً ينال . ولم يكن ينال على معرفة بطبوغرافية

الأرض التي يحارب عليها ، فضله أتباع أبي ركونة ، وساروا به بين التلال العالية ، حيث هاجمه أبو ركونة في موضع يعرف بعيون النظر ، بإلقاء الصخور من على التلال . ثم إن حماس المغاربة للقتال تحت راية أحد قواد الأتراك المشاركة كان ضعيفاً ، بخاصة وأن الفاطميين منذ العزيز بدأوا يتحولون عن المغاربة وأحلوا المشاركة مكانهم ؛ فضلاً عن أن جيش أبي ركونة معظمه من المغاربة ، فتخاذل مغاربة ينال وفروا . فوقع ينال أسيراً في يد أبي ركونة ، الذي أمره بلعن الحاكم ، فلما رفض بأن بصق في وجه أبي ركونة ، أمر به أبو ركونة فقطع إرباً إرباً .

وبعد ترتيب على هزيمة ينال أن سلم أهل برقة المحاصرون ، إلى أبي ركونة في ذي الحجة من سنة ٣٩٥ / يوليو ١٠٠٥ ، كما خرج منها رجال الحاكم وواليه صندل عن طريق البحر ؛ فتوجه بعضهم إلى مصر ، وبعضهم إلى المغرب . فلما دخل أبو ركونة برقة انتقم من الشيعة فيها ، فتبعهم بالفتك ، كما نهب كل ما في البلدة ؛ بحيث أصبح أهل البادية الذين معه بعد فقرهم من أصحاب الجوارى والكساء والخيل . وقد أعلن أبو ركونة في برقة مذهب السنة . وتسمى بأمر المؤمنين الناصر للدين ، ونقش ذلك على سكته (العملة) . كذلك استخلف على برقة رجلاً بربرياً اسمه ابن ما واس ، الذي أساء الحكم ، بحيث أكل الناس بعضهم بعضاً فيها ، واضطر معظم أهلها إلى الخروج منها بنسائهم وأولادهم إلى الإسكندرية . فأرسل الحاكم إلى أبي ركونة جيشاً معظمه من المشاركة بقيادة فاتك ، فلما سمع به أبو ركونة أرسل إليه جيشاً قاتله وهزمه في جبة اسمها الحمام .

وبعد ذلك ، نهض أبو ركونة إلى مصر في رمضان ٣٩٦ / يونيو ١٠٠٦ ، ومعه عساكر كثيرة من كل الپقاع ، ونبائل جائعة يجتنبها غنى مصر ، لا سيما

وأن أبا ركوة اعتبر أرض مصر دار حرب للكفار ، ومنح جنده حق النهب واستباحة الحرمات فيها . فتوجه أبو ركوة لحصار الإسكندرية ، فخرج إليه عسكر الحاكم فيها وهزموه ، فانتشر بجنده في قرى مصر ينهبونها ويهتكون حريمها . ولكن استفحل أمر أبي ركوة ، حينما انضمت إليه قبائل من العرب عديدة من ريف مصر ، مثل بني قرّة في نواحي الاسكندرية بالبحيرة (١٢٠) ، الذين كان الحاكم قد حاربهم بعساكره ، وحبس منهم جماعة من أعيانهم ، وقتل بعضهم في ٣٩٥ / ١٠٠٤ - ١٠٠٥ . كما انضم إلى أبي ركوة عرب كانوا قد جاءوا مع القرامطة مثل سليم وبنى هلال (١٢١) ، الذين نقلهم العزيز إلى الصعيد . وقد كان أبو ركوة يقطع من اجتمع إليه من الأعراب الضياع ، ويكتب لهم السجلات . ويبدو أن العرب جميعهم اتفقوا ضد الحاكم ، بحيث اقتسموا ملكه ، فiaخذ أبو ركوة والمغاربة مصر ، والعرب يأخذون الشام (١٢٢) .

فجهز الحاكم من جديد جيشاً كبيراً من عرب الشام أعداء البربر ، وفيه كثير من الترك والديلم والسودان ، بقيادة الفضل بن الحسن بن صالح . (أو الفضل بن عبد الله) . وقد ذكر المؤرخون أن الحاكم تنازل وقتئذ عن شدته مع المصريين في شؤون الحسبة (١٢٣) . كذلك أقبل المصريون على الانضمام إلى جيشه ، لما رأوا من تخريب جيش أبي ركوة ، الذي ذكرهم بتخريب القرامطة ، كما وضعوا أموالهم كلها تحت تصرفه (١٢٤) . ونجد من معاونة المصريين للحاكم لصد هذا الخطر ، أن الأسعار توقفت عن الزيادة (١٢٥) ، مما يدل على أنهم لم يزيدوا الحالة سوءاً للحاكم . ولدينا روايات مغرضة تذكر ان الحاكم وقتئذ عزم على الفرار إلى الشام ، ونقل خزائنه إلى بلبيس إلا أنه أشير عليه بالعودة فعاد (١٢٦) . وعلى النقيض تذكر روايات أخرى أن

الحاكم كان يتميز بالثبات والشجاعة ، فكان يدعو الناس للجهاد ، ويخطب على المنابر . ولا ريب فالحاكم كان هو الخليفة الوحيد الذي كان يسير وحده في القرى والفلوات ، مما يدل على شجاعته (١٢٧) .

على العموم ، هزم جيش الحاكم أبا ركوة في الفيوم ، فانسحب أبو ركوة إلى الجيزة بقصد أخذها ، بحكم أن جنود الحاكم في الفيوم . فجاؤا إلى أبي ركوة عامل الجيزة بما فيها فهزموه ، فاضطر أبو ركوة العودة إلى الصعيد ، منتظراً أن يأتيه المدد من كل مكان ، لا سيما من عرب الصعيد . فرجع أبو ركوة بأكثر من سبعين ألفاً بين فارس وراجل لمقاتلة الفضل بن الحسن ، الذي كان قد رجع إلى القاهرة ، فحدثت موقعة فاصلة في مكان يعرف برأس البركة ، حيث منع أبو الفضل العرب من الاشتراك فيها ، فانهزم أبو ركوة ومن معه من العرب ، وقتل أكثر البربر ، وتفرقت الطوائف التي انضمت إلى أبي ركوة وجاءت إلى الحاكم تائبية ، ولم يفلت إلا نفر قليل من النساء والصبيان أُحموا أسرى إلى القاهرة ، وأطلق سبيلهم ، لا سيما وأنه كان قد نفى فيهم الجدري والوباء .

ولكن أبا ركوة هرب إلى النوبة ، وكان ملكها قد توفي ، فسلمه ابنه واسمه روفائيل إلى الفضل (١٢٨) ، وذلك بناء على هدنة البقط التي كانت قد عقدت منذ أيام عمرو بن العاص ، ونصت على تسليم الهاربين ، وربما حارب روفائيل أبا ركوة وهزموه لما قصد بلاده . وقد كان الفضل يريد تقديم أبا ركوة حياً إلى الحاكم ، فتركه يكتب إلى الحاكم يطلب منه العفو ، كما أحسن معاملته . فلما وصل به أبو الفضل إلى القاهرة ، احتفل الحاكم بهذا النصر المشهود من مكان مرتفع : فشهّر بأبي ركوة على جمل ، وقد ألبس طرطوراً طويلاً ، وخلفه قرد ويده ديرة . فتمدح حماس المنصر في أمم (م - ١١ الحاكم بأمر الله)

الإسلام في العصور الوسطى ، يُغريه أحياناً بمسلك غير إنساني .
ولكن حينما أنزل أبو ركوة من على جملة كان ميتاً قد فقد روحه ؛ وإن
كانت رواية أخرى تذكر أن أباركوة ضربت عنقه ، ثم رفع على الأعواد
وُصَلب ، وأشعل العود الذي صلب عليه . وبسبب هذا النصر جاءت الوفود
إلى الحاكم مهتة ؛ كما أرسلت البشائر إلى سائر الأعمال بقتل أبي ركوة (١٢٩) ،
وذلك في شهر جمادى الآخرة من سنة ٣٩٧ / فبراير - مارس ١٠٠٧ .
وبذلك تخلص الحاكم من خطر أبي ركوة ، ولعل السبب في نجاحه هو
ثباته ، ومساعدة المصريين له كما فعلوا أيام غزو القرامطة ، ولأن الخلافة
الأموية في الأندلس ، التي ربما كانت تؤيد أباركوة أصبحت على وشك
السقوط ، وتغلب عليها ملوك الطوائف (١٣٠) ؛ فضلاً عن أن قبائل بني قرّة
العربية ، كانت قد اتفقت سرّاً مع قبائل عربية في جيش الحاكم .

في أثناء هذه الهجرات ، نجد موقف الزيريين غامضاً ؛ فلا نسمع عن
مجيئهم لنصرة الحاكم ؛ كأنهم يرغبون في ضياعه . وهذا ولا ريب يدل
على أن دولتهم كانت تسعى للاستقلال ، ومن قبل أبدى ابن الأثير الملاحظة
بأن بلّسكين هو أول أمير مستقل (١٣١) . كذلك قد يكون عدم وقوفهم بجانب
الحاكم ؛ لأن الحاكم أساء معاملة المغاربة ، فضلاً عن أن جيش أبي ركوة
كان معظمه من المغاربة .

و ينقل إلينا المؤرخون أن باديس وصل إلى القاهرة في طريقه للحج
أثناء تيام ثورة أبي ركوة في ٣٩٦ / ١٠٠٥ ؛ كأنه أراد أن يتخلص من
الموقف الحرج . فسأل الحاكم باديس عن أبي ركوة ؛ فعظم باديس حاله ،
وذكر قوته وكثرة جموعه ، والحاكم صامت . فلما رجع باديس إلى مصر ،

وإستأذن الحاكم فى المسير ، أخره الحاكم الذى كان قد انتصر على أبى ركونة ؛
ليشده احتفالات النصر . ولعل الحاكم قصد بتأخير باديس إرهابه بطريق
غير مباشر ؛ أو على الأقل عتابه (١٢٣) .

ومع ذلك بقى المغرب مرتبلاً برياط الود التقليدى بالحاكم . فى
سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩ ، ذهب باديس إلى طرابلس واستولى عليها ، وأخرج منها
زناقة عدوة الفاطميين (١٢٢) . وفى سنة ٤٠١ / ١٠١٠ ، أرسل الحاكم هدية إلى
باديس وابنه المصنف ، الذى تلقاها بالبندوب والطبول . وفى سنة ٤٠٤ / ١٠١٣
وصلت بحملات من الحاكم ، بإضافة برقة وأعمالها إلى باديس ، وتبادل معه
خطاباً يبين له فيه أنه عين فى ولاية عهده ابن عمه عبد الرحيم . وفى سنة
٤٠٥ / ١٠١٤ ، أخرج باديس بدوره هدية للحاكم ، كما وجهت أخت
باديس هدية إلى أخت الحاكم (١٢٤) .

ونجد باديس ذهب لمحاربة بن عمه الحمّادين ، بسبب إستقلالهم
ودعوتهم للعباسيين . فقد كان باديس تنامى نصيحة المعزّ لجدّه بلّسكين ،
حينما كفّل الدفاع عن المغرب الأوسط لعمه حمّاد بن بلّسكين ضد
البترزاناته فى ٣٨٦ / ٩٩٦ . ولكن هذا الأخير — الذى كان يبنى القلاع —
خرج عن طاعة ابن أخيه فى ٤٠٥ / ١٠١٤ (١٢٥) ، وكون دولة مستقلة ،
وكان يشجع زناته بطرابلس ضد باديس ؛ ولاسيما وأن حمّاداً كان متوحشاً
يقتل الأطفال والنساء والأسرى . فذهب باديس ليعاقبه وهزمه ، إلا أنه
توفى فى عام ٤٠٦ / ١٠١٥ ، فلما خلفه ابنه المعزّ ، عقد صلحاً ، على أن يقتصر
حمّاد على ما فى يديه (١٢٦) .

ولكن فى ولاية المعزّ بن باديس ظهرت عوامل الفتور من الزيريين
نحو الفاطميين ، مما مهد إلى رجوع الزيريين ورعيّتهم إلى المذهب السنى .

ولكى نستقصى التحول عن مذهب الفاطميين ، يجب أن نجد في عقيدة أهل إفريقية (تونس) ، على الخصوص قبل مجيء الفاطميين . فقد كان اعتقاد أهل إفريقية القديم على مذهب أبي حنيفة ، ولكن سحنون بن سعيد (١٢٧) ، الذي قدم القيروان في ١٩١ / ٨٠٧ ، وألف كتاباً في المذهب المالكي اسمه المدونة ، أصبح يضارع كتاب الموطأ ، عمل على زرع المذهب المالكي ، الذي أصبح يتفق مع طبائع أهل إفريقية . والواقع أن أهل إفريقية أيدوا الفاطميين ؛ لرغبتهم في التخلص من حكم ولاية الخلافة العباسية ، ومنه الفوضى الضاربة في بلادهم . ولكن بعد رحيل الفاطميين إلى مصر ؛ أصبح الزيرون ولاية الفاطميين يمثلون وحدهم المذهب الشيعي في عاصمتهم المنصورية ؛ أما في القيروان وغيرها من مدن إفريقية ، فقد عادت السنة ممثلة في المذهب المالكي إلى قوتها . ولا ريب ، فإن ضعف مذهب الفاطميين بإفريقية ، راجع إلى ما حدث من ضعف الفاطميين بغزوة أبي ركة ، وإلى انقسام صنهاجة بين زييرين وحمّاديين . وقد شد من أزر السنة ، حتى في المنصورية عاصمة الزييرين ، أن المعز بن باديس كان صغيراً ، فعمره حوالي ثمانى سنوات ونصف ، فسيطر عليه عليه فقيه سني اسمه الحسن بن علي بن أبي الزجال ، وأن الفاطميين لم يكن يعلمون ذلك عنه (١٣٨) .

وقد كان مظهر الفتور حدوث مصادمات بين الشيعة والسنة ، بحيث أن ابن عذارى يذكر أن الدم جرى غزيراً في القيروان ؛ فكانت السنة تهاجم الشيعة في الأسواق (١٣٩) . وقد قلدت أغلب مدن إفريقية القيروان ، مثل المهديّة عاصمة الفاطميين السابقة ، فانبسطت أيدي العامة في الشيعة ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأحرقوهم بالنار ، ونهبوا ديارهم ؛ بحيث حاول الشيعة الهروب إلى صقلية ؛ وكانوا يسمونهم المشارقة ، نسبة

إلى أبي عبد الله الشيعي الذي كان من المشرق . وربما كان المعزّ بن باديس نفسه حمل شعبه على مذهب مالك ، ويؤيد ذلك أن العملة التي صدرت بالمهدية ، مكتوب عليها : « محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق » ، ولا يظهر عليها عقيدة الفاطميين : « عليّ وليّ الله (١٤٠) » .

ومع ذلك ، لم يصل الفتور إلى حد القطيعة ؛ بسبب أن الزيريين ، كانوا يعتمدون على تأييد الفاطميين ضد بني عمومتهم الحمّاديين ، الذين اعتمدوا على تأييد العباسيين . وبين ذلك أنه حينما أرسل الحاكم إلى المعزّ ، يستعلم عن سبب سفك دماء الشيعة ، أرسل المعزّ إلى الحاكم يعتذر عما حدث ، ويلقى اللوم على العامة ، الذين لم يستطع أن يكبح جماحهم (١٤١) . وكذلك لما طلب المعزّ من الحاكم أن يعدل عن اضطهاد المالكية — ربما للتعاقب بالمثل — عدل الحاكم عن ذلك مباشرة (١٤٢) . ونجد أن الحاكم وكان قد ألغى الألقاب ؛ إلا لقب المعزّ (١٤٣) ، كما نجد أن المعزّ يعلن للحاكم نهاية الخلافة الأموية بالاندلس ، وأن الحاكم يرسل إليه سيفاً مكثلاً بنفيس الجوهر ، وخلعة من لباسه ؛ فلقى المعزّ هدية الحاكم في أجلّ زى وأكل هيئة ؛ فقرى على المعزّ سجل التشریف ، ورد المعزّ على الحاكم رداً هائلاً (١٤٤) .

مناسبق ، يظهر أن عوامل الانفصال ، أو ما سماه أحد المؤرخين الحديثين بالطلاق بين المغرب والمشرق ، قد بانت بوادرها في عهد الحاكم ؛ إلا أن دبلوماسية الحاكم الرشيدة ، هي التي أخرت وقوعها ؛ بحيث أن خلفه لم يستطيعوا وقفها كما فعل هو ، مما يدل على تميّزه .

وإذا تكلمنا عن سياسة الحاكم في المغرب ، يجب أن نذكر صقلية ،
وهي جزيرة مثلثة الشكل مقابلة لساحل المغرب . وقد سعى المسلمون إلى
السيطرة عليها منذ أن فتحوا المغرب ، وقدروا أهمية موقعها الجغرافي ؛
لقربها منه ، لا سيما وأن الروم كانوا قد اتخذوا من مواهبها قواعد للقرصنة ،
وأنشأوا فيها مخابىء لمراكبهم .

ولكن دولة الأغالبة - إقبل مجيء الفاطميين - التي كانت استقلت
إفريقية (تونس) ، عمدت إلى الاستيلاء على صقلية . فقد انتهزت وجود
ثورة في صقلية ، فقامت بغزوها في ٢١٢/٨٢٧^(١٤٥) ؛ كما استولت على مالطة
في سنة ٢٢١/٨٣٥ - ٦ أو في ٢٥٦/٨٦٩ - ٨٧٠^(١٤٦) ، فضلاً عن أنها
استولت على جنوب إيطاليا ، وهي كالبريا التي سماها العرب قلورية ؛ فاستولوا
عليها في غارات متعددة ، ووصلوا إلى رومية (رومة) في الأرض الكبيرة (أوربا) ،
في سنة ٢٣١/٨٤٦^(١٤٧) ، وبها يسكن البابا الذي هو رئيس النصرانية الغربية
أى الفرنج ؛ فدخلوا نهر التيبر ، وأحرقوا المدينة ، ونهبوا كنائس القديسين
بطرس «Pietro» وبولس «Paolo» ، وأضطر البابا ليون الرابع «Leo IV»
أن يختبئ^(١٤٨) . وبفضل هذا التوسع ، أصبح البحر الأبيض بحيرة
إسلامية ؛ فكانت لاتسبح للنصرانية فيه سفن^(١٤٩) .

ولما أسس الفاطميون خلافتهم في إفريقية بعد نضائهم على الأغالبة ؛
استولوا على صقلية ومالطة وقلورية ، عن طريق مؤيديهم من البربر^(١٥٠) .
وقد كان الفاطميون متشوقين لجهاد الروم ، الذين كانوا قد هددوا المسلمين
في ذلك الوقت بسبب ضعفهم ؛ فاستولوا على أكثر جزائر البحر الأبيض ،
التي فتحها المسلمون في أوائل عهد النوح ، مثل : تيرس وأنر بطش
و كريت ، و رودس^(١٥١) . وكذلك ترددت أحاديث نبوية عن أخذ

رومية قاعدة الفرنجة ، وهي غير الأحاديث النبوية التي تردت عن أخذ القسطنطينية ، وأن ذلك يكون على يد المهدي ، ويقصد به مهدي الفاطميين (١٠٢) . فهاجموا السواحل الشمالية ، التي عرفت لهم بالبر الكبير من العدو الشمالية ، وفتحوا جنوة في ٩٤٥/٢٣٣ ، وغزوا سرديانية (١٠٣) ، كما غزوا سواحل بلاد الروم (١٠٤) . والواقع كانت صقلية الميدان ، الذي استطاع الفاطميون بحق أن يؤدوا فيه الجهاد أداء لم يتبها لهم مثله طول أيام دولتهم . بل أرسل المعز الفاطمي من صقلية أسطولاً إلى المرية بالأندلس ، للانتقام من خلافة الأمويين فيها في ٩٥٥/٣٤٤ (١٠٥) .

ولما انتقل المعز الفاطمي إلى مصر ، لم يرض بالتنازل عن حكم صقلية للمغاربة ، وإنما فصلها عن حكم المغرب ، وجعلها خاضعة له مباشرة ، خصوصاً وأنها قاعدة قد تهدد المغرب نفسه إذا حاول الانفصال . فجعل صقلية لأسرة الحسن بن علي الكلي الكتامي (١٠٦) ، الذي تولاه منذ ٩٤٨/٣٣٦ ، فلما توفي خلفه ابنه أبو القاسم علي بن الحسن بن علي ، الذي قتل أثناء جهاده ضد الفرنج في ٩٨٣/٣٧١ ، بعد أن بقي في ولايتها عشيرة عشرة سنة (١٠٧) . ثم وليها من قبل العزيز يوسف بن عبد الله بن محمد بن أبي الحسن ، فلما أصابه فالج استناب ابنه جعفر في ٩٩٨/٣٨٨ (١٠٨) .

وقد بقيت صقلية خاضعة للحاكم بعد العزيز ، بالأخص بفضل أساليب الحاكم الماهرة . فلما بقي علي ولا يوسف وابنه جعفر ، منح يوسف لقب ثقة الدولة وولده جعفر تاج الدولة (١٠٩) . ولما اسقط الحاكم الألقاب جميعها ، لم يسقط لقب صاحب صقلية وولده ، كما لم

يسقط لقب صاحب إفريقية . وقد كانت صقلية تذكر في سجل قاضي القضاة ؛ فقد ذكرت في سجل ابن أبي العوام سنة ٤٠٥/١٠١٤ (١٦٠) ؛ كما لدينا من صقلية عملة مسكوكة باسم الحاكم (١٦١) .

وقد بقي جعفر — نيابة عن أبيه — ضابطاً للبلاد تخضع للخلافة الفاطمية ، وذلك على الرغم من ثورات المغاربة ، الذين كانوا قد قلبوا للفاطميين ظهر المجن في كل مكان . فلما قام المغاربة بفتنة كبرى في ٤٠٥/١٠١٤ ، تغلب عليهم جعفر ، ونفاهم إلى إفريقية . ولكن المغاربة ما لبثوا أن أجبروا يوسف على نفي ابنه جعفرأ إلى مصر في ٤١٠/١٠١٩ ، فأرسله يوسف إلى الحاكم ومعه أموال كثيرة ، وولى بدله ابناً آخر هو أحمد المعروف بالأكحل ، الذي بقي على ولائه للفاطميين ؛ على الرغم من استمرار ثورات المغاربة ضده ؛ مما مهد إلى ضعف سيطرة الفاطميين على صقلية .

✽

ومعنى هذا أن الحاكم احتفظ بأمالك دولته ، مثل بقية الخلفاء الكبار السابقين قبله .

الفصل السادس

نهايته

من العجب العجاب أن نهاية الحاكم مأساة مؤثرة مثل نهاية العمرين ؛
الذين مات أحدهما مقتولاً بخنجر ، والآخر مدسوساً له السم . ولكن
اختلاف المؤرخين في نهاية الحاكم ، جعلها لغزاً إلى الأبد ، على الرغم من
جميع وسائل تمحيص الحقيقة لدى المؤرخ الحديث .

ولدينا روايات كثيرة ترجح أن نهايته كانت نتيجة لجريرة مدبرة من
أعدائه الكثيرين . فقد كان له أعداء من رجال الدولة المحترفين الذين قتل
أغلبهم ، ومن السنة الحاقدين على أهل بيته الذين كانوا يسبونهم وأهل بيته
حتى في المساجد^(١) ، ومن القبط الذين كرهوه لما اتخذهم نحوهم من شروط
مشددة ، ومن أتباع المذهب الشيعي نفسه الذين رفضوا دعوته إلى المذهب
الجديد ، ومن شعوب مملكته من العرب والبربر والفرس والترك والمصريين ،
وحتى من أهل بيته لطمو حهم أو أنه لم تعجبهم تصرفاته .

ولكنهم اختلفوا في قاتله ، وإن نسبت معظم الروايات السنية والقبطية
قتله إلى أخته السيدة الشريفة ست الملك (أو الملوك) ، المسماة أيضاً ست
النصر^(٢) . وقد أبرزت أغلب الروايات دوافع الجريمة ، بسبب أنه كان
يقول لها كلاماً قبيحاً ، وأوقع بها الفواحش ، وأنها تمكن الرجال من

نفسها ، مما جعل أهل مصر يشنعون بها ، فأحرق الحاكم مصر في سورة غضبه . وينقلون أيضاً أنه قبل تولية الحاكم ، كانت ست الملك قد حدثت نفسها بالوثوب على الحاكم ، وإجلال ابن عمها عبد الله ، الذي كانت له تميل ؛ ولكن برجوان منعها ، ودعا إلى بيعة الحاكم (٢) . ويضيفون إلى ذلك ، أن الحاكم كان يشتهي أخته ، بحيث منعها من الزواج ، ليبقى عليها لنفسه . وعلى خلاف ذلك ، نقلت روايات أخرى أن ست الملك أعقل النساء وأحزمهن ، وأنها كانت تمنع الحاكم من تصرفاته وتهاه ، وتقول له : « يا أخي ، أخطر أن يكون خراب هذا البيت على يدك » . فكان لهذا السبب أو ذاك ، أن سعت ست الملك إلى قتل أخيها .

ولكى تقتله ؛ ادعوا أنها استعانت بأحد قواد الجيش الفاطمي ، واسمه سيف الدولة حسين بن دواس ، من شيوخ كسامة ، الذي كان مثل بقية رجال الدواة يخاف نعمة الحاكم . فذهبت ست الملك ليلاً وهي متنكرة إلى دار ابن دواس ، ولم تصحب معها أحداً ؛ فلما دخلت عليه ، قبل الأرض بين يديها ، وأخلى المسكان . فاستحلفته واستوثقت منه ، وقالت له : « أنت تعلم ما يقصده أخي منك ، وأنه متى تمكن منك لم يبق عليك ، وكذا أنا ؛ وقد ادعى الإلوهية ، وهتك ناموس الشريعة ، وناموس آبائه ، وزاد جنونه ، وأنها تخاف أن يؤدي ذلك إلى أن تنقضي هذه الدولة أجمع إنقضاء » . ووعدت ابن دواس لقاء مساعدتها في قتل أخيها ، بأن تجعله رئيس الجيش بكل طوائفه ، كما وعدته بالاقطاعات والأموال ، أما هي فليس لها قصد إلا أن تعيش في سلام . فأعلن ابن دواس قبول قتل الحاكم ، ووعدها بإرسال عبيد من عبيده ؛ لقتله .

وقد تم قتل الحاكم بسهرلة ، بسبب أنه كان يحب الخروج إلى جبل المقطم ، وكان له قوم ينتظرونه كل ليلة على باب القصر ؛ فإذا ركب ركبوا معه ، ولما يصل إلى الجبل يرد جميع من معه ، ماعدا الركابي ، أي حارسه . فتعمدت ست الملك مراقبة أخيها من قصرها ، الذي كان أمام قصره ، فلما خرج أرسلت وراءه العبدین ، بعد أن زودتهما بخنجرين حادين جداً كبضع الجراحة^(٥) ، فاجهزا العبدان على الحاكم وهو في الجبل ، بأن قطعوا ذراعيه إلى السكتين ، وشقوا جوفه وأخرجوا معاه ، كما قتلوا الركابي والحمار ، ثم حملا جثة الحاكم إلى ابن دواس ، فحمله ابن دواس مع العبدین إلى ست الملك ، التي دفنته عندها . وأكثر من ذلك ، أن الحاكم نفسه أحس بنهايته ، وأن أمه ألحت عليه بالألا يخرج ، ولكنه كان يشعر بأنه إذا لم يخرج ، خرجت روحه على كل حال . ولم تقف المؤامرة عند ذلك ، بل عملت ست الملك على قتل ابن دواس أيضاً ، بأن أشارت إلى عبيد الحاكم بأن ابن دواس هو قاتل الحاكم ؛ فقتلوه .

ولكن مؤرخاً حصيفاً وهو المقریزی ينفي عن ست الملك قتل أخيها الحاكم^(٥) ، ويرى أن هذا الخبر جاء من اختراع مؤرخي المشاركة ، أي مؤرخي العراق . ونحن تؤيد المقریزی في حديثه ؛ بسبب أن ست الملك كانت تعيش في رغد وسلام أيام خلافة أخيها ؛ فقد كانت تسكن القصر الغربي الذي بناه أبوها العزيز ، يخدمها فيه أربعة آلاف جارية بين بيض وسود ومولدات ، غير مال عظيم وجوهر وقماش وتحف لا تحصى^(٦) ، كما كانت لها طائفة خاصة من الجند تقوم بحراستها ؛ تعرف بالعطوفية ، تنسب إلى عطوف أحد خدام القصر السود ، وإن كان الحاكم قتله في سنة ٤٠١ / ١١٠^(٧) . وفوق ذلك ، لم تكن ست الملك في مرحلة الشباب ، حتى تكون

مهيأة للغواية ، مثلما شنع بها مؤرخو السنة والقبط ؛ فكان عمرها وقت
اختفاء الحاكم اثنتين وخمسين سنة ، وتوفيت في الخامسة والخمسين
عام ٤١٥ / ١٠٢٤ (٨) . كما أننا نرى مظاهر عطف ست الملك على أخيها
وسهرها على سلامته وسلامة ملكه (٩) ؛ ونقرأها بين سطور روايات
المؤرخين السنيين والقبط أنفسهم ؛ وقد وصفها بعضهم بأنها كانت أعقل
النساء وأحزمهن كما ذكرنا .

وينقل المقرئ عن المؤرخ المسيحي المعاصر للحاكم ، رواية مختلفة
يرى أنها الصحيحة في خبر قتل الحاكم . فقد قبض على رجل من بني حسين
بالصعيد الأعلى ، أمر بأنه قتل الحاكم في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد ،
وأظهر قطعة من جلد رأس الحاكم ، وقطعة من الفوطة (العمامة) التي كانت
عليه . فقيل له لم قتلته ؟ فقال غيرة لله وللإسلام ، فقيل كيف قتلته ؟
فأخرج سكيناً ضرب بها فؤاده ، وقتل نفسه .

ولدينا رواية معاصرة أخرى ، تنفي عن ست الملك قتلها لأخيها ،
وترجع قتله إلى أسباب شخصية ، على يد ابن دواس بالذات (١٠) . فقد رام
الحاكم قتل ابن دواس عدة مرات ، وأن ابن دواس نفسه صرح للحاكم
بأنه لا يحضر للقصر خوفاً منه (١١) . فدبر ابن دواس قتل الحاكم ، مع جماعة
من أهل البوادي بمصر ، وبعد ذلك قدر سوء فعله ؛ فاحتسب في بيته . ولكن
ست الملك تحايلت على ابن دواس إلى أن جاءت به إلى القصر ، فقبضت على
جميع ما كان له ، ووجد في بعض صناديقه السكين التي كانت للحاكم في كفه ،
وتحقق لدى الجميع أن ابن دواس هو قاتله ، والمواطن لأهل البوادي
في ذلك . وفي رأينا أن هذه الرواية قد تبدو صحيحة مثل رواية المقرئ ،
وإن كنا نرجع جريمة ابن دواس إلى عوامل سياسية لا شخصية ؛ فنعرف

أن ابن دواس ، كان من شيوخ كتامة ، أخذ مكان ابن عمّار ، وسيطر على المغاربة ، وكيف أن الحاكم قد تحول عن المغاربة ، بل حاربهم حرباً شديدة أيام ثورة المغامر أبي ركوّة .

وأخيراً لدينا روايات أخرى عن مقتل الحاكم ، لا نعلم مدى صحتها للاختلاف بشأنها مؤداها أن قتلته هم جماعة من المصامدة — وهم مغاربة — بإيعاز من حكام الأندلس^(١٢) ، أو هم جماعة من عربان مصر من بني قرّة ، أو من العرب السُّويديّين المنتسبين إلى زعيم اسمه سويد بن الحارث ، وإن اختلف في عددهم ، فقبيل سبعة أو تسعة ، وأنهم لقوا الحاكم وهو في طريقه إلى جبل المقطم ، وطالبوه بالمال ، فلما ذكر لهم أنه ليس معه مال ، وأن المال في القصر ، تركوا معه بعضهم ، وذهب البعض الآخر مع ركابي (أوركايين) لقبض المال ، فلما عادوا لم يجدوا أثراً للحاكم ، مما لا يترك شكاً في قتله ، لا سيما وقد بُحث عن الحاكم فوجد حماره الأشهب المعروف بالقمر ، في الجبل قرب حلوان وقد ضربت يدها بسيف وعليه سرجه ولجامه ، كما وجدت جيّات الحاكم وهي مزودة بحالها ، وعددها سبع جيات صوف ، وفيها أثر السكاكين^(١٣) .

ولكن طائفة من الشيعة ترى أن الحاكم لم يُقتل ، وإنما ذهب في غيبة أبدية ، وأنه يرجع في آخر الزمان . حقاً إنه تنوّل أن بعض أئمة الشيعة الإسماعيلية قد غابوا وقتاً ما ، مثل : محمد بن اسماعيل ، الذي اختفى لما جاء رجال الرشيد إلى المدينة ، ثم عاد وظهر ، ثم اختفى من جديد لتسكّته ، ولم يسمع عنه شيء بعد ذلك^(١٤) ، كما أن المعزّ — جد الحاكم — اختفى في السرداب عاماً كاملاً^(١٥) ، إلا أن الحاكم هو الإمام الإسماعيلي الأول ، الذي ذهب

في غيبة أبدية . فكانت غيبة الحاكم تشبه غيبة إمام الشيعة الاثني عشرية ، وهو المهدي المنتظر محمد بن الحسن العسكري ، الذي اختفى في السرداب خوفاً من العباسيين ، وقال أتباعه إنه لا يزال حياً إلى الآن ، وأنه سيخرج من سردابه يوم القيامة ، ليملأ الدنيا عدلاً . ولا يبدو أن غيبة الامام ورجعته تناقض الدين ؛ فهي برأى الشيعة من قبل الايمان بنزول عيسى من السماء ، والإيمان ببعض ما ذكره القرآن من الجنة والنار (١٦) ؛ بقصد إظهار قدرة الله . وقد ترك لنا حمزة داعية الحاكم ، نسخة سجل بخط يده ، بتاريخ ذي القعدة سنة ٤١١ / ١٠٢١ ، يعرف بالسجل المعلق على المشاهد في غيبة مولانا الحاكم (١٧) . ويبدأ السجل الطويل : بسم الله الرحمن الرحيم ، وفيه ذكر الله ، ومحمد رسول الله ، واليوم الآخر . وتذكير للناس بأفعال الحاكم ، مثل : منعه تقبيل التراب أمامه ، أو الترجل له ، وزهده بلبس الصوف ، وركوبه الخمر ، وردده المظالم ، وتدمير السكنائس ، وبنائه الجوامع ، وإقامته الصلاة في أوقاتها ، والزكاة في حتمها ، وتسهيله الحج بحفر الآبار وتعميره السقايات ، وإقامته دار العلم ، وحمله الكتب إليها ؛ لتكون في قدرة من يريد . ولكن الناس غلبهم الجهل ؛ وشربوا الخمر ، وأساءوا التصرف ، فغضب الإمام عليهم ؛ فغلق دونهم باب دعوته ، ونقل الدواوين من قصره ، وامتنع من الصلاة بهم في الأعياد في شهر رمضان . وأخيراً ينهي السجل الناس عن البحث في اختفاء الحاكم ، ولكن عليهم بالصلاة والاستقامة ، ليرضى الله عنهم . ولا يزال الدروز وهم أتباع مذهب التوحيد ، تعتقد في رجعة الحاكم ، وأنه المهدي الذي يعود في آخر الزمان لإقامة العدل ، ويلفرون بغيبته (١٨) . ويبدو أن رجال الدولة الفاطمية والناس في وقته كانوا يعتقدون برجعته ، فكانوا يخرجون يتلمسون رجوعه ، ويخرجون فرساً

مسرجاً يسمى بفرس النوبة ليعود به (١٩) .

وكذلك لدينا رواية أخرى غريبة عن اختفاء الحاكم مصدرها قبطنى ، ترى هى الأخرى أن الحاكم لم يُقتل ، ولكنه اختفى ، وتعلل اختفائه إلى أنه تنصر ودخل أحد الأديرة . وأنه حينما اشتد في مطاردة النصارى ، ظهر له يسوع المسيح ، كما ظهر لبرانس ، فأمن الحاكم به ، وتوارى سرأ في الصحراء ، حتى توفى (٢٠) . ويؤيد هذه الرواية روايات غير صريحة ، تلمّح بعطف الحاكم على النصارى في آخر حكمه ، مثل أنه في أخريات أيامه كان يكثّر من زيارة الأديرة في الصحارى ، لا سيما دير القصير بقرب حلوان الذى أعيد بناؤه ، وأنه قرب النصارى ولبس الصوف ليقلد هم (٢١) ، وربما كان الحاكم يكتب بالقبطية (٢٢) .

ورواية ثالثة عن اختفاء الحاكم ، لا تقول بتنصره ، وإنما تروى أنه توجه ناحية حلوان ، فنزل عن حماره الذى كان راكبه ، وتقدم إلى الركابى الذى معه بأن يعرقب الجمار ، ودخل الحاكم البرية وحده ، ولم يرجع ، ولا يعرف إلى أين توجه إلى يومنا هذا (٢٣) . وتؤيدها روايات متفرقة غير صريحة ، تصف لنا حالته النفسية في أواخر أيامه ، فقد ربي شعره وتدى على أكتافه ، وأطلق أظافره ، فكان شكله كشكل أسد له ذؤابه (٢٤) ، وكان يكثّر الخروج إلى الفيافي ، ويقم فيها اليوم واليومين (٢٥) .

وقد كانت إشاعة غيبة الحاكم ورجعته ، سبباً في أن بعض المغامرین جعلوا يستغلونها لحسابهم الخاص ، وجعلوها وسيلة لابتزاز الأموال . فكان أناس يتسمون بالحاكم ، ويتزبون بزیه ، ويظهرون في أنحاء البلاد ، ويأخذون الدنانير . فشلاً ظهر قبطنى اسمه شروط بجبال الصعيد ، تسمى بالحاكم ، وأخذ في ابتزاز مال الناس ، ولم تتمكن الدولة من القبض عليه (٢٦) .

وكذا في ٤٣٤/١٠٤٣ ، خرج انسان اسمه سكين ، ادعى أنه الحاكم وقد رجع بعد موته ، ودخل هو وأتباعه القصر الفاطمي ، ولكن قبض على سكين وأصحابه ، وقد رموا بالنشاب حتى ماتوا ، وصلبوا (٢٧) .

وفي أيام الحاكم نفسها ، كان ورد من الشام إلى مصر إنسان من أهل عكا ، يتزني بزى الأمراء ، وجلس في جوار قصر الحاكم ، يبيع المداد والأقلام ، وكان شبيهاً بالحاكم ، فوقف به الحاكم ، وسأله عن أمره ، فذكر له إنه أخوه من جارية أُخرجت من القصر حبلى من العزيز وولدته ، ثم تعمد الحاكم الوقوف معه في بعض الأحيان ومحدثته ، فلقبه المصريون الشبيه . فلما اختفى الحاكم قبض عليه ، واعتقل مدة ، وأحضره الظاهر بن الحاكم ليشاهده ، فشكا إليه حاله ، وأخذ يخاطبه بابن أخى ؛ فتنكر الظاهر له ، وأعادته إلى الاعتقال ، ومات بعد أيام (٢٨) .

ومع ذلك يجب أن نشير إلى تصرف ست الملك بعد اختفاء الحاكم ، فهي التي قامت بتولية أبي الحسن عليّ بن الحاكم الخلافة . وقد كان للحاكم ثلاثة أولاد هم : أبو الحسن عليّ ، الذي تولى الخلافة بعد الحاكم ، وعرف بالظاهر ، ولد في سنة ٣٩٥/١٠٠٤ هـ - (٢٩) ، وآخر اسمه الحارث توفي في حياة الحاكم سنة ٤٠٠/١٠٠٩ هـ ، وإبنة اسمها ست مصر . ولكن الحاكم في صفر ٤٠٤ / أغسطس - سبتمبر ١٠١٣ (٣١) ، بدلاً من تولية عهده ابنه أبي الحسن عليّ ، ولى ابن عمه أبا القاسم (أبا القاسم) عبد الرحيم (عبد الرحمن) بن إلياس بن أحمد (عليّ) المهدي بالله (٣٢) . وربما أراد الحاكم أن يفعل مثل عمر بن الخطاب ، الذي رفض أن يولى عهده لابنه عبد الله ، أو عمر بن عبد العزيز الذي أراد جعلها شورى ورفض أن يعين أحداً من أبنائه (٣٣) ، أو أن الحاكم أراد تولية عهده رجلاً ناضجاً بسبب

أن أبا الحسن كان صغير السن ، لا سيما وأن الحاكم لم يكن يهمة شخصه أو أسرته ، بقدر ما تهمة المصلحة العامة . وفوق ذلك ، فإن تولية الحاكم لوليّ عهده ، أمر لا يهم أحداً غيره ، فليس للأئمة ولا لأى فرد أن يطلب سبب هذه التولية ، وإنما هو يقوم بها بمعرفة الخاصة ، التي جاءت من علمه اللدني ، الذي توارثه عن أبيه (٣٤) .

ومع ذلك ، فيبدو أن تولية الحاكم لعبد الرحيم غير نهائية ، فهو لم ينص عليه في الخلافة بعده ، وإنما أشار بالنص إلى ابنه أبي الحسن عليّ . ويؤيد ذلك ، أنه لقب عبد الرحيم بوليّ عهد المسلمين ، وليس بوليّ عهد المؤمنين ، حيث يبرز الفاطميون المعنى الذي تدل عليه كلمة مؤمن ؛ فهذه الكلمة تدل على الإيمان ، بينما كلمة مسلم لا تدل إلا على الإسلام ؛ وأن الإيمان هو الذي يهم في العقيدة الفاطمية ؛ ما فيها من اقرار بحق الأئمة الفاطميين ، بالإضافة إلى الإقرار بعقيدة الإسلام (٣٥) . وأكثر من ذلك أن الحاكم جعل لعبد الرحيم كل شيء إلا المظلة ، التي اعتبرت شعار من يتولى الخلافة الفاطمية ؛ إذا كانت تحمل على رموسهم وإنما وجدوا (٣٦) ؛ فقد كان القاسم وليّ عهد المهدي له المظلة ، وهو الذي تولى الخلافة باسم القاسم بعده (٣٧) . ولكن الحاكم كان أول من اتخذ لقب وليّ عهد المسلمين ؛ بحيث أن الخليفة المستنصر — الخليفة الخامس بمصر — قبل أن ينص على وليّ عهده المستعلي ، أشار هو الآخر إلى ابنه : نزار الابن الأكبر والأمير أبي القاسم محمد — أبو الحافظ الخليفة الثامن — بوليّ عهد المسلمين ؛ وكلاهما لم يتول الخلافة (٣٨) ؛ كما لم يتولها عبد الرحيم .

على العموم رفع الحاكم وليّ عهده عبد الرحيم إلى أعلى الدرجات ، فأخذ له البيعة على جميع رجال الدولة ، وألبسه شدة الوقار ، وقرأ سجل تعيينه

على منابر مملكته ، ودعاه له بمكة ، وأمر الناس بالسلام عليه ، وأن يقولوا في سلامهم عليه : « السلام على ابن عم المؤمنين ، وولي عهد المسلمين » . (٣٩) كذلك نقش اسمه معه على السكة (العملة) ، فقد ورد فيها : عبد الله ووليّه الإمام الحاكم بأمر الله ، أمير المؤمنين ، وعبد الرحيم ولي عهد المسلمين . كما نقش اسم عبد الرحيم على البنود والطران (٤١) . وقد أشرك الحاكم ووليّ عهده في الحكم معه . فجعله يشرف على أمور الدولة كلها ؛ بما فيها الإدارة ، وسائر وسطائه ، أو النظر في المظالم ، أو النيابة عنه في الخطبة والصلاة والنحر في الأعياد (٤٢) ؛ مما يدل على أن قصد الحاكم من توليته ، هو أن يساعده في أعباء الخلافة .

ولكن الحاكم عمل على التخلص من عبد الرحيم في أواخر أيامه ؛ فعينه بعيداً عنه في ولاية دمشق ، في جمادى الآخرة . سنة ٤٠٩ هـ / أكتوبر — نوفمبر ١٠١٨ . فلعل الحاكم قد غضب على عبد الرحيم ؛ بسبب معارضته لمذهبه الجديد ؛ بحيث أن حمزة داعية الحاكم ، كتب إلى عبد الرحيم يدعوّه إلى اعتناق مبدأ التوحيد ؛ وأنه لأمه على موقفه المخالف (٤٣) . ولعل عبد الرحيم نفسه كان مكرهاً ؛ بسبب أنه لم تكن له صفات الحاكم في البساطة ؛ بحيث أنه في المواكب كان يلبس الملابس الموشاة بالمذهبة ، وهو راكب على حصان ، بينما كان الحاكم يلبس الصوف ، ويركب الحمير (٤٤) . وأكثر من ذلك ، أن الحاكم سمع بعصيان عبد الرحيم وهو في دمشق فعمل على تأديبه ، فدخل عليه في دمشق جماعة وردوا من مصر ، وضربوه على وجهه ، كإثار به الجند ، ولم ينقذه غير الدمشقيين . وبعد ذلك هجم على عبد الرحيم قوم ملثمون ، فقتلوا جماعة من غلمانه ، ثم أخذوه في صندوق وحمّاه إلى مصر ، ثم أعيد إلى دمشق (٤٥) . ولدينا في رسائل حمزة نقد لشخص عبد الرحيم ورفضه مذهب التوحيد وخطفه ، ورد فيه : « رأينا عبد مولانا ومملوكه

عبد الرحيم بن الياس ولي عهد المسلمين ، رأيناه ذامال وملك ورجال وضبنة
ورسط وعبيد وماليك ، وكان خالياً من توحيد باريه ، جاحداً للنعيم عليه
أياديه ، فلم يمنع منه سلطانه ولا ماله ولا رجاله ، وأخذه من وسط ملكه
المعار ، وسلطانه وقوته وعزته وقدرته ، بالعبد الضعيف الذليل ، فأخذه
بقدره أمر مولاه للطاغى المتجبر ، والدعى المنكر ، لم يمنع منه سلطانه ،
ولا كثرة ماله ولا رجاله (٤٦) . وأخيراً ربما يكون الحاكم قد عدل عن تولية
عبد الرحيم عهده نهائياً ، فقد أطلق لقب ولي عهد أمير المؤمنين على ابن عمه
الأمير ابراهيم أبي هاشم (٤٧) .

ولما كانت ست الملك على علم بحقيقة نص الحاكم ، وغضب الحاكم على
ولي عهده ، عملت على تولية ابن الحاكم أبي الحسن على (٤٨) ، وكان عمره
يومئذ سبع عشرة سنة . فقد كان رجال الدولة سألوا عن الحاكم ، كما كانوا
يخرجون للبحث عنه كل يوم دون جدوى ، بينما كانت ست الملك تستحلف
الجند لأبي الحسن على ، وتوزع الأموال ، وربما استخدمت ابن دواس
في سبيل ذلك ، قبل قتله . وأخيراً أحضرت الناس والجند ورجال الدولة ،
بعد سبعة أيام من اختفاء الحاكم — وقيل إحدى وأربعين يوماً — وأخرجت
أبا الحسن والوزير خطير الملك عمّار بن محمد بين يديه ، وأعلنت خلافة
أبي الحسن على ، الذي تلقب بالظاهر لإعزاز دين الله . فاقبل الجميع على
مبايعة الظاهر ، وأقاموا العزاء على الحاكم ثلاثة أيام ، واستمر البكاء على
الحاكم طول الليل (٤٩) .

وفي الوقت نفسه ، أرسلت ست الملك إلى الأمراء بدمشق بكتب تطلب
منهم القبض على ولي عهد المسلمين (٥٠) . فحمل عبد الرحيم إلى مصر مقيداً ،
ودخل به إلى الفرما — مدينة على ساحل البحر — ثم حملوه إلى جزيرة

تنيس واعتقل مدة ، ثم دخل به إلى القاهرة مكرماً ، وانزل في القصر .
وقيل إن الظاهر هو الذي سمه ليموت ، بأن أرسل إليه شيئاً من الفاكهة
المسمومة ، فأكل منه ومات ، وأظهر للناس أن عبد الرحيم قتل نفسه ؛
أما ولده أحمد بن الياس ؛ فهرب إلى المرداسيين ، ثم إلى بلاد الروم ،
أعداء المسلمين .

•

وقد كان اختفاء الحاكم الليلتين بقيتا من شوال سنة ٤١١ / الثلاثاء
١٣ فبراير ١٠٢١ ، وعمره يومئذ سبع وثلاثون سنة ، بعد أن أمضى
في خلافته خمساً وعشرين سنة ، وستة وعشرين يوماً (٥١) .

الخاتمة

لم يكن عملنا سهلاً ، في البحث عن حقيقة سيرة الخليفة الحاكم بأمر الله ، بسبب ما أضافه أعداؤه عليها من تزيف وتحييز ظاهرين ، وتشويه لم يعرف له مثيل من قبل . ولكننا رغبنا وقائع سيرته وسبرنا غورها ، فوجدناها صورة تختلف كل الإختلاف عن الصورة التي علقنا بأذهاننا ، جديرة بالتأمل والتعجب . فهو شخصية صوفية مثالية نادرة ، لا تهتم إلا بالعمل والواجب ، بما لم يعرف لها شبيه إلا في سيرة العمرين .

ويبدو أن هذه الحقيقة عن شخصية الحاكم ، كانت ملبوسة لمعاصريه . فأحبه المصريون لصفاته القوية ، ولا يصدقون ما يشاع عنه من سوء ، ويؤولون تصرفاته بالأسرار الخفية ، التي له وحده حق معرفتها ، بحكم أنه إمام يسمو على البشر^(١) . ثم هو لرجال جيشه وقواده ، جدير بأن يقدموا حياتهم قرباناً لشخصه : مثلاً فعل قائده ينال . ثم هو لشيخ فلاسفة عصره الكرمانى ، إمام مؤمن بالله ورسوله ، قد ذكرت صفاته في الكتب المقدسة . ثم هو مؤرخ عصره الأمير المسيحي ، صاحب فضل ؛ وأنه كان سعيداً في حكمه^(٢) .

ولعلنا بما عرضناه في سيرة الحاكم ، قد قضينا على الكذب الذى استمر يحيط باسمه إلى وقتنا . ويجب أن نقرر أننا وجدنا لذة كبرى في الوصول إلى أم الحقيقة ، لا تعد لها لذة أخرى .

الجداول

١ - الحواشي

الفصل الأول

- (١) اسان العرب ، ١٠ ص ٥٤ فما بعدها ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Shi'â) t4, p. 362 Sqq.
- (٢) انظر . فرق الشيعة ، ص ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ . يعدد أسماء الشيعة الأراقل ، وهم :
القاداد بن الأسود الكندي (م ٢٣ / ٦٥٣) ، وسلمان الفارسي (م ٣٦ أو ٣٧ / ٦٥٦ - ٧) ؛
وأبوذر الففاري (م ٣١ أو ٣٢ / ٦٥١ - ٦٥٢) ، وعمار بن ياسر (م ٨٧ / ٧٠٦) .
- (٣) انظر . الفهرست ، ١ ص ١٧٥ .
- (٤) الكامل ، ٣ ص ٢١٢ فما بعدها ؛ انظر . ما أوردناه في كتابنا : التاريخ السياسي ،
٢ ص ٦٨ فما بعدها .
- (٥) القريني ، النزاع والتخادم ، ص ١١ .
- (٦) الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، ١٣ ص ١٦٨ و ٢٢٢ و ١٦ ص ٦ - ٧ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl (art Abû Turâb) II, p. 114. و التاريخ السياسي ، ٢
ص ٦٩ - ٧٠ .
- (٧) الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، النجف ٣٥٣ هـ ؛ انظر .
- (٨) عن ذلك بالتفصيل ، انظر . كتابنا التاريخ السياسي ، ٢ ص ٢٢٣ فما بعدها .
- (٩) النوبختي ، ص ٤٨ و الخطط ، ٤ ص ١٧٣ و ١٠ - ١١ .
- (١٠) انظر . كاشف الغطاء ، أصل الشيعة واصولها ، ص ٨٨ . يرد كاشف الغطاء
على ذلك ؛ بالاستشهاد بشعر أبي طالب في قوله :
واقده علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية دينا
- (١١) عيون الأخبار (مخطوطة بمكتبة الهمداني الخاصة) ، ٤ ورقة ٢٢٩ ؛ انظر . الهمداني ،
بحث في تاريخ رسائل إخوان الصفا ، ص ١٥ فما بعدها .
- (١٢) النزاع والتخادم ، ص ٦٤ و الخطط ، ٤ ص ١٥٤ . حكم الخليفة محمد المنتصر
بين ٢٤٧ - ٢٤٨ / ٨٦١ - ٢ .
- (١٣) الخطط ، ٤ ص ١٧٣ و ١٣ . يقول إن المشهور منها عشرون فرقة .
- (١٤) مثلا : رسائل إخوان الصفا ؛ اعترفت من تأليف أئمة الشيعة الإسلامية ، وهي
تحتوي على عقائد كثيرة . عيون الأخبار ، ٤ ورقة ٢٢٩ ؛ انظر . الهمداني ، و رسائل إخوان
الصفا ، ص ٢٩ فما بعدها .

(١٥) الملل ، ص ١٠٩ .

(١٦) التوبخني ، ص ٧٣ .

(١٧) النعمان ، شرح الأخبار ، مخطوطة بدار الكتب برقم ٧٠٦٢ ح ، ورفاته ٣ - ٥ . في أثناء حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة بالقرب من غدیر خم ، قام محمد خطيباً في الحجاج ، فقال : «أنت أولى بالؤمنين من أنفسهم» ، قالوا : «بلى يا رسول الله» ، قال : «من كنت مولاه فعلي مولاه» ، منهم وال من وآله وعاد من عاداء ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله» . كذلك وردت في رواية أخرى ، وُداها أن محمداً ، في أثناء غزوة تبوك ، قال لعلي : «أما ترمي أن تسكون من منزلة هارون من موسى» . عن ذلك ، انظر : دعائم الإسلام ، ١ ص ٣٥ .

(١٨) أوردها بالتفصيل ، يوصل الإمامة من كتابنا : نظم الفاطميين ، الجزء الأول .

(١٩) دعائم ، ١ ص ٤٤ ؛ الداعي إدريس ، زهر المغانى (الباب السابع عشر) ، نشر

بمطبعة ١٧٥٥ في كتابه Rise (المنتخب من بهس كتب الاسماعيلية) ، ص ٥٢ .

(٢٠) الملل ، ص ١٤٥ - ١٤٦ ؛ زهر المغانى (من المنتخب) الباب السابع عشر ،

ص ٣٥ ؛ الخطاب ، غاية المواليد (من المنتخب) ص ٣٥ - ٣٦ ، ابن خلدون ، المقدمة ،

ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢١) الملل ، ص ١٤٥ - ١٤٦ ، وكتابنا : نظم ، ١ ص ٩ ؛ و Ency. de l'Isi.

(art Ismā'īliya) t2 p. 38٥ sqq

(٢٢) انظر في هذا الصدد ما قاله الآمر عن أبيه :

«وأعلمني من العلوم على السر للسكنون ، وأفضى إلي من الحسكة بالغامض المصون» .

عنه في المحاضرة ، ٢ ص ١٥ ؛ وما أوردها في نظم ، ١ ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢٣) المؤيد ، سيرة ، تحقيق كامل حسين ، ص ١٧ ؛ تاج المفاتيح ، ص ٤٧ . ويسمى

أعدائهم بالباطنية ؛ وإن لم تعرف أن الشيعة سمو أنفسهم بذلك ؛ لا سيما وأن أعداءهم كانوا

يسمونها أيضاً على فرق من الزنادقة مثل الحرامية والزهوكية . انظر . ابن خلدون ، المقدمة ،

ص ٢٥٩ (يقول ابن خلدون نسبة إلى الامام الباطن) ؛ انظر .

Ency. de l'Isi. (art Bāṭiniya) II p. 697.

(٢٤) دعائم ، ١ ص ٦١ .

(٢٥) الملل ، ص ١٠٩ .

(٢٦) دعائم ، ١ ص ٣١ .

(٢٧) التوبخني ، ص ٦٤ - ٦٥ ؛ جعفر بن منصور ، كتاب الفرائض و حدود الدين .

تحقيق الحمدي ، ص ٩ ؛ انظر .

Ency. de l'Isi (art Takiya) t4, p. 659 sqq.

يقول جعفر الصادق : « التقية ديني ودين آبائي ، ومن لا تقية له ، فلا دين له » .

(٢٨) المقدمة ، ص ١٨ س ١ - ٢ .

(٢٩) زهر المعاني (المنتخب) ، ص ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٣ .

(٣٠) نفسه ، ص ٥٩ ، انظر . Ivanow :

Alleged Founder of Ismā'ilism. Bombay. 1946 p. 7-8.

(٣١) انظر . كتاب الفرائض ، ص ٩ - ١٠ . الأروبة ، هم : موسى وإسماعيل ومحمد وعبدالله

(٣٢) زهر المعاني (المنتخب) ص ٤٧ ، ٤٩ ، الفرائض ، ص ٦٠ ، ٦٣ .

(٣٣) الفرائض ، ص ٩ - ١٠ .

(٣٤) زهر المعاني (من المنتخب) ، ص ٥٤ . يكفى أن نطلع عننا قيل في نسب عبيد الله إلى علي ،

أول الأئمة الظاهرين بعد دور الستر . فهو عبيد الله بن الحسين ، وقيل عبيد الله بن محمد ، وقيل

هو علي بن الحسين ، وقيل هو عبيد الله بن التقي . وفيات ، ص ١ ، ٤٨٧ .

(٣٥) انظر . DeSacy . *Recherches sur l'initiation à la secte :*

Ismaelienne J. A. 1824, p. 302.

(٣٦) النعمان ، افتتاح الدعوة (مكتبة المهداني) ، ورفات ١٨ - ١٩ .

(٣٧) أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ؛ وانظر . التاريخ السياسي ، ص ٢٨٨ فما بعدها .

(٣٨) المقدمة ، ص ١٨ ؛ ٢٣١ (آخر الصفحة) . مؤسسها إدريس بن إدريس

ابن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . انظر .

Ency de l'Isl (art Idrîs) ; (Idrîsides) t2, p. 478 sqq.

(٣٩) البيان ، ص ١٢٤ فما بعدها ؛ اتماظ ، ص ٧٤ فما بعدها ؛ ابن حماد ، أخبار

ملوك بني عبيد ، ص ٦٠ فما بعدها ؛ افتتاح ، ورقة ٣٢٧ وما بعدها .

(٤٠) معجم البلدان ، ص ٣٧٠ .

(٤١) اتماظ ، ص ٦٧ وهاهنا (٣) .

(٤٢) نفسه ، ص ٧٤ س ٤ . عن أبي عبد الله ، انظر . المخطوط ، ص ١٥٠ فما بعدها ؛

Ency de l'Isl (art Abū 'Abd Allâh) t1, p 76.

(٤٣) ابن حماد ، ص ٧ .

(٤٤) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٤٥) اتماظ ، ص ٨١ فما بعدها ؛ ابن حماد ، ص ٦٠ فما بعدها ؛ النعمان ، سيرة جعفر

الحاجب ، تحقيق Ivanow ، مجلة كلية الآداب ١٩٣٦ ؛ زهر المعاني (الجزء السابع

عشر) (المنتخب) ص ٦٧ فما بعدها ؛ حسن إبراهيم ، عبيد الله ، ص ١٢٤ فما بعدها .

(٤٦) عنها ، انظر معجم البلدان ، ص ٩١٢ — ٩١٣ . اختلف في مقر سكنه ، فيذكر الفريزي أنه كان يسكن عسكر . مكرم ، بلده في نواحي خوزستان ، ثم انتقل إلى الشام . تماظ ، ص ٦٩ . عن هذه البائدة ، انظر . معجم البلدان ، ص ١٧٦ — ١٧٧ .

(٤٧) سيرة جعفر ، ص ١١٣ .

(٤٨) نفسه ، ص ١١٠ ، انظر الحمداني ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، ص ٣٩ — ٤٩ .

(٤٩) الخطاط ، ص ٣ ، ص ١٧ ، ص ٧ .

(٥٠) النيسابوري ، استنار الإمام ، تحقيق Ivanow ، مجلة كلية الآداب ، ص ١٠٦ .

(٥١) سيرة جعفر ، ص ٩١٥ .

(٥٢) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ص ٤١ .

(٥٣) تماظ ، ص ٩١ — ٩٢ .

(٥٤) انظر . مثلاً سيرة جوذر ؛

Ency. de l'Isi, (art Fatimites) t2, p. 93 sqq.

(٥٥) انظر . مثلاً كتاب ابن حاد ، أخبار ملوك بني هبيد .

(٥٦) غاية المواليد (من المنتخب) ص ٣٦ — ٣٧ ؛ زهر الماني (من المنتخب) ص ٦٧ ؛

انظر أيضا : الفرائض ، ص ١١ — ١٢ ؛ حسن إبراهيم ، عبيد الله ، ص ٨٠ فأبدها .

(٥٧) ابن حاد ، ص ١٤ .

(٥٨) تماظ ص ٨٠ ؛ الفرائض ، ص ١٢ — ١٣ ؛ انظر . Guyard : (نص عربي)

Fragments, p. 24 sqq.

(٥٩) عن ذلك ؛ انظر . لسان ، ص ٢٠ ، ص ٢٢٨ فأبدها ؛ عبدالنعم ، المهدي ، المجلد ٩ ،

صفر ١٣٧٤ هـ ، ص ١٠ فأبدها ؛

Ency. (art al-Mahdi) : Rise, p. 50 — 51 ; 103 : Ivanow : t3, p. 116 sqq

(٦٠) لسان ، ص ٢٠ ، ص ٢٣٢ ؛ انظر . Rise, p. 103 : Ivanow . اعتبر جزءاً

من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة .

(٦١) السكامل ، ص ٣ ، ص ٣٤١ ، ص ١٧ — ١٨ ؛ التوحيدي ، ص ٢٧ .

(٦٢) ابن سعد ، ص ٥ ، ص ٢٤٥ ، ص ٥ .

(٦٣) الخليفة العباسي المهدي .

(٦٤) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٧ — ٢٩ .

(٦٥) السكامل ، ص ٦ ، ص ٣٦٠ ، ص ٣ .

- (٦٦) الليل ، ص ١٠٨ — ١٠٩ .
(٦٧) السكامل ، ٦ ص ٣٦٠ .
(٦٨) الأحكام ، ص ٦ .
(٦٩) از ، النيمان ، المجالس والمسائرات ، (مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة) ٢ ورقة ٤٧٨ ؛
انظر . Caoard :

L'impérialisme des Fatimides, Annales de l'Inst. d'Et. Or, 6, 1942 - 7, p. 158.

يقول كزار عن هذا الاعتقاد إنه أقوى من الدين ، الذي أدى إلى الفتوح الأولى ، ومن مطالع الأمويين الشخصية ، ومن استغلال المباسمين الاستياء ضد الأمويين ، الخ .

- (٧٠) دعائم ، ٩ ص ٣ ؛ نظم ، ٩ ص ٦٩ ؛ فما بعدها .
(٧١) الاصلحى ، مسالمة ، ص ١٢ .
(٧٢) البيان ، ٢ ص ١٦٩ .
(٧٣) انظر . بمده .
(٧٤) سيرة جعفر ، ص ١١٢ . وكذلك يقول أبو القاسم محمد : « والله لا أزال حتى أملك صدر الطائر ورأسه — إن قدرت — وإلا أملك دونه » ، يقصد بذلك الخلافة المباسمية وأملاكها . انظر . اتماظ ، ص ٩٩ .
(٧٥) نفسه ، ص ٩٨ — ١٠٤ .
(٧٦) ابن حاد ، ص ١٢ .
(٧٧) ابن العميد ، ص ٣١٩ .
(٧٨) اتماظ ، ص ١٠٨ .
(٧٩) هي فتنة أبي يزيد محمد بن كيهان الخارجي في سنة ٣٣٢ / ٩٤٣ — ٤ . انتهاء انظر . اتماظ ، ص ١٠٩ ؛ ابن حاد ، ص ١٨ ؛ فما بعدها ؛ سيرة جعفر ، ص ٤٤ ؛ فما بعدها .

انظر عن المهدي . اتماظ ، ص ١٠٩ — ١٠٣ ؛ معجم البلدان ، ٨ ص ٢٠٥ ؛ فما بعدها .
(٨٠) عنه ، انظر . وثبات ، ١ ص ٢٠٩ ؛ فما بعدها ؛ انظر .

Ency. de l'Isl (art Djawhar) tII, p. 1058.

- (٨١) انظر على الخصوص : النجوم ، ٤ ص ٤٨ ؛ فما بعدها ؛ اتماظ ، ص ١٣٤ ؛ فما بعدها .
(٨٢) اغانة الأمة ، الطبعة الثانية ، ص ١٢ .
(٨٣) النجوم ، ٤ ص ٧٢ — ١٥ ؛ اتماظ ، ص ١٤٦ — ١٤٧ .
(٨٤) اتماظ ، ص ١٤٧ ؛ فما بعدها .

- (٨٥) وفيات ، ١ ص ٣١٩ .
(٨٦) اتماظ ، ص ١٥٦ .
(٨٧) ابن حاد ، ص ٤١ .
(٨٨) حزن المحاضرة ، ٢ ص ٩١ .
(٨٩) النجوم ، ٤ ص ٧٥ من ٤ — ٥ .
(٩٠) نفسه ، ٤ ص ٣٤ أيضا بعدها ؛ اتماظ ، ص ١٥٨ أيضا بعدها ؛ الخطاط ، ٢ ص ٢٠٤ ؛ انظر . كرزويل ، تأسيس القاهرة ، الترجمة السيد محمد رجب ، المقتطف ١٩٣٤ (نوفبر وديسمبر) ؛ Ency. (art Caïre) II, p. 841 sqq .
(٩١) ينفي الماز بشدة في حديث له فائدة التنجيم لآل في العلم ؛ مما يدل على بطلان هذا الرأي . انظر . بعده .
(٩٢) انظر . Casanova . La Citadelle du Caïre. M. M. A. F. (VI) : Casanova . Fasc 4 ; 5. Paris 1894, p. 524.
(٩٣) اتماظ ، ص ٢٠٤ ، فإ بعدها . عرف بهذا الاسم لقصر فامته ورجايه ، أو لأنه في سيره يقرمط أي يقارب بين خطواته ؛ أو لأن بسمرة وجهه كانت حراء تشبه القرمذ ، وهو الطوب الأحمر (الأجر) ، أو على اسم شقيق ابن حاد كرميته ، فختف إلى قرمط ، أو حتى بمعنى الفلاح . انظر أيضا : نفسه ، ص ٣٠ وهامش (١) ؛ السكامل ، ٦ ص ٧٠ ؛
Ency. (art Karmates) t2, p. 813 sqq .
(٩٤) اتماظ ، ص ٢١٤ وهامش . عن جنابة ، انظر . معجم البلدان ، ٣ ص ١٤٢ — ١٤٣ .
(٩٥) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ١ ص ١٣٦ — ١٣٧ . يقول إن الذي جعلها عاصمة هو أبو طاهر .
(٩٦) عنها ، انظر . نفسه ، ٨ ص ٤٤٥ — ٤٤٦ .
(٩٧) السكامل ، ٦ ص ١٥٥ ، ١٥٤ ؛ انظر .
Rise, p. 75 sqq .
(٩٨) اتماظ ، ص ٢٣٩ ، فإ بعدها ؛ البر ، ٤ ص ٨٨ — ٨٩ ؛ انظر . حزن إبراهيم عبيد الله ، ص ٢١٧ ، فإ بعدها ؛ de Goeje ؛ Carmathes, t2, p. 69 .
(٩٩) اتماظ ، ص ٧٤٨ — ٧٥٠ ؛ ابن حاد ، ص ٤٦ .
(١٠٠) اتماظ ، ص ١٨١ ؛ البر ، ٦ ص ١٣ ؛ ٧٧ ؛ ٧٣ ؛ انظر .
Ency. (art Soulatin) t4 p. 542; (art Hilâl) t2 p. 325 sqq .
(١٠١) عنه ، انظر . وفيات ، ١ ص ٣٠٠ .

- (١٠٢) انماظ ، ص ٨٠ . يقول المغاربة والمصريين .
(١٠٣) نفسه ، ص ٢٥١ فما بعدها .
(١٠٤) حسن المحاضرة ، ص ٢ ، ص ١٢ ؛ النجوم ، ص ٧٤ — ٧٥ .
(١٠٥) النجوم ، ص ٢٢٨ .

الفصل الثاني

- (١) عن سيرته مثلاً ، انظر . المخطوط ، ص ٦٨ فما بعدها ؛ ادريس عماد الدين ، عيون الأخبار ، ٧/٦ ورقة ٢٢١ فما بعدها (مكتبة الهمداني) ، وفيات ، ص ٣ ، فما بعدها ؛ انظر . عنان ، الحاكم بأمر الله ؛ De Sacy :
- Exposé de la Religion des Druzes et Précédé d'une introduction et de la vie du khalife Hakem Biamr Allah Paris 1838 tII, .**
؛ Ency de l'isl (art al-Hakim Bi Amr'alláh t2, p. 238—9.
- (٢) يقول ادريس : الثالث والرابع من شهر ربيع الأول . عيون ، ٧/٦ ، ورقة ٢٢١ .
(٣) المخطوط ، ص ٢٠٧ س ٢٥ — ٢٦ .
(٤) انظر ملحق لكتاب سير الآباء لسويس بن المقفع ، مخطوطة مصورة بدار الكتب برقم ٦٤٣٤ ح ، ٣ ورقة ٥٠ .
(٥) تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٧ .
(٦) يحيى ، ص ٢٤٤ ؛ انظر . عنان ، الحاكم ، ص ١٣٦؛ ٤٢ . توفيت سنة ٤١٠ / ١٠٢٣ — ١٠٢٤ ، عن خمسة وخمسين عاماً ، وعلى العكس يقول المقرئ لأنها ولدت عام ٩١٧/٣٠٥ ، وتوفيت عام ٤٢٥ / ١٠٣٤ ؛ فربما هذا التاريخ الأخير مبني عليه . المخطوط ، ص ٣٣٣ . أما ابن إياس فيسببهاست النصر . تاريخ مصر ، بولاق ١٣١١ هـ ، ص ٥٧ س ٤ .
(٧) يحيى ، ص ٢٣٧ ؛ ابن العميد ، ص ٢٤٧ .
(٨) انظر . عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ٤٢ .
(٩) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٢١ .
(١٠) الكامل ، ص ٧٧٧ س ٦ .
(١١) انظر . كتابنا : نظم الفاطميين (فصل الإمامة) ، الجزء الأول .
(١٢) المخطوط ، ص ٢٩٥ س ١٤ — ١٥ . يقول ادريس : أطلعه الله على علم آباؤه . عيون ٧/٦ ، ورقة ٢٢٢ .
(١٣) عيون ، ٧/٦ ، ورقة ٢٢١ .
(١٤) نهاية الأرب (مخطوط بدار الكتب) ٢٦ ورقة ٥٠ ؛ انظر . عنان ، الحاكم ، ص ٤٢ وهامش (٣) .

- (١٥) اختلاف في التاريخ قتلا المقرئ يقول عشرين شهر رمضان . انظر . وفيات .
ص ٥٤ — ٥٥ .
- (١٦) عن الايوان ، انظر . الخطط ، ص ٢ من ٢٢٢ فا بعدها ؟ نظم ، ص ٢ من ١١١ —
١١٢ . بناء المزير في سنة ٣٦٩/٩٧٩ — ٩٨٠ .
- (١٧) اتماظ ، ص ١٨٨ . عن هذا السير ، انظر . نظم ، ص ٢ من ١١٢ — ١١٣ .
- (١٨) عنها بالتفصيل ، انظر . صبح ، ص ٣ من ٤٧٢ — ٣ ؛ نظم ، ص ٢ من ٦٥ — ٦٧ .
- (١٩) النيمان ، كتاب المهمة ، ص ١٠٥ .
- (٢٠) الخطط ، ص ٤ من ٦٨ . عن هذا اللقب بالتفصيل ، انظر . نظم ، ص ١ من ٧٢ — ٧٣ .
(٢١) انظر . بعده .
- (٢٢) دعائم ، ص ١ من ٥ ؛ عنه بالتفصيل ، انظر . نظم ، ص ١ من ٧٤ — ٧٥ .
- (٢٣) الخطط ، ص ٤ من ٦٨ .
- (٢٤) ابن اياس ، ص ١ من ٦٧ ؛ انظر . نظم ، ص ١ من ٧٥ .
- (٢٥) انظر . Siasset Nameh. trad Schefer, p. 135 .
- (٢٦) الخطط ، ص ٣ من ٥ ، ١٥ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٢ — ٣٣ .
- (٢٧) ناصر خسرو ، سفرنامه ، تحقيق يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ٥٢ و ٥٧ .
- (٢٨) الخطط ، ص ٣ من ١٥ ؛ ١٧ .
- (٢٩) نفسه ، ص ٢ من ٣٠٩ — ٣١١ ؛ ص ٣ من ١٨ من ٤ ؛ انظر . نظم ، ص ١
ص ١٩٧ — ١٩٨ .
- (٣٠) سفرنامه ، ص ٥٢ — ٥٣ ؛ الكامل ، ص ٧ من ١٧٨ من ٩ ؛ انظر . نظم ، ص ١
ص ١٩٦ .
- (٣١) الخطط ، ص ٣ من ١٧ من ٢٧ — ٢٨ ؛ ص ٤ من ٦٧ من ٢٣ — ٢٤ .
- (٣٢) نفسه ، ص ٣ من ١٢ ؛ ١٥ .
- (٣٣) نفسه ، ص ٣ من ١٧ من ٢٨ .
- (٣٤) سفرنامه ، ص ٥٣ ؛ الخطط ، ص ٣ من ٣٣ ؛ انظر . نظم ، ص ١ من ١٩٩ — ٢٠٠ .
- (٣٥) علي الخصوص مراجع الصليبيين .
- (٣٦) الخطط ، ص ٣ من ٥٧ — ٥٨ ؛ يحيى ، ص ١٨٠ — ١٨١ ؛ ذيل تاريخ دمشق
ص ٤٤ و ٤٥ ؛ حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الثانية ، ص ٦٢٣ .

(٣٧) المخطوط ، ص ٣ من ١٧ — ١٨ . عنها بالتفصيل ، انظر . نظم ، ١ ص ٧٨ فما بعدها .

(٣٨) انظر ملاحظة de Sacy *Druzes I, P. CCLXXXIV-CCLXXX V.* :

Répertoire, 6, p. 20. . انظر

(٤٠) انماط ، ص ١٩٥ و ١٩٧ و ٢٠٣

(٤١) الكامل ، ٧ ص ١٧٨ .

(٤٢) عنه ، انظر . المخطوط ، ٣ ص ٤ فما بعدها و فييات ، ١ ص ١٥٥ — ١٥٦ و

الكامل ، ٧ ص ١٧٧ — ١٧٨ و الروذراورى ، ذيل كتاب تجارب الأمم ، تحقيق Amedroz ، مصر ١٣٣٤/١٩١٦ ، ص ٢٧١ فما بعدها . برجوان بفتح الباء ، وسكون الراء ، وفتح الجيم . انظر . وفيات .

(٤٣) انظر . وفيات ، ١ ص ١٥٦ .

(٤٤) هي كلمة فارسية ، معناها السيد أو الكبير . صبح ، ٥ ص ٤٥٧ . ونلاحظ أن

عنان (ص ٤٥) أخطأ بقوله ، إن أستاذ هو لقب من ألقاب الوزارة في الدولة الفاطمية و إنما هو لقب لرجال القصر الفاطمي . عن هذه المنصب بالتفصيل ، انظر . نظم ، ٢ ص ١٠ — ١٢ وهماش

(٤٥) الكامل ، ٧ ص ١٧٧ — ١٧٨ .

(٤٦) الروذراورى ، ص ٢٣٠ فما بعدها .

(٤٧) المخطوط ، ٣ ص ١٨ ص ٢ .

(٤٨) ذيل ، ص ٤٥ فما بعدها .

(٤٩) الروذراورى ، ص ٢٢٥ .

(٥٠) المخطوط ، ٣ ص ٤ و شرح النعمة (مخطوط بجامعة القاهرة ، برقم ٤٠٢٢) ورقة ٥ .

(٥١) المخطوط ، ٣ ص ٤ ص ١ و ١٨ ص ٤ .

(٥٢) يحيى ، ص ١٨١ ص ٩٥ .

(٥٣) المخطوط ، ٣ ص ٥ .

(٥٤) ابن اياس ، ١ ص ٥٦ — ٥٢ حواصل ، جمع حاصل و انظر . صبح ، ٣

ص ٤٧٨ — ٤٧٩ و نظم ، ٢ ص ٧٥ .

(٥٥) سير الأباء ، ٣ ورقة ٥٣ . يقول ابن القلانسي أن الذي سماه بالوزراء هو ابن عمار .

ذيل ، ص ٤٥ ص ٦ .

(٥٦) الروذراورى ، ص ٢٣٠ — ٢٣٢ .

- (٥٧) عيون ، ٧/٦ ورفات ٢٢٦ فما بعدها ، ذيل ، ص ٥٥ فما بعدها .
- (٥٨) عن هذا البستان ، الذي ينسب إلى أبي المسك كافور الأحمدي . انظر .
الخطوط ، ٢ ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .
- (٥٩) انظر نفسه ، ٢ ص ٣٤٨ . اختلف فيمن بناه ، وربما بنى في عهد العزيز ،
وهدم عدة مرات ، وأقيمت به الإصلاحات . فيذكر لإدريس أن الحاكم قصد عمارة بستان
الوؤلوة عيون ، ٧/٦ ورفات ٢٢٧ — ٢٢٨ .
- (٦٠) اختلف في تاريخ قتله ، فيقول ابن خاكان : ١٥ جمادى الأولى ٣٩٠ / ٢٥ أبريل ١٠٠٠ .
أما ابن الأثير فيقول إن قتله في سنة ٣٨٩ / ٩٩٩ . انظر . الكامل ، ٧ ص ١٤٠ ، ويؤيده
الرشادوري ، ص ٢٣٢ ، انظر أيضا وفيات .
- (٦١) انظر . خطوط أنماط طوبى بقرسى ١٥٤ — ب : انظر . الشيال ، مجموعة الوثائق
الفاطمية ، ١ ص ١٣١ — ١٣٥ ، ٢٠٩ ، ٣٠٩ — ٣١٩ .
- (٦٢) أورد القريني التاريخ و الخطوط ، ٣ ص ٥٨ .
- (٦٣) يحيى ، ص ١٧٨ ص ٢١ .
- (٦٤) عيون ، ٧/٦ ورفات ٢٣٠ — ٢٣١ .
- (٦٥) يقول الحاكم إن برجوان : « استصرني واستصيانى » عيون ٧/٦ ورقة ٢٢٦ .
- (٦٦) قتلا من de Sacy :

Druzes . Introd. II, p. CCXCIV—CCXCV.

الفصل الثالث

- (١) عيون ، ٧/٦ ورفات ٢٢٧ — ٢٢٣ . انظر ما أورده الداعية حيد الدين
الكرمانى ، عن التبشير به في التوراة .
- (٢) نفسه ، ورقة ٢٢٤ ص ٣ .
- (٣) الخطوط ، ٧ ص ١٦٤ .
- (٤) عن هذه القصور بالتفصيل ، انظر . نفسه ، ٢ ص ٢١٤ فما بعدها ، ٢٢٢ فما
بعدها ، انظر . Ravaisse :

Essai sur l'histoire et sur la topographie du Caire (M. M. A. F.)

: Ency de l'Ist (art Caire) II, p. 842. II, : p. 428-9.

- (٥) الخطط ، ٣ ص ٤٤ و انظر . Ravaisse . Essai, I, I, p. 429 .
- (٦) نفسه ، ٢ ص ٢٥٣ فا بعدها . عن الخزانين بالتفصيل ، انظر . نظام ، ٢ ص ١٢ فا بعدها .
- (٧) نفسه ، ٢ ص ٢٦٣ ص ١٩ .
- (٨) انظر مثلا ما أورده القرينى عن ثروة كل من السيدتين رشيدة وعيدة ، ابني المر . الخطط ، ٢ ص ٢٦٤ ؛ نظام ، ٢ ص ١٧ — ١٨ وماشئ .
- (٩) نفسه ، ٣ ص ٨ ص ٢٥ — ٢٦ . كانت خزائنه ممتدة ، منها : الكسوة والمال والكتب والأشربة وغيرها .
- (١٠) ابن اياس ، ١ ص ٥١ .
- (١١) الخطط ، ٣ ص ٥٨ ص ١٠ .
- (١٢) صبح الأعشى ، ٣ ص ٤٨١ و انظر . نظام ، ٢ ص ١١ — ١٢ .
- (١٣) يحيى ، ١ ص ٢٠٧ ص ١ . امل كل ما أوردهنا هنا ينق . ما أورده حسن ابراهيم عن أن الحاكم كان مشهوراً بحب العظمة ، وجم الثروة ، وذلك دون أن يشير الى مرجع يؤيد كلامه . انظر . قوله في كتاب : تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الثانية ، ص ٥٥٢ .
- (١٤) يحيى ، ١ ص ٢٠٦ ص ٢١ — ٢٣ .
- (١٥) نفسه ، ١ ص ٢٠٩ .
- (١٦) السكامل ، ٤ ص ١٥٤ و انظر . التاريخ السياسى ، ٢ ص ٢٥٩ .
- (١٧) يحيى ، ١ ص ٢٠٠ ص ٢١ .
- (١٨) عنها و انظر . الخطط ، ٢ ص ٢٥٥ فا بعدها ؛ نظام ، ٢ ص ١٤ — ١٧ .
- (١٩) عنها ؛ انظر . نفسه ، ٢ ص ٣٥٢ ؛ نفسه ، ٢ ص ٣٤ — ٣٥ .
- (٢٠) عنذرات ، ٣ ص ١٩٤ .
- (٢١) يحيى ، ١ ص ٢٠٨ ص ٦ .
- (٢٢) نفسه ، ١ ص ٢٠٥ ؛ ٢١٨ .
- (٢٣) عن هذه السكامة ، انظر . الخطط ، ٤ ص ٧٨ ص ٩ — ١٠ ؛ نظام ، ٢ ص ٣٩ .
- (٢٤) النجوم ، ٤ ص ٧٩ ص ٦ .
- (٢٥) الخطط ، ٤ ص ٦٧ (آخر الصفحة) .
- (٢٦) عنها بالتفصيل ، انظر . النجوم ، ٤ ص ٧٩ فا بعدها ؛ صبح ، ٣ ص ٣٠٣ .
- فا بعدها ؛ الخطط ، ٢ ص ٣١٣ فا بعدها ؛ نظام ، ٢ ص ٤٥ فا بعدها .

- (٢٨) الخطط ، ٤ ص ٧٢ ص ٦ فا بعدها .
- (٢٩) وفيات ، ٣ ص ٧ . يظهر من رسائل الدروز أنه بدأ في ذلك ، سبع سنوات قبل فقدمه . انظر ملاحظة De Sacy : Druzes. p. CCCCLXVI - VII, et n. .
- (٣٠) يحيى ، ص ٢٠٥ ؛ ٢٢٢ .
- (٣١) عنها ، انظر . الخطط ، ٤ ص ٣٢٤ — ٣٢٣ ؛ نظم ، ٢ ص ٩٩ .
- (٣٢) مثلا . صبيح ، ٣ ص ٥٩٤ — ٥٩٥ ؛ انظر . نظم ، ٢ ص ٩٠٠ — ٩٠٧ .
- (٣٣) يحيى ، ص ٢٠٠ ص ١٦ — ١٨ .
- (٣٤) نفسه ، ص ٢٢٧ ص ٥ — ٦ .
- (٣٥) الخطط ، ٤ ص ١٧٣ ص ١٠ . عنها بالتفصيل ، انظر . نظم ، ٢ ص ٩٠٣ — ٩٠٤ .
- (٣٦) يحيى ، ص ٢٢٤ ص ١٤ — ١٥ .
- (٣٧) أورد ذكر هذه الجوامع المقريزي في اتباط ، ورفات ٦٦ أ — ٦٩ أ ، انظر مجموعة الوثائق ، ١ ص ٥٨ وهامش . يدلله هذا على أن الحاكم كان يخرج إلى الصلاة في كل جمعة من شهر رمضان ، كما كان الحال حينما كانت دولتهم بالمغرب (انظر . مدينة ، جوفو ، ص ١١٤) . وعلى العكس تذكر كتب الرسوم ، أن الركوب يكون أيام الجمع الثلاث الأخيرة من شهر رمضان ، ولا يخرج عن جوامع الأزهر والحاكم وشهرو . انظر . مثلا صبيح ، ٣ ص ٥٠٣ — ٥١٢ ؛ نظم ، ٢ ص ٩٥ فا بعدها . وربما يكون الحاكم صل في جامع راشددة — كما يذكر المقريزي — فذلك هو بانيد . الخطط ، ٤ ص ٦٣ ؛ انظر .
- (٣٨) ولاية ، ص ٦٠٥ .
- (٣٩) الخطط ، ٢ ص ٣٥٣ فا بعدها ؛ ٣ ص ٣٢٧ ؛ نظم ، ٢ ص ١٠٧ فا بعدها .
يقال إنه احتفروه ؛ ربما بعد أن طم .
- (٤٠) الخطط ، ٤ ص ٧٢ ص ١ ؛ ٣ ص ٢٢٣ .
- (٤١) عنه بالتفصيل : انظر . صبيح ، ٣ ص ٤٩٨ فا بعدها ؛ نظم ، ٢ ص ١١٠ فا بعدها .
- (٤٢) الخطط ، ٤ ص ٧٢ — ٧٣ . يذكر المقريزي وظيفة صاحب السمر .
- (٤٣) الخطط ، ٤ ص ٧٢ ؛ يحيى ، ص ٢٠٥ . يقول العماد إنه نهي عن تقبيل الأوسله . انظر . شذارات ، ٢ ص ١٩٣ .
- (٤٤) الخطط ، ٤ ص ٧٢ — ٧٣ ؛ صفرنامه ، ص ٤٨ ؛ نظم ، ٢ ص ٣٠ .
- (٤٥) الخطط ، ٤ ص ٧٢ ؛ انظر . نظم ، ١ ص ٧٦ .
- (٤٦) انظر ما سبق في مكاتباته ؛ ويبدو .
- (م — ١٣ الحاكم بأمر الله)

- (٤٧) رسائل الورد ، رقم ٦٧٥١ (المكتبة الأهلية بباريس) ورقة ٦ .
- (٤٨) الخطط ، ٤ ص ٧٢ . وعلى خلاف ذلك ، أورد السيوطي وغيره من المؤرخين السنة المتعصمين ، أنه أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم خضوعاً واعظاماً للذكره ، واحتراماً لاسمه . انظر . حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٣ .
- (٤٩) الخطط ، ٤ ص ٦٨ (آخر الصفحة) . وذلك في سنة ٣٨٩ هـ ، وهي سنة قتل بروجوان ، على حسب قول المقرئ .
- (٥٠) سير الآباء ، ٣ ورقات ٥٣ — ٥٤ .
- (٥١) نفسه ، ورقة ٥٣ .
- (٥٢) شذرات ، ٣ ص ١٩٤ .
- (٥٣) سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٣ .
- (٥٤) نفسه ، ٣ ورقة ٥٥ و الخطط ، ٣ ص ٣٢ .
- (٥٥) النجوم ، ٤ ص ١٧٧ س ٣ — ٤ ؛ انظر . عنان ، الحاكم ، ص ٦٠ .
- (٥٦) عيون ، ٧/٦ ورقات ٢٣٢ — ٢٢٣ .
- (٥٧) يحيى ، ص ٢٠٥ س ١٤ — ١٥ .
- (٥٨) نفسه ، ص ١٨٥ س ١٥ .
- (٥٩) الخطط ، ٣ ص ٣٢ — ٣٣ ؛ ٤ ص ٧٠ .
- (٦٠) عن هذا بالتفصيل ، انظر مثلاً : النجوم ، ٤ ص ١٨١ — ١٨٢ ؛ يحيى ، ص ٢٢٤ ؛ ابن العميد ، ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ؛ فإيها ؛ عنان ، الحاكم ، ص ١٩٩ .
- (٦١) يحيى ، ص ٢٢٤ .
- (٦٢) أورد يحيى هذا التاريخ .
- (٦٣) نفسه ، ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .
- (٦٤) الخطط ، ٤ ص ٧٣ س ١ — ٢ .
- (٦٥) نفسه ، ٤ ص ٨٨ .
- (٦٦) يحيى ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ . وذلك في سنة ٤٠٨/١٧٠١٧ .
- (٦٧) ابن ابياس ، ٥ ص ٥٢ (الأسطر الأخيرة) .
- (٦٨) الخطط ، ٤ ص ٣٠٤ فإيها ؛ ٤ ص ٧٤ س ٢ ؛ ابن الصيرفي ، الإشارة إلى من قال الوزارة ، تحقيق عبد الله محاسن ، ١٩٢٥ ، ص ٢٩ ؛ ٣٠ ؛ انظر . نغم ، ١ ص ٧٨ — ٧٩ وهامش .

- (٦٩) ابن حجاد ، ص ٥٥ . يقول De Sacy : ظهرت الوساطة في عهد شيركوه ، لما حكم في مصر أيام المعتمد ، وأعطيت لابن الجليس ، وذلك بالاعتماد على المقرئ
انظر . Druzes II, (Introd) p. CCLXXXIII.
(٧٠) يحيى ، ص ٢٠٩ من ١٧ — ٢٠ ؛ ٢٢٠ من ٣ .
(٧١) ابن إياس ، ١ ص ٥٦ من ١٣ — ١٤ .
(٧٢) الكامل ٤ ص ٧٤ من ١٨٠ من ٥ . عنهم ؛ انظر . Zambaur :
Manuel de généalogie et de Chronologie pour l'histoire de
l'Islam, p. 94—96.
(٧٣) ابن غالبون ، كتاب التذكار ، فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار
نصره وعاق عليه طاهر أحمد الزاري ، عام ١٤٣٩ هـ .
(٧٤) الخطط ٣ ، ٤٨ — ٤٩ ؛ ٤ من ٦٨ ٦٩ ؛ يحيى ، ص ١٨٥ ، ذيل ، ص ٥٦ ؛
٥٩ ؛ ٦٠ ؛ أبو صالح (١٤٠) ص ٥١ ؛ انظر حسن إبراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ١٦٥ .
(٧٥) سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٤ .
(٧٦) ذيل ، ص ٦٠ .
(٧٧) أبو صالح ١٤٠ (ص ٥٩) ؛ الخطط ٣ ، ٤٨ — ٤٩ ، ٤ من ٦٩ ؛ ذيل ،
ص ٦٠ .
(٧٨) الخطط ٣ ، ٢٢ — ٢٤ ؛ ٤ من ٦٨ ؛ ٧٠ — ٧١ ؛ يحيى ، ص ١٩٨
فما بعدها ؛ عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٤٧ فإي بعدها ؛ ابن منجب ، الإشارة ، ص ٢٧ — ٢٨ .
(٧٩) الكامل ، ٧ ص ٢٣٥ من ١٨ .
(٨٠) يحيى ، ص ١٩٤ من ١٤ — ٢٥ ؛ ١٩٦ من ٧ — ١٠ . روذبار هي أماكن
تقع في جهات مختلفة على الأنهار الكبيرة ، وتطابق على قرى من بغداد . انظر . معجم البلدان ،
٤ ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .
(٨١) يحيى ، ص ١٩٦ — ١٩٨ ؛ الخطط ٣ ، ٢٣ ؛ ذيل ، ص ٦١ .
(٨٢) يسميه إدريس أبو الفرج القسوري . انظر . عيون ٧/٦ ، ورقة ٢٥١ . وهو
منسوب على ما يبدو — بحسب ملاحظة حسن إبراهيم — إلى بني قشير ، قبيلة كانت تقيم في
البصرة (انظر . دولة الفاطميين ، ص ٢٠٧) ، ولكننا نرى أن النسبة الصحيحة إذا كانت إلى
قشير تكون قشيري .
(٨٣) انظر نص الكتاب بالمحقق ؛ نقلا عن عيون الأخبار ، ٧/٦ ، ورقات ٢٤٨
فما بعدها .

(٨٤) عيون ، ٧ / ٦ ورقات ٧٤٥ — ٧٤٧ ؛ انظر . Druzes : De Sacy .
p. CCCLI ، لا يبدو أنه لم يكن مغربيا ، وإنما أحد أجداده كان يتولى ديوان المغرب ببغداد ؛
فنسب به إلى المغرب . انظر . وفيات ، ١ ص ٢٧٦ ، فأبعدها ؛ الخطاط ، ٧ ص ٢٥٤ ، فأبعدها .
(٨٥) يحيى ، ص ١٩٨ ؛ ٣٠٢ ؛ الخطاط ، ٤ ص ٧١ — ٧٢ .

(٨٦) نفسه ، ص ٣٠٢ ؛ نفسه ، ٤ ص ٧٢ — ٧٣ ؛ ابن منجب ، الإشارة ، ٢٩ .

(٨٧) يحيى ، ص ٢٠٩ ؛ الخطاط ، ٤ ص ٧٤ .

(٨٨) نفسه ؛ نفسه ؛ ابن منجب ، ص ٣٠ .

(٨٩) يحيى ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ ؛ ابن منجب ، ص ٣٠ — ٣١ . يقول القريني
إن الحاكم استوزر الخياط رئيس الرؤساء أبو الحسن عمار بن محمد ، في آخر عهده . الخطاط ، ٢
ص ١٦٧ .

(٩٠) يحيى ، ص ١٩٤ ص ١٥ — ٢١ ؛ الخطاط ، ٤ ص ٧٦ .

(٩١) الروذراوري ، ص ١٨٦ — ١٨٧ .

(٩٢) ابن ميسر ، ص ٧ ؛ انظر . Mann : The Jews in Egypt, I, p. 16 .

نظم ، ١ ص ٩٨ . وصف الشاعر وصول اليهود إلى أهل المناسيب ، فقال :

يهود هذا الزمان قد بانوا غاية آلامهم وقد منكوا

الز فيهم ، والمال عندهم ، ومنهم المستكسار والملك

يا أهل مصر التي تصعبت لكم يهودوا ، قد تهود الفلك

يبدو أن هذا الشعر قيل في عهد المستنصر حفيد الحاكم . حسن المحاضرة ، ٧ ص ٢١٦ .

(٩٣) بلغ من حال هؤلاء السائطين أن كتب أعينهم شكايته كتب فيها للوزير ، والذي

أهز جميع النصارى بنسطورس ، وأهز جميع اليهود بمنها ، وأذل جميع المسلمين بك إلا ما رحمتهم

وأرحمت عنهم هذه المقالم . ابن أبي عمير ، ١ ص ٤٨ — ٤٩ ؛ الكامل ، ٧ ص ١٧٦ .

(٩٤) الروذراوري ، ص ١٨٦ — ١٨٧ .

(٩٥) يحيى ، ص ٢٠٣ ص ٩ — ٣ .

(٩٦) من هذا ؛ انظر . الأحكام السلطانية ، ص ١٤ ، فأبعدها ؛ نظم ، ١

ص ١٦٥ — ١٥٦ .

(٩٧) انماط ، ص ١٦٥ .

(٩٨) الخطاط ، ٢ ص ٢٤٨ — ٢٥٠ ؛ نظم ، ١ ص ١٥٨ .

(٩٩) الخطاط ، ٤ ص ٦٣ ص ٢٦ — ٢٧ .

(١٠٠) ابن أبي عمير ، ١ ص ٥٦ ص ٢٤ — ٢٥ .

(١٠١) وفيات ، ٣ ص ٧ .

- (١٠٢) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٦٦ .
(١٠٣) يحيى ، ١٤ ص ٢١٤ س ١٦ — ١٧ .
(١٠٤) ابن أبياس ، ١٤ ص ٥٢ س ١٧ .
(١٠٥) نفسه ، ٧١٧ — ٧١٨ .
(١٠٦) ولادة ، ٥٨٥ ، ٥٨٧ ، ٥٩١ س ١٩ ؛ انظر : بعده ؛ نظم ، ٩ ص ١٥٥
فما بعدها .
(١٠٧) اتعاظ الخنفا ، ورقات ١٦٦ — ١٦٩ ؛ انظر : الشيال ، مجموعة الوثائق ،
١ ص ٥٩ ومماش .
(١٠٨) ابن أبياس ، ١٤ ص ٥٦ ؛ سير الأباء ، ٣ ورقة ٥٤ .
(١٠٩) الخطاط ، ٤ ص ٧٢ س ٧٠ — ٧١ .
(١١٠) اتعاظ ، ورقات ٩٦ — ٩٩ .
(١١١) الخطاط ، ٤ ص ٨٨ ؛ وفيات ، ٣ ص ٧٠ ؛ اشارة ، ٣٥ — ٣٧ ص هو
من جرجاريا قرية في العراق .
(١١٢) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٦٦ .
(١١٣) انظر Répertoire 6, p. 48 .
(١١٤) النجوم ، ٤ ص ٩٢٥ .
(١١٥) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٦٦ .
(١١٦) يحيى ، ٢٠٦ ص .
(١١٧) الخطاط ، ٣ ص ٢٣ س ٢٢ — ٢٤ ؛ ٤ ص ٧١ س ١٩ — ٢٠ ؛ ابن منجب ،
ص ٣٧ .
(١١٨) ابن حاد ، ٥ ص ٥٥ .
(١١٩) يحيى ، ٢٠٦ ص .
(١٢٠) الخطاط ، ٤ ص ٦٩ .
(١٢١) انظر : ابن أبياس ، ١٤ ص ٥٤ ؛ انظر : حسن ابراهيم ، دولة الفاطميين ،
ص ٣٥٠ — ٣٥٣ .
(١٢٢) عنها بالتفصيل ، انظر : الخطاط ، ٣ ص ٩٩٦ فإ بعدها ؛ نظم ، ١ ص ١١٧ —
١١٨ . لسبب إلى مكان اسمه اقس ، وهو الأزيكية الحالية ، كان يجلس عنده جاني خلفه
الضريبة ، فعرف الاسم ، وعرفت الضريبة بالمكس .
(١٢٣) صبح ، ٣ ص ٤٤٦ .
(١٢٤) لغات الأمة ، ١٤ ص ١٤ فإ بعدها ؛ يحيى ، ١٩٤ — ١٩٥ .

- (١٢٥) صبيح ، ٣ من ٥١٦ ؟ انظر . نظم ، ٢ من ١٠٥ .
(١٢٦) الخطط ، ٢ من ١٦٨ من ١٤ — ١٥ ٤ من ٦٩ .
(١٢٧) ابن العبري ، ٣ من ٣١٦ فما بعدها .
(١٢٨) ولاية ، ٥ من ٥٨٩ — ٥٩١ ، ٥٩٢ — ٥٩٥ . عن ذلك بالتفصيل ؟ انظر .
نظم ، ١ من ١٤٠ فما بعدها .
(١٢٩) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٢٢ .
(١٣٠) يحيى ، ٢ من ٢٠٦ من ٢ .
(١٣١) ولاية ، ٥ من ٥٩٤ — ٥٩٥ .
(١٣٢) نفسه ، ٥ من ٥٩٦ — ٥٩٩ في الخطط ، ٤ من ٦٩ .
(١٣٣) صبيح ، ١٠ من ٣٨٥ — ٣٨٨ .
(١٣٤) يحيى ، ٥ من ٧٠٥ (آخر الصفحة) .
(١٣٥) ولاية ، ٥ من ٥٩٩ — ٦٠٣ .
(١٣٦) نفسه ، ٥ من ٦٠٣ — ٦٠٨ في الخطط ، ٤ من ٧٣ .
(١٣٧) ولاية ، ٥ من ٦٠٨ فما بعدها في رقم الأصغر ، ورقة ٤٣ ب وما يليها في انظر .
حسن إبراهيم ، دولة الفاطميين ، ٥ من ٣١٠ — ٣١١ .
(١٣٨) ابن اياس ، ١ من ٥٥ — ٥٦ .
(١٣٩) الخطط ، ٤ من ٧٣ من ٣ — ٤ .

الفصل الرابع

- (١) عيون ، ٢/٦ ورقة ٢٢٤ من ٦ — ٧ .
(٢) انظر ما أورده الخشاب نقلا عن ناصر خسرو في كتابه : **Nâçiri Khusrau, Le Caire 1946, p. 145** ، نظم ، ١ من ٢٠٧ في انظر ، بعده .
(٣) ابن سعد ، طبقات ، ٥ من ٢٨٣ من ١٥ في انظر . ما بعد ، الدولة العربية ، ٢ من ٢٦٥ .
(٤) حسن المحاضرة ، ١ من ١١٨ فما بعدها .
(٥) نفسه ، ١ من ٩٨٩ فما بعدها في الخطط ، ٤ من ١٤٥ من ١٦ فما بعده . عنه في انظر .
وفيات ، ٢ من ٢٠٠ فما بعدها .
(٦) نفسه ، ١ من ١٧١ فما بعدها في نفسه ، ٤ من ١٤٥ — ١٤٦ . عنه في انظر .
وفيات ، ٢ من ٢١٤ فما بعدها .
(٧) عن ذلك بالتفصيل ، انظر . الخطط ، ٤ من ١٤٦ فما بعدها .

(٨) عنه على الخصوص ، انظر .

Ency de l'Isl (art ' Abd Allâh B. S. ba) t I, p. 30.

(٩) فضائل مصر ، مخطوط بالمسكيتية الأهلية بباريس ، برقم ٤٧٢٧ ، ورقة ١٩٣ .

(١٠) هي السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسين بن علي ، توفيت بمصر في ٢٠٨ /

٨٢٤ هـ وكان زوجها يريد دفنها بالمدينة ، فسأله أهل مصر أن يدفنها عندهم لأجل البركة . عنواء

انظر . وفيات ، ٣ ص ٨٦ ، الخطط ، ٤ ص ٣١٣ فا بعدها ؛

Ency. de l'Isl (art al - Saiyida. Nafîsa) t3. P. 883.

(١١) هي السيدة زينب ابنة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي . عنها ، انظر .

ابن جبير ، ص ١٦ ؛ على مبارك ، الخطط ، ٥ ص ١٠ .

(١٢) هي السيدة كاثوم (كأم) بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق . عنها ، انظر .

الخطط ، ٤ ص ٣١٦ . ابن جبير ، ص ١٦ .

(١٣) يحتوي قبره على رأس زيد بن علي بن الحسين ، وقد دفن بمصر أيام هشام

ابن عبد الملك . الخطط ، ٤ ص ٣٠٦ فا بعدها ؛

Ency de l'Isl (art Zaïd b. 'Alî) t4 p. 1260.

(١٤) الخطط ، ٤ ص ١٥٥ ص ٨ — ٩ .

(١٥) انظر . قبله .

(١٦) البيان ، ١ ص ١٨٢ .

(١٧) انظر . قبله .

(١٨) اتماظ ، ٤ ص ١٤٨ فا بعدها ، وبخاصة ص ١٥١ .

(١٩) الخطط ، ٤ ص ١٤٦ ص ١٠ .

(٢٠) نفسه ، ٤ ص ١٥٦ ص ١٦ — ٢١ .

(٢١) ولاة ، ص ٥٩٤ . وذلك في سنة ٣٨٢ / ٩٩٢ .

(٢٢) عن هذه الخصائص الشيعة ، انظر . الخطط ، ٤ ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٢٣) دعائم ، تحقيق آصف فيضى ، ١ ص ١٧٢ .

(٢٤) الخطط ، ٤ ص ١٤٥ — ١٤٦ . كان المصريون يجهرون بها قبلا في أيام

إسلامهم أيام تميمهم ، وقطعت في عهد العباسيين منذ ٢٥٣ / ٨٦٧ .

(٢٥) اتماظ ، ٤ ص ١٦٨ ص ٥ — ٦ .

(٢٦) الخطط ، ٤ ص ٢٨٨ ؛ انظر . كاشف الظماء ، ص ١٥٤ . يعرض وجهه نظر

الشيعة بمسألة عامة .

(٢٧) الخطط ، ٤ ص ٢٢٢ فا بعدها ؛ انظر . نظم ، ٢ ص ١٢٦ — ١٢٨ اختلاف

في تاريخ وصاية النبي لمولى ، فقبل عام ٧ هـ (٦٢٨ م) ، في أثناء عودة النبي من المدينة ؛

وقيل في سنة ١٠ هـ (٦٣٢ م) ، في آخر حجة للنبي ، وذلك في ظهير خم وهو مكان بين مكة والمدينة .

(٢٨) نفسه ، ٧ ص ٢٨٩ فما بعدها ؛ انظر . نفسه ، ٢ ص ١٢٨ — ١٢٩ . عن مقتل الحسين بالتفصيل ، انظر : الدولة العربية ، ٢ ص ٦٧ فما بعدها .

(٢٩) النجوم ، ٤ ص ١٤٦ من ١ — ٣ .

(٣٠) نفسه ، ٤ ص ٧٧ . لا استقرار للمقبرتين ، جمع الناس ، قس على سيفه ، وقال : « هذا

نبي » ، واثرت عليهم ذهابا كبيرا ، وقال : « هذا حسبي » .

(٣٠) نفسه ، ٤ ص ١١٦ . فثلا قيل له :

إذا سمعنا نسيبا منكرا يتلى على المنبر في الجامع .

إن كنت فيما تدعى صادقا فاذكر أبا بعد الأب الراهر

(٣٢) انظر مثلا صبح الأعشى ، ١٠ ص ٤٢٤ — ٤٣٩ .

(٣٣) عنه ، انظر . الخطط ، ٤ ص ٤٩ فما بعدها ؛

Ency. de l'Isl (art Azhar) II, p. 541 sqq.

(٣٤) الخطط ، ٤ ص ١٥٦ — ١٥٧ ، ٢ ص ٢٢٦ ؛ ابن منجب ، إشارة ،

ص ٢٢ .

(٣٥) الخطط ، ٤ ص ٦٩ من ٣١ .

(٣٦) الباب السابع عشر من كتابه زهر النائي (المنتخب) ، ص ٥٤ .

(٣٧) عن ذلك بتفصيل ، انظر . الخطط ، ٢ ص ٢٢٦ من ٣ فما بعدها ؛ نظم ، ٩

ص ١٨١ فما بعدها .

(٣٨) انظر . المجالس المستنصرية ، ص ٣٥ ؛ Guyard : Frag. p. 30 (نص

عربي) ؛ نظم ، ١ ص ١٨٤ هامش (٤) ؛ عارف تامر ، أربع رسائل اسماعيلية ،

ص ١٢٢ فما بعدها .

(٣٩) الخطط ، ١ ص ٣٤٤ من ٢ .

(٤٠) انظر Ivanow : Rise, p. 20—22; n (1) . يعتمد على رسالة أحمد السعدي ،

واسمه على الحصن أحمد بن الوليد (أواخر القرن السادس / ١٧ م) ؛ انظر . أيضا من نفس

Ivanov : مقالة :

The organization of the fatimid Propaganda, J. B. B. R. A. S.

15. 1939, p. 10.

(٤١) الخطط ، ٣ ص ٢٧٧ من ١ — ٢ .

(٤٢) نفسه ، ٧ ص ٢٦٧ من ٢٤ — ٢٧ .

- (٤٣) عن ذلك في انظر « Rise, p. 21 .
- (٤٤) الخطاط ، ٤ ص ٧٠ من ٢٢ في ١٥٨ ص ١٦ .
- (٤٥) نفسه ، ٢ ص ٢٢٦ .
- (٤٦) نفسه ، ٢ ص ٣٣٤ — ٣٣٧ في يحيى ، ص ١٨٨ من ٤ — ٧ .
- (٤٧) عنها بالتفصيل في انظر . نفسه ، ٢ ص ٢٥٣ — ٢٥٥ .
- (٤٨) نفسه ، ٤ ص ٥٥ فما بعدها . لا يذكر القلقشندي أن جامع الأتور هو جامع الحاكم (صبيح ، ٣ ص ٤٠٩) ؛ ونحن نثق في رواية المقرئ ، ذلك لأن كتاب الخطاط عبارة عن وصف دقيق لطبوغرافية خاصمة الفاطميين . انظر . نظم ، ٢ ص ٩٦ هامش (١) .
- (٤٩) الخطاط ، ٤ ص ٦٣ — ٦٥ ؛ وفيات ، ٣ ص ٦ — ٧ . عن هذا الفلكي ، انظر . وفيات ، ٢ ص ٨٥ ؛ انظر بمده .
- (٥٠) عنها في أنظار . النجوم ، ٤ ص ١٩٢ — ١٩٣ .
- (٥١) الخطاط ، ٤ ص ٦٥ — ٦٦ . عن أم دين ، انظر . مفهوم البلدان ، ١ ص ٣٣٣ .
- (٥٢) نفسه ، ٤ ص ٢٦٤ ص ٧ .
- (٥٣) النجوم ، ٤ ص ٢٦٧ — ٢٦٣ ؛ انظر . ملاحظة De Sacy :
Druzes, p. CCCLXVI et nl .
- (٥٤) الخطاط ، ٤ ص ٤٩ — ٥٢ .
- (٥٥) نفسه ، ٢ ص ٢٣٨ من ٢٥ — ٢٦ .
- (٥٦) انظر . صبيح الأعشى ، ١٠ ص ٢٨٥ — ٢٨٨ .
- (٥٧) الخطاط ، ٢ ص ٢٢٦ — ٢٢٧ ؛ نظم ، ١ ص ٣٨٨ .
- (٥٨) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ، ١٩٢٩ ، ص ٥٢ ؛ تاج المقائد ، ص ٤٧ ؛
Frag. p. 32—33—36.: Guyard
- (٥٩) سيرة المؤيد في الدين ، تحقيق محمد كامل حسين في القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٩٧ .
- (٦٠) المجالس المؤيدية ، مخطوطة برقم ٨٤ (٢ ورقة ٢٩) ملحق بالمجالس المستنصرية ، ص ١٤٩ .
- (٦١) الزمان ، المجالس والمسائرات ، ١ ورقة ١٧٨ ؛ نظم ، ١ ص ٨٠ .
- (٦٢) ففي رأي الحمادي — وهو حق — أن الفاطميين تأولوا السجّل وكان من أركان العمريّة تأويلا ، يورث تأويلا في بقصد عبادة الإمام في فهم يمتون بالصلاة دون القيام بها — موالاته الإمام ، وانما يرجع زيارته وادمان خدمته ، والصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام ، دون الإمساك عن الطعام . . . من ذلك ، انظر . الفرق ، ص ٢٨٠ . من مثل هذه الأقوال ؛ انظر أيضا ما أورده الحماد الحماني في كتابه كشف أسرار الباطنية في انظر .
- (٦٣) انظر . السكّاب الشيعة نفسها في انظر . Rise, p. 124 .

- (٦٤) الخطط ، ٢ من ٢٢٦ من ١٠ — ١٢ .
(٦٥) الملل ، من ١٤٧ .
(٦٦) عن هؤلاء ، انظر . Ency. de l'Isl. t2. cf.
(٦٧) تحقيق كامل حصين وغيره ، انظر .
(٦٨) الهمداني ، بحث تاريخي في رسائل اخوان الصفا وعقائد الاسماعيلية فيها ،
بومباي ١٩٣٥ . انظر الرسائل نفسها ، طبعة زنجبار ١٣٠٦ هـ .
(٦٩) الفرق بين الفرق ، من ٢٦٧ ؟ انظر . Ivonow :
Studies in Early Persian Ismaelism, p. 115—120.
بعض كتب هؤلاء الفلاسفة ، لاتزال توجد خطية في المكتبات الخاصة . انظر . الهمداني
الصايغيون ، من ٢٥٩ فما بعدها .
(٧٠) الرسالة الواعظة ، ص ٤ ؟ 46 Guide .
(٧١) الخطط ، ٢ من ١٥٨ من ١٤ ؟ ٢٧٧ — ٢٢٣ ، انظر . Casanova ؟
نظم ، ١ من ١٨١ . Doctrine Secrète des Fatimides . cf.
(٧٢) الخطط ، ٧ من ٢٣٤ — ٢٣٥ ؟ الفرق بين الفرق ، من ٢٨٨ — ٢٩٠ .
(٧٣) الخطط ، ٤ من ٧٠ من ٢ — ٣ ، ١٥٨ من ١٧ .
(٧٤) عيون ، ٧/٦ ورفقات ، ٢٩٥ — ٤٦٦ .
(٧٥) يحيى ، من ١٩٥ من ٩ — ١٢ .
(٧٦) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٦٤ ؟ انظر بعده .
(٧٧) كان المصريون يفتابون ذلك من قبل الى سنة ٢٥٣ / ٨٦٧ . الخطط ، ٤
من ١٤٦ من ٥ ؟ انظر . De Sacy . Druzes, p. CCCXL III - IV; n (4) :
(٧٨) الخطط ، ٤ من ١٥٨ من ٥ — ٦ ؟ انظر . حسن إبراهيم ، دولة الفاطميين ،
من ٢٢٠ — ٢٢١ .
(٧٩) الخطط ، ٢ من ٢٩٠ ، ولادة ، من ٦٠٠ .
(٨٠) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٦٤ . في آخر الصفحة ؟ انظر . بعده .
(٨١) الخطط ، ٢ من ٣٣٤ من ٧٥ — ٢٧ .
(٨٢) ولادة ، من ٦١٠ ؟ انظر . قبله .
(٨٣) حسن المجاهرة ، ١ من ١٦٩ — ١٧٠ .
(٨٤) صبح ، ٣ من ٥٢٤ .
(٨٥) الخطط ، ٤ من ١٥٦ من ٢٥ — ٢٦ . وذلك في سنة ٣٦٢ / ٩٧٣ .
(٨٦) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٦٤ من ١٣ فما بعدها .
(٨٧) الخطط ، ٤ من ٦٩ — ٧٠ ؟ ١٥٨ ، ١٦٠ (على الخصوص) .

- (٨٨) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٦٥ . لدينا صيغة أخرى للسجل (ابن خلدون المبر ، ٤ ص ٦٠ — ٦١ ؛ انظر . عنان ، الحاكم ، ص ٧٧) . ولسكننا فضاءنا الصيغة المذكورة لوضوحها ، وإن كنا قد أخذنا تاريخ صدور السجل من ابن خلدون ، الذي يقول إنه صدر في مناسبة تعرض بعض الشيعة للسنة ، وهم يصلون التراويح .
- (٨٩) النجوم ، ٤ ص ١٧٨ س ١٥ — ١٧ .
- (٩٠) نفسه ؛ شذرات ، ٤ ص ١٩٣ .
- (٩١) النقط ، ٤ ص ١٥٧ .
- (٩٢) نفسه . وذلك في سنة ٩٩١/٣٨١ .
- (٩٣) نفسه ، ٢ ص ١٦٩ ص ٥ .
- (٩٤) ابن خلدون ، مقدمة ، ص ١٧٨ ؛ انظر . نظم ، ١ ص ١٦١ فما بعدها .
تبين أهمية هذا المبدأ في حديث ابوي ورد فيه . « يا أيها الناس ، إن الله يقول لكم : مروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر ، قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتساءلوني فلا أخطبكم ، وتستنصروني فلا أنصركم » . انظر . ابن ماجه وابن حبان في صحيحه .
- (٩٥) انظر . Pyzce : Ismaili law, p. 40 ، تحقيق وترجمة ، وصية علي لعسن مأخوذة من دعائم الإسلام
- (٩٦) هذه كلمة تطلق على كل ما يكتب في ديوان الإنشاء . صبح ، ١٠ ص ٣٠٠ .
- (٩٧) يحيى ، ص ٣١٨ — ٣١٩ ؛ ابن اياس ، ١ ص ٥٢ ص ٧ .
- (٩٨) النجوم ، ٤ ص ١٨٤ س ١٦ .
- (٩٩) وذلك عن عتبه ورئيس شرطته زين ؛ انظر . النقط ، ٤ ص ٨٧ — ٨٨ ؛ انظر قبله . وذلك في سنة ١٠١٩/٤٠٢ .
- (١٠٠) انظر . ولاة ، ص ٥٩٦ .
- (١٠١) يبلغ بعض مؤرخي السنة عن حقوق الحسبة للحاكم : فمنهم من يقول إنه كان يضرب الأعتاق ، أو أنه كاله يخرج لومه رجل أسود عريض ، يحشى في وكابه اسمه مسود ، يأمره بفعل الفاحشه المظلمة في اللواط في الشخص المخالف (انظر . ابن اياس ، ١ ص ٥٢ — ٥٣ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٣) . ولكن هذه المبالغات ، لم تظهر إلا من قبل المؤرخين السفين ضده ؛ كما هو ملاحظ .
- (١٠٢) النقط ، ٤ ص ١٥٨ — ١٥٩ ؛ يحيى ، ص ١٨٧ ؛ ابن اياس ، ١ ص ٥٧ . يقول هذا الأخير إن الحاكم ضرب أعتاق من خالف أوامره ، وأكل اللوخيا .
- (١٠٣) النقط ، ٤ ص ١٥٨ س ٧ ؛ ١٥٩ ص ٣ .
- (١٠٤) نفسه ، ٣ ص ١٧٥ — ١٧٦ . فسي بعض المؤرخين بهذا الأمر ؛ بأن الحاكم منم من العمل بالنهار ، وساقوا قصة عن ذلك ، منها : أن الحاكم في مرة اجتاز بشيخ يعمل

التجارة في أثناء النهار ، فوقف عنده ، وقال : ألم تنهكم عن هذا ، فقال الشيعي : يا سيدي ، أما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعشرون بالنهار ، فهذا من جملة السهر ، فتيسم الحاكم وتركه ، ثم أعاد الناس إلى ما كانوا عليه ، بالعمل بالنهار . ابن أبيس ، ١ ص ٥٢ ؛ حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٤ . ولكن لم يرد لدينا من مراجع موثوق فيها — مثل المقرئزي مثلا — عن ذلك شيء .

(١٠٥) يحيى ، ص ١٨٦ س ١٠ — ١١ .

(١٠٦) الخطاط ، ٤ ص ١٥٩ — ١٦٠ . يقول ابن أبيس انكسر اثنا عشر ألف جرة .

بدائع ، ١ ص ٥٢ .

(١٠٧) أورد ذلك De Sacy : Druzes p. CCCLVI :

(١٠٨) الخطاط ، ٤ ص ٧٢ س ١٢ ؛ ٨٨ ص ٨ .

(١٠٩) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٢٥ .

(١١٠) الخطاط ، ٤ ص ١٥٨ س ٧ — ٨ . نسخة ملك الرواية المصطنعة ، التي تقول

بأنه لما هاجم المنصور أبو ركوته مصر ، استدعى الحاكم جماعة من الفنانين وأصحاب الملاهي إلى مجلسه وشرب على ضنائهم . (انظر . يحيى ، ص ١٩٢ س ٨ — ٩) . فقد كان الحاكم مشغولا بصد أبي ركوته ؛ فهذا أولي ولا ريب ، لا سيما وأنه يجمع في ذلك .

(١١١) يحيى ، ص ١٨٧ س ١٨ — ١٩ .

(١١٢) نفسه ، ص ١٨٦ .

(١١٣) العيني ، تاريخ ، ورقة ١٢٨ .

(١١٤) يحيى ، ص ٢٠٠ س ٥١ — ٥٢ .

(١١٥) الخطاط ، ٣ ص ١٧٦ س ٨ ؛ ١٥ ؛ ٤ ص ٦٩ .

(١١٦) نفسه ، ٤ ص ٧٢ س ٦ — ٧ ؛ ٢١ .

(١١٧) يحيى ، ص ٢٠٧ س ١ — ٣ .

(١١٨) نفسه ، ص ٢٠٧ س ٧ — ٣ ؛ ابن أبيس ، ١ ص ٥٢ .

(١١٩) الخطاط ، ٤ ص ١٧٦ . وذلك في سنة ٣٩٥ / ١٠٠٠ .

(١٢٠) يحيى ، ص ١٨٦ س ٤١ — ٤٣ .

(١٢١) النجوم ، ٤ ص ١٧٨ — ١٧٩ ؛ حسن ، ٢ ص ١٣ س ٢١ ؛ ابن حبان ،

ص ٥٥ . يقول هذا الأخير ، إن المنع استمر سبع سنين .

(١٢٢) ابن العبري ، ص ٣١٣ .

(١٢٣) يحيى ، ص ٢٠٨ س ١٠ — ١١ .

(١٢٤) سير الأبياء ، ٣ ورقة ٥٤ . يقول السيوطي إنه قتل خلقاً من النساء على مخالفته

أمره حسن ، ٤ ص ١٣ .

- (١٢٥) وفيات ، ٣ ص ٥ س ١٤ ؛ انظر . السكامل ، ٧ ص ٢٤٠ وهامش .
نقل عن ابن كثير في البداية والنهاية .
- (١٢٦) انظر . Betty . Hakem, p. 110 .
- (١٢٧) الخطاط ، ٤ ص ٣٩٨ — ٣٩٩ .
- (١٢٨) سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٨ .
- (١٢٩) يحيى ، ص ١٩٧ ؛ انظر . يمدد .
- (١٣٠) يحيى ، ص ١٩٣ .
- (١٣١) نفسه ، ص ١٨٦ س ٥ .
- (١٣٢) نفسه ، ص ١٦٤ — ١٦٥ ؛ سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٠ ؛ ابن الصيد ،
ص ٢٤٧ .
- (١٣٣) عن خيبر ؛ انظر . معجم البلدان ، ٣ ص ٤٩٤ — ٤٩٧ .
- (١٣٤) من مخطوئته بتمتددة ؛ انظر . يحيى ، ص ١٨٧ ؛ ١٩٥ ؛ ٢٠٠ ؛ ٢٠٢ —
٢٠٣ ؛ سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٤ — ٥٥ ؛ ابن حماد ، ص ٥٢ ، الخطاط ، ٤ ؛
ص ١٥٧ — ١٥٨ .
- (١٣٥) سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٦ .
- (١٣٦) عن هذا العيد بالتفصيل ؛ انظر . الخطاط ، ٢ ص ٢٦ — ٢٧ ؛ نظم ، ٢-
ص ١٣٤ — ١٣٥ .
- (١٣٧) ابن اياس ، ١ ص ٤٦ — ٤٧ . عن النوروز بالتفصيل ؛ انظر . الخطاط ، ٣ ص ٣٠ —
٣١ ؛ نظم ، ٧ ص ١٣٢ — ١٣٣ .
- (١٣٨) يحيى ، ص ١٩٦ — ١٩٧ .
- (١٣٩) انظر . De Sacy . Chrest. 2, p. 95 . مع أن اليهود في البلاد
المسيحية كانوا يميزون ببعض العلامات من لون خاص في لباسهم .
- (١٤٠) السكامل ، ٤ ص ٢٤٠ ؛ سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٦ .
- (١٤١) ذيل ، ص ٦٧ ؛ De Sacy ؛ Druzes, p. CCCXXXVI - II .
- (١٤٢) الخطاط ، ٤ ص ٣٩٩ س ١ .
- (١٤٣) سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٤ ؛ يحيى ، ص ٢٠٠ س ١٨ — ١٦ ؛ ٢٠٣-
ص ١٧ — ١٨ .
- (١٤٤) الخطاط ، ٤ ص ٣٩٩ س ٤ — ٥ .
- (١٤٥) أبو صالح ، كذاثس ص ١٣٤ (١٠٦ ب) .
- (١٤٦) الخطاط ، ٤ ص ٣٩٩ .
- (١٤٧) يحيى ، ص ٢٤٩ ؛ ٢٣٢ .

- (١٤٨) أبو صالح ، ص ٥٨ ، (١٤٦) .
(١٤٩) يحيى ، ص ٢٣١ .
(١٥٠) نفسه ، ص ١٩٧ .
(١٥١) الكامل ، ٧ ص ٢٤٠ ؛ يحيى ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ ، سير الآباء ورقة
٥٥ — ٧٦ ؛ عنان ، الحاكم ، ص ٦٩ ؛ Lane - Poole : Egypt, p. 128 .
(١٥٢) الخطط ، ٢ ص ١٦٩ ص ٩ .
(١٥٣) يحيى ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .
(١٥٤) نفسه ، ص ١٩٤ .
(١٥٥) النجوم ، ٤ ص ١٧٧ ص ١٠ — ١٢ .
(١٥٦) الخطط ، ٤ ص ٣٩٩ ص ٢٥ .
(١٥٧) يحيى ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ ؛ ٢٢٨ .
(١٥٨) انظر ذلك في :
Mém. Geog. : Quat : Druzes, CCCXLI et no 2 : De Sacy
et hist, t I, p. 462 .
(١٥٩) ذيل ، ص ٦٧ .
(١٦٠) يحيى ، ص ٢٠٧ ص ٤ فا بعدها .
(١٦١) نفسه ، ص ٢٣١ (آخر الصفحة) ؛ الخطط ، ٣ ص ١٢ .
(١٦٢) سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٣ . كذلك يقول جازك تاجر إن الحاكم ليس يعنون ،
هواكفته ، شرس . انظر . أقباط ومسجون ، ص ١٣٠ .
(١٦٣) كان لـ طبيب نصراني اسمه ابن المقدر المصري يهزه جدا . ابن البري ،
ص ٣١٦ .
(١٦٤) ابن اياس ، ١ ص ٥١ ص ٤ — ٦ ، عن هذه الحادثة ، انظر . الخطط ، ٣
ص ٥ — ٦ .
(١٦٥) صبح الأعشى ، ٣ ص ٣٥٧ .
(١٦٦) يحيى ، ص ١٩٧ .
(١٦٧) سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٥ ؛ الخطط ، ٤ ص ٣٥٨ (بتمه على مصنفات نصرانية) .
(١٦٨) يحيى ، ص ٢٧٧ ص ٥ — ٦ .
(١٦٩) يحيى ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .
(١٧٠) حسن ، ٢ ص ١٣ ص ١٣ .

(١٧١) الخطط ، ٢ ص ١٦٩ من ٨ — ١٠ ؛ انظر . Döglar :

Regesten der Kaiserurkunden des Oströmischen Reiches, I.

Berlin—Munich, 1924, 824. : أحد رستم ، ١ ص ٦٤ .

(١٧٢) العيني ، تاريخ ، ورقات ١٨٥ — ١٨٦ .

(١٧٣) يحيى ، ص ٢٣٢ من ٥ — ٦ .

(١٧٤) ابن اياس ، ١ ص ٥١ .

(١٧٥) يحيى ، ص ٢٣٢ من ٥ — ٦ .

(١٧٦) نفسه ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

(١٧٧) سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٠ .

(١٧٨) الخطط ، ٤ ص ٤٠٠ .

(١٧٩) أبو صالح ، ص ١٣٤ (١٠٦ ب) .

(١٨٠) سير الآباء ، ٣ ورقة ٥٩ .

(١٨١) يحيى ، ص ٢٣٢ من ٧ — ٨ .

(١٨٢) شذرات ، ٣ ص ٤٥٠ .

(١٨٣) يحيى ، ص ٢٢٨ من ٧ — ٩ .

(١٨٤) الخطط . ٢ ص ١٦٩ من ١٠ — ١١ .

(١٨٥) حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٣ من ١٤ — ١٥ .

(١٨٦) رسائل الدروز رقم ٦٧٥٢ (م . م . ب) ورقة ١٩ . أنظر مثلاً صيغة

الخوارج في مصنف مجهول (له من كتابه أنساب الأشراف) ص ٧٨ ؛ التاريخ السياسي ،

٢ ص ١٤٠ .

(١٨٧) أنظر ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، الطبعة الأولى ، القاهرة

١٩٣١ ، ٤ ص ١٧٩ فما بعدها (شنع الشيعة) .

(١٨٨) المجالس والمسائرت ، ١ ورقة ١١٣ .

(١٨٩) الملل والنحل ، ص ١٠٩ ؛ انظر . كاشف الغطاء ، الشيعة ط ١٠ ، ص ٩٢٨ .

(١٩٠) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٧٢ — ٢٢٣ .

(١٩١) نفسه ، ٧/٦ ورقة ٢٥٢ من ١٣ — ١٥ .

(١٩٢) شذرات ، ٢ ص ١٩٤ — ١٩٥ ؛ النجوم ، ٤ ص ١٨٣ ؛ الكرمانى ،

الرسالة الواعظة ، تحقيق كامل حسين ، فصله من مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٤ ، الجزء

الأول ، مايو ١٩٥٧ ؛ النويرى ، ٢٦ ورقة ٥٩ ؛ انظر . De Sacy :

Druzes. CCCLXXXVI.

- (١٩٢) يحيى ، ص ٢٢٠ — ٢٢٤ ؛ النجوم ، ٤ ص ١٨٤ ؛ المبنى ، تاريخ ، ورقات .
١٧٥ ؛ ١٨٤ ؛ انظر . Druzes, CCCLXXIII sqq ؛ انظر بهده .
(١٩٤) يحيى ، ص ٢٢٤ من ١٢ .
(١٩٥) يحيى ، ص ٢٢٣ من ٧ .
(١٩٦) عن هذه الرواية الأخيرة ، انظر . Druzes, CCCLXXXV . يعتمد .
على كتب الدور .
(١٩٧) يحيى ، ص ٢٢١ من ٥ .
(١٩٨) النجوم ، ٤ ص ١٨٣ .
(١٩٩) يحيى ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .
(٢٠٠) حسن ، ٢ ص ١٣ .
(١٠١) بذورات ، ٣ ص ١٩٤ — ١٩٥ .
(٢٠٢) المبنى ، ورقة ١٨٤ .
(٢٠٣) النجوم ، ٤ ص ١٨٤ .
(٢٠٤) يحيى ، ص ٢٣٣ من ٨ .
(٢٠٥) ابن ابيس ، ١ ص ٥٣ — ٥٤ ؛ انظر . قبله .
(٢٠٦) النجوم ، ٤ ص ١٧٩ — ١٨٠ .
(٢٠٧) الرسالة الواعظة ، مقدمة ، ص ١٠ .
(٢٠٨) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٢٦ من ٢ — ٣ .
(٢٠٩) نفسه ، ورقة ٢٥٢ من ١٥ .
(٢١٠) انظر مثلا النجوم ، ٤ ص ١٧٦ من ١٩ .
(٢١١) يحيى ، ص ٢٠٩ من ٢١ .
(٢١٢) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٦١ فما بعدها .
(٢١٣) ابن ابيس ، ١ ص ٥٦ من ١١ — ١٢ .
(٢١٤) يحيى ، ص ٢٠٦ من ١٨ — ٢٠ .
(٢١٥) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٦٦ — ٢٦٨ ؛ وفيات ، ٣ ص ٥ — ٩ .
(٢١٦) يحيى ، ص ٢٢٣ من ١٦ — ١٧ .
(٢١٧) وسائل الدعاء ، مخطوط برقم ٦٧٥١ (م . ٥٠ ب) ورقة ٦ .
(٢١٨) المخطوط ، ٢ ص ٢٢٣ من ٥٤ ص ٧١ من ٢٢ ، ٢٢٧ من ٢ — ٣ .
(٢١٩) مثلا يحيى ، ص ٢٢١ .
(٢٢٠) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٥٤ .

- (٢٢١) شذرات ، ٤ ص ١٥٨ .
(٢٢٢) رقم ٦٧٥١ (م . م . ب) ورقة ٤ و انظر . **Druzes. CCCXXXIX**
(٢٢٣) المر ، ٤ ص ٦٠ ص ٥٤ .
(٢٢٤) النجوم ، ٤ ص ١٧٦ ص ١٧٧ — ١٨ .
(٢٢٥) يحيى ، ص ٢١٨ .
(٢٢٦) النجوم ، ٤ ص ٧٥ — ٧١ ؛ ابن حاد ، ص ٤٦ .
(٢٢٧) يحيى ، ص ٢١٨ .
(٢٢٨) يحيى ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ ؛ ذيل ، ص ٥٧ ؛ ٦٥ .
(٢٢٩) يحيى ، ص ٢٢٣ ص ١٦ — ١٧ .
(٢٣٠) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٥٩ — ٢٦٠ ؛ النجوم ، ٤ ص ٢٢٧ ص ٥ — ٩ .
(٢٣١) السكرمان ، الرسالة البرية ورقة ١٣ (مكتبة كامل حسين الخاصة) ؛ و مقدمة
واحدة المقل ، تحقيق محمد كامل حسين ومصطفى حليم ، ص ٢٠٢ .
(٢٣٢) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٥٢ — ٢٥٣ ؛ ١٣٤ ؛ **Guide, p. 43** ؛
المداني ، الصليبيون ، ص ٢٥٨ — ٢٦٠ .
(٢٣٣) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٥٩ ص ٩ .
(٢٣٤) نفسه ، ٧/٦ ورقات ٢٥٣ — ٢٥٤ .
(٢٣٥) انظر . الرسالة الواعظة ، ص ٧٧ — ٧٨ .
(٢٣٦) يحيى ، ص ٢٢٣ فابعدنا ؛ المنيق ، تاريخ ، ورقة ١٨٤ و انظر .
Druzes, CCCLXXXVII sqq ; CCCXC.
عن زوزن ، انظر . معجم البلدان ، ٤ ص ٤٩٦ .
(٢٣٧) يحيى ، ص ٢٢٣ .
(٢٣٨) عن هذا المسجد ، انظر . الخطوط ، ٤ ص ٢٧٦ .
(٢٣٩) يحيى ، ص ٢٢٤ ص ١٨ .
(٢٤٠) رقم ٦٧٥٢ (م . م . ب) ورقة ٤٣ .
(٢٤١) نفسه ، ورقات ٦٨ — ٦٩ ؛ ٧١ ؛ يحيى ، ص ٢٢٢ ص ١٦ — ١٧ .
(٢٤٢) نفسه ، ورقة ٤٢ .
(٢٤٣) المنيق ، تاريخ ، ورقة ١٨٤ .
(٢٤٤) رقم ٦٧٥٢ (م . م . ب) ورقة ٦٦ .
(٢٤٥) نفسه ، ورقة ٢٠ ؛ انظر . زهر المجازي (المنتخب) ص ٥٥ . وذلك في أيام محمد بن اسماعيل .
(٢٤٦) يحيى ، ص ٢٢٣ .
(٢٤٧) رقم ٦١٤١ (م . م . ب) ورقة ٢ — ٣ .
(م — ١٤ الحاكم بأمر الله)

- (٢٤٨) نفسه ، ورقة ١٣ في العيني ، تاريخ ، ورقة ١٨٤ .
(٢٤٩) رقم ٦١٢١ (م . هـ . ب) ورقة ٣ و ٨ في عقائد نحل (د . ك) برقم ٥٣٨ .
(٢٥٠) المؤيد ، جامع الحقائق ، نسخة فتوغرافية بجامعة القاهرة ، ص ١٣ و ٤٥ و رسالة واعظة ، ص ٢٥ وهامش ؛ ديوان المؤيد في الدين ، تحقيق محمد كامل حسين ، ص ٨٩ فابعدهما .
(٢٥١) رقم ٦١٢١ (م . هـ . ب) ؛ انظر .
(٢٥٢) عن هذه الفرقة ، انظر . النجوم ، ٤ ص ٢٤٩ س ٦ — ٩ ؛
Histoire : Dussaud ; Ency. de l'Isi (art Nusairi) t3, p. 1030—1033
et religion des Nosairis. Paris 1900. كرد علي ، خطط الشام ، ١٩٢٨ ، ص ٦٦ — ٢٥٨ .
(٢٥٣) رقم ٦٧٤٦ (م . هـ . ب) ورقة ٧ ؛ ٦٧٤٧ (م . هـ . ب) ؛ ورقم ٦٧٥٢ (م . هـ . ب) .
(٢٥٤) انظر . Guyard . Frag, p, 3 nI. ؛
(٢٥٥) النجوم ، ٤ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .
(٢٥٦) رقم ٦٧٥٢ ورقة ٢٢ ؛ رقم ١٣٣ (د . ك) ورفات ١٣٥ — ١٣٨ ؛ الحاكم ، عنان ، ص ٢٠٦ .
(٢٥٧) رقم ٦٧٥٢ ورقة ٣٥ .
(٢٥٨) أوردها De Sacy . : Druzes, CCCXCI et (n) .
(٢٥٩) Ibid, I, p. 24 — 25. ؛
(٢٦٠) العيني ، تاريخ ، ورقة ١٧٥ .
(٢٦١) رقم ٦٧٤٦ ورقة ٥ ؛ رقم ٣٧ (عقائد نحل) ؛ رقم ٦٧٥١ (م . هـ . ب) ؛ ورقة ١ فابعدهما ؛ عنان ، الحاكم ، ص ٢٥٩ فابعدهما .
(٢٦٢) رقم ٦٧٥٢ ورقة ١٩ .
(٢٦٣) نفسه ، ورقة ٤٣ .
(٢٦٤) نفسه ، ورقة ٢ ؛ ١٣ ؛ ٦٧٤٦ ورقة ٧ ؛ رقم ٦٧٥١ ورقة ٦ .
(٢٦٥) رقم ١٣٩ (د . ك) ورفات ٦٢ — ٦٨ ؛ عنان ، الحاكم ، ص ١٨٨ — ١٨٩ .
(٢٦٦) يحيى ، ص ٢٢٤ س ١ — ٤ .
(٢٦٧) عيون ، ٧/٦ ورفات ٢٢٤ — ٢٢٥ .
(٢٦٨) يحيى ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .
(٢٦٩) العيني ، تاريخ ، ورقة ١٨٤ .

- (٢٧٠) السكامل ، ٦ من ٧٠ ، ١٠٠ .
(٢٧١) الفرق بين الفرق ، ص ٢٨١ .
(٢٧٢) انظر اعتراف بعض المؤرخين ، مثل De Sacy : *Druzes, I, p. 24—35* ; Betty : *Elakim, p. 189* . من ١٩٩ . انظر . مثلاً : عنائد نحل ، برقم ٢٠ .
(٢٧٣) انظر . *Druzes, CCCCLV* sqq .
(٢٧٤) انظر . *Ibid, CCCCLXV* .
(٢٧٥) انظر . *Ibid, CCCCLVII* .
(٢٧٦) انظر . *Ibid, I, p. 8; n (1)* .
(٢٧٧) انظر . *Ibid, CCCCLXIV* .
(٢٧٨) رقم ٦٧٥٢ (م . هـ . بـ) ، ورقة ١٧ ؛ شرح الأخبار ، مخطوط (د . ك) .
برقم ٧٠٦٢ ح ، ورقة ٢ ؛ نظم ، ١ من ٧٧ .
(٢٧٩) انظر . *Rise, p. 146—7; 152* .
(٢٨٠) منهم ، انظر على الخصوص : عنان ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ (ينقل عن صديق) . انظر .
Ency. de l'Isl (art Druzes) t I, p. 1108 sqq ; Betty, chap. V...
(٢٨١) انظر . Betty, p. 193 . من كورة حوران : معجم البلدان ، ٣ ، ص ٣٦٠—٣٦١ .
(٢٨٢) انظر Betty, D. 197 .
(٢٨٣) ابن اياس ، ١ ص ٥٨ .
(٢٨٤) كاشف الغطاء ، ص ٩٩ فما بعدها .
(٢٨٥) انظر مثلاً : تاريخ جبل لبنان ، مخطوط (د . ك) ، برقم ١٦ م ، ألف سنة ١٢٧٥ هـ .
(٢٨٦) النعمان ، المجالس والمساربات ، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة ، برقم ٢٦٠٦٠ ، ورقات ، ٣٥٨ — ٣٧١ ؛ نظم ، ١ ص ٧١ .
(٢٨٧) يحيى ، ص ٢٣٦ ؛ انظر أيضاً ماورد في النجوم ، ٤ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .

الفصل الخامس

- (١) يحيى ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .
(٢) انظر . قبله ، ص ٢٢ — ٢٣ .

(٣) عنهم ، انظر . وفيات ، ٢ ص ٦٦ — ٧٠ ؛ انظر . Canard :

Histoire de la dyastie des H'amdaniides de Jazira et de Syrie
et. cf.

(٤) ابن الشعنة والدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق سر كيس ، بيروت ١٩٠٩ ،

ص ٦٠ . عن نهر قويق ، انظر . معجم البلدان ، ٧ ص ٢٨٨ .

(٥) النجوم ، ٤ ص ١٦ س ١٠ — ١٢ .

(٦) انماظ ، ص ١٤١ — ١٤٢ ؛ الخطاط ، ٢ ص ١٦٥ ؛ انظر . Quat :

Vie de Moezz, 2, Paris 1836, p. 50—51.

(٧) انماظ ، ص ١٧٨ س ١٠ .

(٨) معجم البلدان ، ٤ ص ٢٧٨ ؛ انظر . بعده .

(٩) انظر . Guerdron :

Vie, Grandeurs et Misères de Byzance. Paris 1954, p. 3 sqq.

(١٠) عنه ، انظر . السكاهل ، ٧ ص ٣٨ ؛ النجوم ، ٤ ص ١٨ — ١٩ ؛

Cedrenus ؛ ٥٧ — ٥٥ :

Synopsis Historiae Corpus scriptorum historiae byzantinae
Léon Diacre (ed. Hase) ؛ (CSHB). 1838—9, éd Becker p. 507 sqq.

؛ Schlumberger ؛ CSHB. 1828, p. 204.

Un empereur byzantin au X Siècle, Nicephore Phocas, Paris 1890.

؛ أسد رستم ، الروم في سياستهم ، ٢ ص ٢٦ فا بعدما .

(١١) عن أنطاكية ، انظر . معجم البلدان ، ٩ ص ٣٥٣ فا بعدما .

(١٢) ذيل ، ص ١٢ — ١٤ ؛ انظر .

R. H. C. Doc Arm, (Paris 1869) et p. 5 sqq.

؛ انظر . أسد رستم ، الروم ، ٢ ص ٤٥ فا بعدما ؛ Schlumberger :

L'épopée byzantine à la fin du Xe Siècle 1909 II (I Jean Tzimiscès).

(١٣) انظر . ذيل ، ص ١٤ س ١٤ ؛ Cedrenus, p. 535 ؛

(١٤) ذيل ، ص ١٥ — ٢١ ؛ النجوم ، ٤ ص ١٢٨ .

(١٥) ذيل ، ص ٤١ ؛ يحيى ، ص ١٦١ ؛ ابن العميد ، ص ٢٤٨ ؛ الروخراوري ،

ص ٣٣ .

- (١٦) ذيل ، ص ٤١ فا بعدها ؛ النجوم ، ص ٤ ص ١١٧ فا بعدها ؛ Canard :
Epopée byz, II, p. 58 sqq ; : Schlumberger & Hamdanides.
t I p.856 sq
- (١٧) الروذراورى ، ص ١١٦ — ١٧ ؛ ابن العميد ، ص ٢٥١ .
- (١٨) La Civil, Byz. 50. : Rancinan
- (١٩) عنها ؛ انظر . عبادة ، سفن الأسطول ، ص ٥ — ٦ ؛ نظم ، ص ٢٢٣ ؛
Suppl. I, 783. : Dozy
- (٢٠) انظر . المخطوط ، ص ٣١٧ — ٣١٨ .
- (٢١) النجوم ، ص ٤ ص ١٢١ ص ٥ .
- (٢٢) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ص ٢٦٢ .
- (٢٣) يحيى ، ص ١ ص ١٨١ — ١٨٢ ؛ الكامل ، ص ٧ ص ١٧٨ — ١٧٩ ؛ المبر ،
ص ٥٧ . عن صور ، انظر . معجم البلدان ، ص ٥ ص ٣٩٧ — ٨ .
- (٢٤) الروذراورى ، ص ١٨٥ .
- (٢٥) النجوم ، ص ٤ ص ١٥٢ — ١٥٣ .
- (٢٦) يحيى ، ص ١ ص ١٨٤ .
- (٢٧) انماط ، وركات ٩٦ — ٦٩ أ ؛ النجوم ، ص ٤ ص ١٩٧ ؛ انظر . مجموعة
الموثائق ، ص ١ ص ٥٩ هامش .
- (٢٨) يحيى ، ص ٢٣٩ — ٢٤١ .
- (٢٩) نفسه ، ص ٢٤٣ .
- (٣٠) المخطوط ، ص ٤ ص ٦٨ ؛ الكامل ، ص ٧ ص ١٧٨ .
- (٣١) الروذراورى ، ص ١٨٥ .
- (٣٢) يحيى ، ص ٢٠١ — ٢٠٢ ؛ ٢٠٧ ؛ الكامل ، ص ٧ ص ١٨٥ ؛ الروذراورى ،
ص ٢٢٥ .
- (٣٣) يحيى ، ص ٢١٠ فا بعدها ؛ ابن العميد ، ص ٢٥٦ ؛ المبنى ، تاريخ ، وركات
١٨٤ — ١٨٥ ؛ الكامل ، ص ٧ ص ٢٦١ — ٢٦٢ ؛ النجوم ، ص ٤ ص ٢٢٢ ؛ ٢٢٥ ؛
الروذراورى ، ص ٢٣٦ فا بعدها .
- (٣٤) رسائل أبي بكر الخوارزمي ، طبعة القسطنطينية ، عام ١٢٩٧ هـ ، ص ٤٩ ؛
متر ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ط ٢ ، ص ٧٧ .
- (٣٥) عنهم ، انظر . الكامل ، ص ٦ ص ٢٣٠ فا بعدها ؛ وفيات ، ص ٩٧ —
٩٩ ؛ ٩٩ ؛ ٦٥ ؛ القرظي ، السلوك (الطبعة الثانية) ١/١ ص ٢٣ فا بعدها ؛
Ency de l'Isi, (art Būyides) t I, p. 827—828.

(٣٦) النجوم ، ٤ ص ١٤٧ ؛ مسكويه ، تجارب ، تحقيق Gaetani ، طبعه
Lepelletier ، ٦ ص ٤٩٦ .

(٣٧) النوبختي ، ص ٥٣ ؛ انظر . Aubin :

Le Chisme et la Nationalité persanne. R. M. M. Vol 4.

Essai sur l'histoire, : Defrémery : Mars 1908, n, 3, p.457 sqq.
des Ismaéliens de la Perse. p. 12.

(٣٨) النوبختي ، ص ٥٧ .

(٣٩) السلوك ، ١/١ ص ٢٧ من ١٧ — ١٨ .

(٤٠) النجوم ، ٤ ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(٤١) الكامل ، ٧ ص ٢٣ — ٢٤ ؛ ٩٥ — ٩٩ .

(٤٢) ابن السيد ، ص ٢٤٤ — ٢٥٢ ؛ انظر . Canard :

Deux documents arabes sur Bardas Skléros, Studi Bizantini
e Neellenici, Vol. V/1 Rome, 1939.

(٤٣) الروذراوري ، ص ١٢٥ — ١٢٦ .

(٤٤) مثل الأكراد . الكامل ، ٧ ص ١٩٢ .

(٤٥) شذرات ، ٣ ص ٩٣٠ ؛ النجوم ، ٤ ص ١٧٤ ؛ متر ، الحضارة ، ١ ص ٩١ .

(٤٦) الكامل ، ٧ ص ١٤٨ .

(٤٧) النجوم ، ٤ ص ١٦٦ من ٩ — ١١ .

(٤٨) انظر . متر ، الحضارة ، ١ ص ٩١ — ٩٢ . (ينقل عن مخطوطة) .

(٤٩) النجوم ، ٤ ص ١٦٣ .

(٥٠) عنهم ، انظر . نفسه ، ٤ ص ١٢١ — ١٢٢ ؛ الكامل ، ٧ ص ١٨١ — ١٨٢ ؛

شذرات ، ٣ ص ١٦٠ ؛ ابن العميد ، ص ٢٥٧ ؛ السير ، ٤ ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ؛
الروذراوري ، ص ٢٣٩ فابدها .

(٥١) عن الخطبة كلها ، انظر . النجوم ، ٤ ص ٢٢٤ — ٢٢٧ .

(٥٢) النجوم ، ٤ ص ٢٢٩ — ٢٣٠ ؛ شذرات ، ٣ ص ١٦٢ — ١٦٣ .

(٥٣) كذلك كتب الحاكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، إلى العزيز كتاباً

يسب فيه ويجهوه ، ورد فيه : « أما بعد ، فإنك قد عرفتنا فمجهوتنا ؛ ولو عرفناك لأجبتناك
والسلام ، انظر . وفيات ، ٣ ص ٥٣ .

(٥٤) عن المرتضى ، انظر . وفيات ، ٢ ص ١٤ فابدها ؛ الكامل ، ٧ ص ٢٢٩ .

عن الأسفرائيني ، انظر . وفيات ، ١ ص ٣٣ .

(٥٥) مقدمة ، ص ١٩ ، ١٨ .

(٥٦) النظر . Polemics. London 1934. p. 16 sqq.

(٥٧) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ ؛ كشف ، ص ١٦ — ١٨ ؛ القهرست ، ص ١٨٨ ؛

Rise, p. 127 sqq ؛ Polemics, p. 43 sqq.

(٥٨) النجوم ، ٤ ص ٧٤ ص ١٨ .

(٥٩) زهر المعاني (المنتخب) ، ص ٤٧ و ٤٩ ؛ النظر . قبله .

(٦٠) النظر Lewis :

The Origins of Ismâ'ilism , p. 63 - 4.

(٦١) النظر كشف ، ص ١٩ ، النظر . Ivanow :

: Alleged Founder of Ismâ'ilism. pp. 7-8.

كامل - حسين ، طائفة الإسماعيلية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٥ .

(٦٢) غاية المراد (المنتخب) ص ١٦ ؛ في نسب الفاطميين ، ص ١١ ؛ ابن حاد ،

ص ١٤ . حسن إبراهيم ؛ عبادة الله ، ص ٧٩ فا بعدها ؛ النظر . قبله .

(٦٣) ابن اياس ، ١ ص ٥٦ .

(٦٤) يحيى ، ص ٢٠٦ .

(٦٥) النظر . قبله .

(٦٦) افتتاح ، ورقة ١٨ - ١٩ ؛ عبود وورقات ٣٨ ؛ ١١٤ - ١١٧ ؛ النظر . Stern :

Isma'ili Propaganda, and the Fatimid Rule in Sind I.C, Oct.

The beginnings, : Abbâs al-Hamdani ، 1949; pp. 298 — 307.

of the Ismâ'ilî da ' wa in Northern India, Cairo 1956.

(٦٧) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، طبعة Leiden ، ص ٤٨١ ؛ النظر .

Boey. (art Multân) t3 p. 771.

(٦٨) الكامل ، ٧ ص ١٩٧ .

(٦٩) الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٧ .

(٧٠) النجوم ، ٤ ص ٢٣٢ .

(٧١) الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٦ — ٢٧٧ ؛ شذرات ، ٣ ص ١٨٦ .

(٧٢) كشف ، ص ٢١ فا بعدها ؛ افتتاح الدعوة ، ورقة ٣ فا بعدها ؛ النظر . الحمداني ،

الصليحيون ، والحركة الفاطمية في اليمن ، ص ٢٩ فا بعدها .

(٧٣) افتتاح ، ورقة ١٩ ، النظر . قبله .

- (٧٤) سيرة جعفر الحاجب ، ص ١١٠ في الظار . الحمداني ، الصليحيون ، ص ٣٩ في
انظر . قبله .
(٧٥) كشف ، ص ٣٧ فاما بعدها ؛ الحمداني ، الصليحيون ، ص ٤١ فاما بعدها .
(٧٦) سلوك (تاريخ اليمن) ، مختصر كافي ، ص ١٥١ في الحمداني ، الصليحيون ، ص ٥٢ .
(٧٧) النجوم ، ٤ ص ١٢٢ من ١ - ٢ .
(٧٨) عبون ، ٦ ورقات ٢٧١ - ٢٧٤ في الحمداني ، الصليحيون . ص ٥٦ ؛ ٣٠٩
ملحق رقم (١) .
(٧٩) كشف ، ص ٤٧ في الظار . الحمداني ، الصليحيون ، ص ٥٧ - ٥٨ وماش (٢) .
(٨٠) عنها ، انظر : صحيح البلدان ، ٣ ص ٧٣ فاما بعدها .
(٨١) العبر ، ٤ ص ٨٨ فاما بعدها في انظر .

Ency. de l'isl (art Karmates) t2, p. 813 sq.

- (٨٢) اتعاط ، ص ٢٥١ فاما بعدها .
(٨٣) ذيل ، ص ٢٠ - ٢١ .
(٨٤) النجوم ، ٤ ص ٣٦٧ .
(٨٥) العبر ، ٤ ص ١٠١ في الروذراوري ، ص ٩٠٩ من ٣ - ٤ .
(٨٦) النجوم ، ٤ ص ١٤٥ ؛ ١٦٧ ؛ ١٦٩ في الروذراوري ، ص ١٠٩ .
(٨٧) للمسعودي ، مروج ، ١ ص ٣٦٢ في انظر . متر ، الحضارة الإسلامية ، ترجمة
أبي رييدة ، ١ ص ٤ .
(٨٨) العبر ، ٤ ص ١١ ؛ ٩٩ في صحيح ، ٤ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ : West
Chron. Mekka II, 24) في سرور ، النفوذ الفاطمي ، ص ١١ ؛
Ency. de l'isl (art Mekka) t3, p. 512 sq.
(٨٩) صحيح ، ٧ ص ١٣ - ١٤ في العبر ، ٤ ص ١٠٠ في الخطوط ، ٤ ص ١٥٥ .
(٩٠) العبر ، ٤ ص ١٧ في سرور ، النفوذ ، ص ١٤ .
(٩١) النجوم ، ٤ ص ١٨٤١١ .
(٩٢) اتعاط ، ص ١٤٥ - ١٤٦ في البيان ، ١ ص ٢٢١ .
(٩٣) اتعاط ، ص ١٩٣ في انظر . نظم ، ٢ ص ١٣٠ - ١٣١ في Quest
Mekka, p. 53 sq. : Snouck Hurgronje; Vie du calife Bâyez, p. 172-3.
(٩٤) سفر قاسية ، ترجمة يحيى الخليلي ، ص ٦٥ .
(٩٥) الخطوط ، ٢ ص ٣٨٨ .

- (٩٦) نفسه ، ٣ من ٢٦٥ . هذه البركة عرفت أولا « يجب عميرة » ؛ لأنها كانت
مسكرًا لشيرة عميرة ، ثم قيل لها « أرض الجب » ، ثم عرفت في العصر الفاطمي
« بركة الحجاج » .
- (٩٧) المقرئ ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك تحقيق الشيبان ،
القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٢ — ١٤ (مقدمة) ؛ ٥٨ .
- (٩٨) الروذراوري ، ص ٥٧ .
- (٩٩) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٤٥ فا بعدها ؛ الروذراوري ، ص ٢٣٦ فا بعدها ؛
الخط ، ٣ من ٢٥٥ — ٢٥٦ ؛ ٤ من ٧٢ ؛ انظر . West :
- Chron. Mekka II, 207.
(١٠٠) يحيى ، ص ٢٢٤ ؛ انظر . قبله .
- (١٠١) أسيرة جوذر ، ص ٥٩ . عنهم ، انظر . العبر ، ٦ من ١٤٨ فا بعدها .
- (١٠٢) عنها ؛ انظر . العبر ، ٦ من ١٥٢ فا بعدها .
- (١٠٣) العبر ، ٦ من ١٥٥ . عنه بالتفصيل ، انظر وفيات ، ١ من ١٦٤ .
- (١٠٤) عنه ، انظر . وفيات ، ١ من ٣٥١ — ٣٥٢ .
- (١٠٥) العبر ، ٦ من ١٥٥ — ١٥٦ ؛ اتمام ، ص ١٤٢ ؛ ١٤٤ ؛ ١٤٥ .
- (١٠٦) ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق Colin
و Levi - Provençal ، ١ من ٢٣٠ .
- (١٠٧) نفسه ، ١ من ٢٣٧ .
- (١٠٨) نفسه ، ١ من ٢٣٩ ؛ ٢٤٦ — ٢٤٧ ؛ العبر ، ٦ من ١٥٦ — ١٥٧ .
- (١٠٩) نفسه ، ١ من ٢٤٨ — ٢٤٩ ؛ نفسه ، ٦ من ١٥٧ — ١٥٨ . عنه
بالتفصيل : وفيات ، ١ من ١٥٢ — ١٥٣ .
- (١١٠) عنهما ، انظر . معجم البلدان ، ٢ من ١٢٣ فا بعدها ؛ ٦ من ٣٤ فا بعدها ؛
ص ٢٢ فا بعدها .
- (١١١) الخط ، ٤ من ٧٠ ؛ التذكار فيه ملك طرابلس ، ص ١٢ ؛ انظر .
Berbères et Arabes Paris. 1942. p. 124. : Brémond.
- (١١٢) التذكار ، ص ١٦ فا بعدها ؛ ابن عذارى ، ١ من ٢٠٨ .
- (١١٣) وفيات ، ١ من ٢١٠ ؛ العبر ، ٦ من ١٥٥ .
- (١١٤) العبر ، ٦ من ١٥٦ ؛ انظر . [الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، القاهرة
١٩٥٤ ، ص ١٧٧ — ١٧٨ .
- (١١٥) ابن عذارى ، ١ من ٢٥٦ ؛ العبر ، ٤ من ٥٩ .

(١١٦) الخطاط ، ٤ ص ٩٩ من ١٩٣ .

(١١٧) عيون ، ٤/٦ ورفات ٤٣١ فما بعدها ؛ المبر ، ٤ من ٥٨ — ٥٩ ؛ يحيى ،

ص ١٨٨ فما بعدها ؛ ابن حماد ، ص ٤٩ ؛ السكامل ، ٤ ص ٢٣٤ — ٢٣٧ ؛ النجوم ،

٤ من ٢١٥ — ٢١٧ ؛ العيني ، ورفات ١٧٦ — ١٧٧ ؛ انظر . De Sacy .

Drazes, CCCXVI sqq. :

(١١٨) يحيى ، ص ١٨٩ من ٧٥ .

(١١٩) البيان ، ١ ص ٢٥٨ .

(١٢٠) الخطاط ، ٤ ص ٩٩ ؛ عيون ٧/٦ ورقة ٢٣٧ .

(١٢١) المبر ، ٦ ص ١٣ ؛

Sacy, t2, p. 325—6; 4, p. 542—3.

(١٢٢) السكامل ، ٧ ص ٧٣٩ .

(١٢٣) يحيى ، ص ١٩٢ من ١ فما بعدها .

(١٢٤) عيون ، ٧/٦ ورقة ٤٣٩ .

(١٢٥) يحيى ، ص ١٩١ من ٦ — ٧ .

(١٢٦) النجوم ، ٤ ص ٣١٢ من ٥ — ٦ .

(١٢٧) عيون ، ٧/٦ ورقة ٤٦٦ ؛ انظر . قبله .

(١٢٨) أبو صالح ، ص ١٢١ (٩٥) . أما من ساهداً بالقطر ، انظر . الخطاط ، ٤

ص ٣٢٢ فما بعدها .

(١٢٩) الخطاط ، ٤ ص ٧٠ من ٢٠ .

(١٣٠) السكامل ، ٧ ص ٢٩٠ .

(١٣١) نفسه ، ٤ ص ١٧٥ .

(١٣٢) عيون ، ٧/٦ ورفات ٤٤٤ — ٤٤٥ .

(١٣٣) السكامل ، ٧ ص ٢١٨ .

(١٣٤) ابن عذارى ، ١ ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(١٣٥) السكامل ، ٧ ص ١٨٤ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ؛ ٢٧٦ — ٢٧٩ ؛ أبو القدا ، ٤

ص ١٣١ — ١٣٢ ؛ Marçais : La Berbérie Musulmane, p. 163 sqq. :

(١٣٦) عن المبر ، انظر . ابن عذارى ، ١ ص ٢٦٧ فما بعدها ؛ السكامل ، ٧ ص

٢٧٧ — ٢٧٩ .

(١٣٧) عنه ، انظر . الخطاط ، ٤ ص ١٤٤ من ٢٢ — ٢٥ ؛ انظر O'Leary :

Hist. of the Fatimids, p. 200.

- (١٣٨) ابن عذارى ، ١ ص ٢٧٩ .
- (١٣٩) ابن عذارى ، ١ ص ٢٨٥ و الكامل ، ٧ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ و انظر . أحد
كهود ، مجلة الشيعة بافريقية في القرن الخامس الهجري ، فصلة من مجلة كلية الآداب بالقاهرة ،
جلد ٢/١ - ديسمبر ١٩٥٠ ، ص ٩٤ .
- (١٤٠) انظر - Lavoix - Catalogue, II, p. 73-79 (92).
- (١٤١) الاستقصا ، ص ١٦٧ و انظر - مجلة الشيعة ، ص ٩٨ .
- (١٤٢) النجوم ، ٤ ص ١٧٨ و انظر . قبله .
- (١٤٣) بحرين ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
- (١٤٤) ابن عذارى ، ١ ص ٢٦٩ .
- (١٤٥) الكامل ، ٥ ص ١٨٦ فابعدا و انظر :
Ency. de l'Isl (art Sicile) ١٤, p. 414 Sqqq.
عنها ، معجم البلدان ، ٥ ص ٣٧٣ فابعدا .
- (١٤٦) الكامل ، ٨ ص ١٥٨ و انظر .
- Ency de l'Isl (art Malte) ١٣, p 227 Ssq.
- (١٤٧) الكامل ، ٥ ص ٢٥٢ و ٢٦٧ ، عنها و انظر . معجم البلدان ، ٧
ص ١٥٢ - ١٥٣ .
- (١٤٨) لم يرد عن ذلك شيئا في المعجم العربي القديمة ، انظر . Lauer :
Le poème de la destruction de Rome, Mélange de l'École
de Rome xlv, 1899, pp. 307-331 و تقولا زيادة ، صور من التاريخ العربي ،
ص ٤٨ .
- (١٤٩) القسمة ، ١ ص ٢٠٩ .
- (١٥٠) انظر ابن عذارى ، ص ١٧٥ ؛ أماري ، المكتبة المقلية (Biblioteca
Arabo - Sicula) ، ١ ص ٤٣٤ و عبيد الله ، ص ١٩٩ .
- (١٥١) معجم البلدان ، ١ ص ٣١١ - ٣١٢ ، ٤ ص - ٣٥٠ ، ٧ ص ٢٦ .
- (١٥٢) مخطوطة من مؤلف مجهول ، بعنوان : شمس القيوب من جنابيس القلوب
(م.م.ب) برقم ٢٦٦٩ و انظر . Abel :
- Un Hadît sur la prise de Rome dans la tradition eschatolo-
gique de l'Islam. Arabica tv, Janv. 1958. Fasc I, p. 1 sqq.
عن رومية ، انظر . معجم البلدان ، ٤ ص ٣٣١ فابعدا .
- (١٥٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠١ و الصبر ، ٤ ص ٢٠٨ و انظر .
Reinaud :
Invasions des Sarrazins en France. Paris 1836, p. 63.
- (١٥٤) ابن عذارى ، ١ ص ١٩٣ .

- (١٥٥) الزمان ، المجالس والمسائرات ، ١ ورقة ٢٦٦ .
(١٥٦) انماط ، ص ١٤٤ وهامشها (٤) .
(١٥٧) ابن عذارى ، ١ ص ٢٢٨ .
(١٥٨) السكامل ، ٨ ص ١٥٧ ؛ انظر . Amari :
Storia dei Musulmani di Sicilia. Firenze 1858, 2, p. 360 Sqg.
(١٥٩) يحيى ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .
(١٦٠) ولاة ، ص ٦١١ .
(١٦١) انظر . Lavoix . Catalogue p. 65 : 67 (156-160) .

الفصل السادس

- (١) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٢٤ — ٢٢٥ .
(٢) النجوم ، ٤ ص ١٨٥ فما بعدها ؛ ابن الصيّد ، ١ ص ٢٥٨ انظر .
[Bacy. de l'Ial (art Sitt al-Malk), 14, p. 481—82] ؛
Gesch der Fat. p. 214 Suiv. : Wust
و غنان ، الحاكم ، ص ١٢٥ فما بعدها .
(٣) ذيل ، ص ٤٤ .
(٤) يسمى الخنجر ياقوت . النجوم ، ٤ ص ١٨٧ ص ٩ .
(٥) الخطط ، ٤ ص ٧٤ .
(٦) ابن اياس ، ١ ص ٥٨ ؛ الخطط ، ٢ ص ٣٣٣ .
(٧) الخطط ، ٣ ص ٢٠ — ٢١ .
(٨) يحيى ، ص ٢٤٤ ص ١ . كان مولدها بالمغرب عام ٣٥٩ / ٩٧٠ ، ونرفض قول
الفريزي — اتلا عن المسبحي — بأن مولدها في ٢٠٥ / ٩١٧ ، وأنها توفيت عام ٤٢٥ / ١٠٣٤ .
انظر . الخطط ، ٢ ص ٣٣٣ — ٣٣٢ ؛ انظر . قبله .
(٩) انظر مثلا الخطط ، ٢ ص ٣٣٢ . فهي أهدته في مرة هدايا كثيرة من جملتها ثلاثون قرسا
عراكبها من الذهب ، وعشرون بنقا بسروجها ولجها ، وخسون خادما ، ومائة تحت من
أنواع الثياب ، وتاج مرصع بنفيس الجوهر وغير ذلك .
(١٠) يحيى ، ص ٢٣٨ ص ١ — ٧ ؛ المينى ، تاريخ ، ورقة ١٨٠٠ فما بعدها .
(١١) النجوم ، ٤ ص ١٨٥ — ١٨٦ .
(١٢) ابن حاد ، ص ٥١ — ٥٢ .
(١٣) يحيى ، ص ٢٣٣ — ٢٣٤ ؛ وفيات ، ٣ ص ٧ ؛ ابن العبري ، ص ٢١٢ —
٢١٣ ؛ النجوم ، ٤ ص ١٨٥ — ١٨٨ ؛ ١٩٠ — ١٩١ .

- (١٤) زهر اللاماني (المنتخب) ، ص ٤٧ — ٤٩ ؛ ٥٤ ؛ محمد كامل حسين ، الإسماعيلية ، ص ١٤ .
- (١٥) انظر . قبله .
- (١٦) انظر مثلاً . زهر اللاماني ، المنتخب ، ص ٤٧ — ٤٩ ؛ كاشف الظلمات ، ص ٩٩ .
فما بعدها .
- (١٧) رسائل الدرود برقم ٦٧٥١ (م. هـ. ب) ؛ عقائد نحل (د. ك) ، برقم ٣٧ ؛ انظر .
حنان ، الحاكم ، ص ٢٥٩ . فما بعدها ؛ انظر الملحق .
- (١٨) ابن ابي اس ١ ص ٥٨ ؛ النجوم ، ٤ ص ١٩١ ص ١٠ — ١١ .
- (١٩) ابن حاد ، ص ٥٠ — ٥١ .
- (٢٠) أوردها De Sacy عن مخطوطة ابن العبري بباريس ، انظر . *Druzes, I, p. ccccxvii* ؛ حنان ، الحاكم ، ص ١٤٠ وهاهنا .
- (٢١) يحيى ، ص ٢٣٣ .
- (٢٢) الخطط ، ٢ ص ٢٩٤ — ٢٢٥ .
- (٢٣) سير الآباء ، ٣ ، ورسالت ٥٩ — ٦٠ ؛ أبو صالح ، ص ٦٦ (٥٢ ب) .
- (٢٤) يحيى ، ص ٢١٨ .
- (٢٥) عيون ، ٧/٦ ورقة ٢٢٤ .
- (٢٦) سير الآباء ، ٣ ورقة ٦٠ .
- (٢٧) السكامل ، ٨ ص ٣٦ .
- (٢٨) يحيى ، ص ٢١٩ .
- (٢٩) ابن حاد ، ص ٥٨ .
- (٣٠) نهاية الأرب ، ٢٦ ، ورقة ٦٠ ؛ انظر . حنان ، الحاكم ، ص ١٣٤ .
- (٣١) النجوم ، ٤ ص ١٩٢ ص ١٥ .
- (٣٢) انظر *Répertoire 6, p. 119 ; 120* ؛ النجوم ، ٤ ص ١٩٣ ؛ يحيى ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨ . ؛ اتعاط ، ورسالت ٦٦ أ — ٦٩ أ ؛ انظر . مجموعة الوثائق ، ١ ص ٥٧ — ٦٠ هاشم .
- (٣٣) السكامل ، ٧ ص ٣٤ ؛ ابن سعد ، ٥ ص ٢٥٧ .
- (٣٤) عن ذلك بالتفصيل : نظم الفاطميين ، ١ ص ٥٦ (فصل الامامة) .
- (٣٥) الهداية الأمرية ، ص ٢٢٠ فما بعدها (في مجموعة الوثائق) . عن ذلك بالتفصيل .
نظم الفاطميين ، ١ ص ٧٤ (فصل الامامة) .
- (٣٦) يحيى ، ص ٢٠٨ ص ٤ . عن المظلة بالتفصيل ، نظم ، ٢ ص ٧٠ — ٧١ .
- (٣٧) انظر قبله .

- (٣٨) الهداية الأخرية ، ص ٢١٥ (في مجموعة الوثائق) .
(٣٩) مخطوطات : المخطوط ، ٤ من ٧٢ من ١٥ — ١٤ .
(٤٠) انظر . Lavoix . Catalogue p. 76 (186) .
(٤١) انظر . Répertoire, t. 6, p. 119-120 .
(٤٢) المخطوط ، ٤ من ٧٢ من ١٧ — ١٨ ؛ المخطوط ، ورقات ١٦٦ — ١٦٩ ؛ انظر .
مجموعة الوثائق ، هامش (١) ص ٥٧ — ٦٠ .
(٤٣) رقم ١٧٢٥ وورقات ٦٨ — ٧١ .
(٤٤) يميني ، ص ٨ — ٧ من ٤ — ٦ .
(٤٥) نسخة ، ص ٢٧٧ ؛ المخطوط ، ٤ من ٧٤ .
(٤٦) انظر . Druses, p. ccccl .
(٤٧) يميني ، ص ٢٧٠ من ٧ — ٣ .
(٤٨) نسخة ، ص ٢٣٥ ؛ النجوم ، ٤ من ١١٩ — ١٢٠ ؛ الكامل ، ٧
ص ٣٠٦ — ٣٠٧ .
(٤٩) نهاية الأربعة ، ٤٦ ورقة ٦١ .
(٥٠) يميني ، ص ٢٣٤ ؛ النجوم ، ٤ من ١٩٣ — ١٩٤ .
(٥١) يميني ، ص ٢٣٦ من ١١ — ١٢ . يقول أبو الفدا وعمر بن الخطاب وثلاثون وثمينة
أشهر ، أبو الفدا ، ٢ من ١٥١ .

الخاصة

- (١) يميني ، ص ٢٢٤ من ٢ فا بعدها .
(٢) وفيات ، ٧ من ٣٤٤ .

ب — المصادر والمراجع

١ — عربية

- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تصحيح عبد الوهاب النجار وغيره (الجزء السابع
على الخصوص) ، مصر ١٣٥٣ هـ .
أحمد توفيق ، المسلوب في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، الجزائر ١٣٦٥ هـ .

- أحمد بن عبد الله ، كتاب إخوان الصفا وخلال الوفا ، زنجبار ١٣٠٦ هـ .
إبراهيم حماد الدين ، ميون الأتبار ، (الجزء السادس على الخصوص) مخطوطة معسورة
بمكتبة الخاصة ، من مخطوطة الهمداني .
أريم رسائل إصبايلية ، تحقيق حازم ناصر ، مطبعة — سورية ، ١٩٥٢ .
أسد رحيم ، الروم في سياستهم وحضارتهم ، ودينهم ، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ،
في جزئين ، بيروت ١٩٥٥ — ١٩٥٦ .
أماري ، السككبية العفيلية ، بعنوان : Bibliotheca Arabo — Sicula ، في
جزئين ، طابة Lipaia ، ١٨٥٧ — ١٨٨٧ .
ابن أبي اسير ، تاريخ مصر ، السروف ببدائم الزهور في وقائع الدهور ، الجزء الأول ،
ببلاقي ١٣٤٤ هـ .
الباشا (صدين) ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ .
البراي ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٦ .
البرمادي ، الفرق بين الفرق ، القاهرة ١٩١٠ .
جاءك تاجر ، أقطاط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٧ ، القاهرة .
ابن بعبير ، رحلة ، تحقيق حسين نصار ، مصر ١٩٥٥ .
جعفر منصور البين ، كتاب السككبية ، تحقيق Strottmann ، القاهرة ١٩٤٤ .
جمال الدين بن علي ، أخبار الدول المنقطعة ، مخطوطة بدار السككبية المصرية ، برقم
٨٩٠ / تاريخ .
الجوزي (أبو علي منصور) ، سيرة الأستاذ جعفر ، وبه توقيعات الأئمة الفاطميين ،
حققه وقدم له محمد كامل حسين وشميرة ، القاهرة ١٩٥٤ .
ابن الجوزي (أبو الفرج) ، المنظم ، رسالة الفرامطة ، نشرت في :
Revista degli Studi Orientali, Vol XXII.
ابن الجوزي (أبو الخضر) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مخطوطة مصورة بدار
السككبية المصرية ، برقم ٥٥٩ تاريخ . المجلد الثاني والثالث
(الجزء الحادي عشر) .
ابن حجر ، رقع الإصر عن قضاة مصر ، مخطوطة بدار السككبية المصرية ، برقم ١٠٥ تاريخ .
ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ٣ أجزاء ، الطبعة الأولى ، ١٣٢١ هـ .
حسن إبراهيم ، الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، ببلاقي ١٩٤٢ .
، النظم الإسلامية ، بالاشتراك مع علي إبراهيم ، القاهرة ١٩٣٩ .
، عبدة الله المهدي ، مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، بالاشتراك مع طه
شرف ، القاهرة ١٩٤٧ .

- المعز لدين الله، مؤسس الدولة الفاطمية في مصر، بلاشتر الكمع طه شرف، القاهرة ١٩٤٨ .
اليمين، في مجموعة اخترنا لك، رقم ٥٢، القاهرة ١٩٥٨، دار المعارف .
تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، ومصر، وسورية، وبلاد العرب، الطبعة الثانية من كتاب الفاطميون في مصر، القاهرة ١٩٥٨ .
حسن محمود، علاقات الفاطميين بالدول الإسلامية، رسالة ماجستير، بجامعة القاهرة ١٩٤٦ .
محنة الشيعة بإفريقية في القرن الخامس الهجري، فصله من مجلة كلية الآداب، المجلد ١٢، ديسمبر ١٩٥٠، ص ٩٣ فأبعدها .
قيام دولة المرابطين، القاهرة ١٩٥٧ .
ابن حاد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، حققه Vonderheyden، طبعة Paris—Alger، ١٩٢٧ .
الحاد اليماني، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، القاهرة ١٣٥٧ / ١٩٣٩ .
بن حوشب (منصور اليمين)، رسالة الرشيد والهداية، تحقيق محمد كامل حسين، في مجلة Collectanea، المجلد الأول، ١٩٤٨ .
الفرائض وحدود الدين (في نسب الخلفاء الفاطميين)، تحقيق حسين الهمداني، القاهرة ١٩٥٨ (مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة) .
ابن خلدون، مقدمة، القاهرة ١٣٣٢ هـ .
العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧ أجزاء، القاهرة ١٢٧٤ هـ .
ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣ أجزاء، القاهرة ١٢٩٩ هـ .
جونلدسن، عقيدة الشيعة، تعريب ع. م.، القاهرة ١٩٤٦ .
الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ٤٢ تاريخ، مجلدات ٢٢ — ٢٤ .
الرازي (أحمد بن حمدان)، الزيتة في المصطلحات الإسلامية، تحقيق حسين الهمداني، الجزء الأول، القاهرة ١٩٥٦ .
الرازي (محمد بن زكريا)، رسائل فلسفية، لشمسها Kraus، القاهرة ١٩٣٩ .
ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، وتاريخ فاس ١٨٤٣ .
رسائل الحاكم بأمر الله، كتبها دعاء الفاطميين، لاسيا حمزة بن علي، وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم: ٢٠ و ٣٥ و ٣٧ و ٥٤٣٩ و ١٢٣٣ و ١٣٨، عقائد نجل؛ وبالاسكتبة الأهلية بباريس، رقم: ٦١٢١ و ٦٧٤٦ و ٦٧٤٧ .
و ٦٧٥١ و ٦٧٥٢ .
الروفرانوري (أبو شعاع)، ذيل كتاب تجارب الأمم، تحقيق zoredma، مصر ١٩٣٤ / ١٩١٦ .

- الزواوي (طاهر) ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، طبعة دار المعارف ، بالقاهرة .
زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧ .
ابن زولاق ، كتاب فضائل مصر وأخبارها وخواصها (مختصر) ، مخطوطة بالمكتبة
الأهلية ببازيس ، برقم ٤٧٢٧ .
السيقات المصيرية ، تحقيق وتقديم محمد المنعم ماجد ، القاهرة ١٩٥٤ .
سرور ، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٠ .
، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والرافد في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ،
القاهرة ١٩٥٢ .
ناسيوطي (عبد الرحمن) ، حسن الحضارة في أخبار مصر ، في جزئين ،
القاهرة ١٣٢٧ هـ .
أبو شامة ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، في جزئين ، القاهرة ١٢٨٧ —
١٢٨٨ هـ .
ابن المشنة ، الدر المنخبة في تاريخ مملكة حاب ، حققه سركيس ، بيروت ١٩٠٩ .
المهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق Cureton ، طبعة London ، ١٨٤٦ .
الشيال ، مصر والشام بين دولتين ، القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧ .
، نظام الوزارة في العصر الفاطمي ، مقالة بمجلة الثقافة ، العدد ٦٣٨ ، ١٩ مارس ١٩٥١ .
، مجموعة الوثائق الفاطمية ، وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، جمعها وحقنها وأعدما
للغمر مع دراسات تحليلية مقارنة ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٥٨ .
أبو صالح ، كنائس وأديرة مصر ، تحقيق وترجمة Bvettes ، طبعة Oxford ،
١٩٨٩ م .
أبن الصيرفي ، الأشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق عبد الله مخلص ، القاهرة ١٩٢٤ .
طله شرف ، تاريخ الإقطاعية السياسية ، الجزء الأول ، ١٩٤٧ .
عبد الحميد يونس ، الأزهر ، بالاشتراك مع هتان توفيق ، القاهرة ١٩٤٦ .
عبد النعم ، المهدي المنتظر ، المهدي النبوي ، مجلد ١٩ ، صفر ١٣٧٤ ، ص ١٠ فأبعدها .
ابن العبري ، تاريخ مشتهر للدول ، تحقيق صالحاني ، بيروت . ١٨٩ .
ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، نغم سامي الدهان ، في جزئين ، دمشق
١٩٥١ — ١٩٥٤ .
العدوي ، الأساطيل الصربية في البحر الأبيض المتوسط ، مصر ١٩٥٨ .
ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، تحقيق : Colin, Lévi - Provençal ،
طبعة Leyden ، ١٩٤٨ .
عريب بن سعد ، صلة تاريخ الطبري ، القاهرة ١٣٧١ هـ .
(م — ١٥ الحاكم بامر الله)

- علم الإسلام ، المجالس المنصورية ، تحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٧ .
على إبراهيم ، تاريخ جوهر الصقل ، القاهرة ١٣٥١ / ١٩٣٣ .
تاريخ مصر في العمود الرخامي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٣ .
طى مبارك ، الخطط التوقفية الجديدة لصر والقاهرة ، ٧٠ جزءاً ، بولاق ١٣٠٩ هـ .
حل بن الوليد ، تاريخ العقائد ومدن القوائد ، ترجمة Ivanov ، بنوالة :
"A Creed of the Fatimids, Cambridge 1936."
ابن البراء (عبد الحمى) ، عقوات الذهب في أخبار من ذهب القاهرة ١٣٥٠ - ١٣٥٧ ،
(الجزء الثالث) .
عجوة اليمنى ، النكت المصرية في أخبار الزاوة المصرية ، تحقيق Dexembourg ،
طبعة Paris ، ١٨٩٧ .
(وغيره) ، تاريخ اليمن ، تحقيق وترجمة Kay ، طبعة London ، ١٨٩٢ .
ابن الحصيد ، تاريخ المسلمين ، تحقيق وترجمة Rapson ، طبعة Lugdunum —
Baisvorum ، ١٦٧٥ .
صانق ، مصر الإسلامية ، وتاريخ الآثار الإسلامية ، القاهرة ١٩٣٩ .
الحاكم بأمر الله ، القاهرة ١٩٣٧ .
تاريخ الجامع الأزهر ، القاهرة ١٩٤٢ .
العيني (بدر الدين) ، تاريخ دولة بني العباس والطولانيين والفاطميين ، مخطوطة بالمسكينة
الألمانية بباريس ، برقم ٥٧٦١ .
محمد الجاني في تاريخ أهل الزمان ، مخطوطة بدار المسكينة المصرية ، برقم
١٥٥٨ تاريخ .
التزالي ، فضائح الباطنية ، تحقيق Goldzibar ، طبعة Leyden ، ١٩١٦ .
أبو الفدا (اسحاق) ، المختصر في أخبار البحر ، الطبعة الحسينية الأولى .
القاضي ، مختصر التاريخ ، مخطوطة بالمسكينة الأهلية بباريس ، برقم ١٢٩٠ .
ابن الأثير ، فيل تاريخ دمشق ، تحقيق Amador ، بيروت ١٩٠٨ .
اللائق ، صبح الأعشى في صناعة الانعام ، ١٤ جزءاً ، القاهرة ١٩١٧ - ١٩١٩ .
آل كاعف ، الفدلاء ، أصل العيبة وأصولها ، الطبعة الحاشرة ، القاهرة ١٩٥٨ .
كامل حسين ، نظرية القتل والمثول ، القاهرة ١٩٤٨ .
في أعين مصر الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٠ .
« دائرة الإسماعيلية » تاريخها ، نظامها ، عقائدها ، (المكتبة التاريخية بباريس)
أحمد خروف عبد الحكيم) ، القاهرة ١٩٥٩ .
الكرماني ، راحة العقل ، تحقيق محمد كامل حسين ومصطفى طه ، القاهرة ١٩٥٢ .
« الرسائل الواعظة في نبي الوصية الحاكم بأمر الله » ، فصحة في مجلة كلية الآداب ،
المجلد ١٤ ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٢ .

- الكهندي ، كتاب المولاة وكتاب القضاء ، وبذيل مأخوذ من كتاب وضع الإصر ،
تحقيق Guest ، بيروت ١٩٠٨ .
- حاجد ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، في جزئين ، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٥ .
- « الملائقة بين بغداد والقاهرة في عهد الفوالم ، مجلة الرسالة العدد ٧٠٣ ، و ٧٠٤ ،
ديسمبر ١٩٤٩ .
- اللوردي ، الأحكام السلطانية ، مصححة بدر الدين ، مصر ١٩٠٩ .
- متر ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية أبي ريدة ، في
جزئين ، الطبعة الثانية ١٩٤٧ .
- أبو المحاسن (ابن تفرى بردي) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (الجزء
الرابع على الخصوص) ، طبعة دار الكتب ، بالقاهرة ١٣٥٢ / ١٩٣٢ .
- محمد بن غلبون ، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها منه الأخبار ، تحقيق طاهر
الزاوي ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- سمرقة ، القضاء في مصر من الفتح العربي إلى الفتح الفاطمي ، القاهرة ١٩٤٥ .
- نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨ .
- المقدس ، أحسن التقاسيم ، تحقيق de Goeje ، طبعة Leyde ، ١٨٧٧ .
- القرنزي ، المواعظ والأعتبار في ذكر الخطط والآثار ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
- « نماذج الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء ، تحقيق الشيال ، القاهرة ١٩٤٨ ؛ ولسنة
مصورة من مخطوطة طوبه قيصراي .
- « كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول / القسم الأول ،
تحقيق زيادة ، القاهرة ١٩٥٦ .
- « إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق زيادة والشيال (الطبعة الثانية) ،
القاهرة ١٩٥٧ .
- مؤلف مجهول ، تاريخ جبل لبنان (جبل الروز) مخطوطة بدار الكتب المصرية ،
برقم ١٦ م .
- شموس الصيوب من حناديس القلوب ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس ،
برقم ٧٩٩٩ .
- الوئيد في الدين ، السيرة المؤيدية ، تحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩ .
- « ديوان المؤيد في الدين دامي الدعاء ، تحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩ .
- حيثاويل (الأنبا) ، ذيل سير الآباء البطاركة ، الجزء الثالث ، مخطوطة بدار الكتب
للمصرية ، رقم ٦٤٢٤ ح .

- ابن هبسر ، تاريخ مصر ، تحقيق Massé ، القاهرة ١٩٩٩ .
ناصر خسرو ، سفر نامه ، تحقيق يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٨٥ .
ابن النديم ، كتاب الفهرست ، تحقيق Flügel ، في جزئين ، طبعة Leipzig ،
١٨٧١ — ١٨٧٢ .
التمهان ، المجالس والمسائرات ، ٣ أجزاء ، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة ، برقم ٧٦٠٦٠ .
، افتتاح الدعوة الزاهرة ، مخطوطة بمكتبة حسين الهمداني الخاصة .
، شرح الأخبار ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، برقم ٧٠٦٢ .
، دعائم الإسلام ، الجزء الأول ، تحقيق آصف بن علي فيظي ، القاهرة ١٩٥١ .
نقولا زيادة ، برقة ، بيروت ١٩٥٠ .
النوبختي ، فرقة الشيعة ، سبعة وعشرون جزءا ، وعان عليه محمد صادق ، النجف ١٩٣٦ .
النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، برقم ٥٤٩ .
، مصارف عامة ، مجلدات ٢٥ إلى ٢٦ .
النيسابوري ، استنار الإمام ، تحقيق Ivanow ، مجلة كلية الآداب ، ٤ ، صفحات
٩٢ — ١٠٧ ، القاهرة ١٩٥٩ .
الهداية الأمريكية ، تحقيق Byzee ، طبعة Calcutta ، ١٩٢٨ .
الهمداني (حسين) ، الصليبيون والحركة الفاطمية في اليمن ، بالاشتراك مع حسن سليمان ،
القاهرة ١٩٥٥ .
، بحث تاريخي في رسائل اخوان الصفا ، وعقائد الإسماعيلية ، طبعة بومباي ١٩٣٥ .
الهمداني (عباس بن حسين) ، نبذة تاريخية عن الدعوة الإسماعيلية في شمال الهند في
مراحلها الأولى ، مصر ١٩٥٦ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٢٤ / ١٩٠٦ .
يحيى بن سعيد الأنطاكي ، سلك تاريخ أوتينا ، تحقيق شيخو ، في جزئين ، بيروت ،
١٩٠٩ .
البياني (محمد بن محمد) ، سيرة جعفر الحاجب ، تحقيق Ivanow ، في مجلة كلية الآداب ،
مجلد ٤ ، ديسمبر ١٩٣٦ ، صفحات ٩٢ — ١٣٢ ، ترجمة Canard بعنوان :
L'Autobiographie d'un chambellan du Mahdi 'Obeid
le Fâtimide. Hespéris 3e; 4e trim. 1952, pp. 279-330.

٢ — أوربية

Abbas (al-Hamdani) : The beginnings of Ismā'īlī Da'wa in Northern India. Cairo, 1956.

- Abel** : Un Hadit. sur la prise de Rome dans la tradition eschatologique de l'Islam. Arabica iv. Jan 1958, Fasc I, p. 1 sqq.
- Amarò** : Storia dei Musulmani di Sicilia Vol 2 Firenze, 1858.
- Aubin** : Le Chisme et la Nationalité persane R. M. M. Vol IV, Mars 1908, No 3, p. 457—491.
- Becker** : Regierung und Politik unter dem Chalifeu Zâhir. Beiträge zur Geschichte Aegyptens unter dem Islam. Straasbourg, 1902—1903.
- Bel** : Coup d'œil sur l'Islam en Berbérie. Paris, 1917.
: La religion musulmane en Berbérie. Paris, 1938.
- Bell** : Jews and Christians in Egypt. London, 1924.
- Betty** : Le Calife Hakim. Dieu de l'An Mille. Paris, S. d.
- Beylié** : La Kalaa des Beni Hammâd. Une Capitale berbère de l'Afrique du Nord au XIe Siècle; Paris, 1909.
- Blochet** : Le Messianisme dans L'hétérodoxie Musulmane. Paris, 1903.
: Etudes sur l'ésotérisme musulman Paris, 1910.
- Bowen** : The last Buwayhids. J. R. A. S., April 1929, pp. 225—246.
- Brémoud** : Berbères et Arabes. Paris, 1942.
- Caban** : Une Correspondance bûyide inédite. Studi Orientalistici in onore di G. Levi Della Vida, 1956, pp 83 - 97.

Canas

- : Sayf al - daula le Hamdanide. Alger, 1924.
- : Deux documents arabes sur Bardas Skleros, Studi Bizantini e Neellenice Vol V/1; Rome, 1939.
- : L'impérialisme des Fatimides et leur propagande. A. L. E. O. VI, 1942 - 7, p. 156 - 193.
- : Deux épisodes des relations diplomatiques arabo-byzantines au Xe Siècle. Alger, 1950.
- : Histoire de la dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie, II, Paris, 1953.

Casanova

- : La Doctrine Secrète des Fatimides d'Égypte. Ext. du Bull. de l'Inst. F. A. O, t. XVIII, Le Caire, 1920.

Cedrenus

- : Synopais Historiae. Corpus Scriptorum historiae byzantinae (C. S. H. B.) 1838 - 9.

Défrémery

- : Recherches et nouvelles recherches sur les Bathiniens ou Ismaéliens de Syrie. J. A. 1849.

De Goeje

- : Mémoires sur les Carmathes du Bahraïn et les Fatimides. Leide, 1886.
- : La Fin de l'Empire des Carmathes du Bahraïn. J. A. 1895.

De Sacy

- : Recherches sur l'initiation à la Secte Ismaélienne. J. A. 1824.
- : Exposé de la Religion des Druzes et précédé d'une introduction et de la vie du Khalife Hakim Dazar - Allah. 3 Vol. Paris, 1838.

- De Tassy** : Mémoire sur les noms propres et sur les titres Musulmans. J. A. 1854, t III, p. 422—518.
- Diehl (Ch)** : Histoire de l'Empire byzantin. Paris, 1924.
- Dölger** : Regesten der Kaiserurkunden des Ostromischen Reiches I. Berlin - Munich, 1924.
- Dozy** : Supplément aux dictionnaires arabes. 2 ed. Leyden, 1881.
- Dussaud** : Histoire et religion des Nosairis. Paris, 1900.
- **Encyclopédie de l'Islam** 1 éd; 2ed.
- Freytag** : Geschichte der Dynastien der Hamdariden in Mosul und Aleppo Z. D. M. G. X. XI, 1856 - 1857.
- Gandefroy - Demombynes et Platonov** : Le Monde musulman et byzantin jusqu'aux Croisades. Paris, 1931.
- Gottheil** : A distinguished family of Fatimide Cadis. J. A. O. S., XXVII, 1906, p. 217—296.
- Guyard** : Fragments relatifs à la doctrine des Ismaélis. Paris, 1874.
- Hasan Ibrahim** : Relations between the Fâtimids in North Africa and Egypt.
(علاقة الإسماعيلية الفاطمية مع الأمازيغ في الجزائر)
- Hamdani** : A compendium of Isma'ili Esoteric (Zahra'li-Ma'ani) Isl. Coll. XI, 1937. p. 216 - 220.
- Hitti** : The Origins of the Druze People and Religion. Columbia, 1929.
: History of Syria. London, 1951.
- Hogarth** : Arabia. Oxford, 1922.

- Ivanow** : A Guide to Ismaili Literature. London, 1933.
: The Organization of the Fatimid Propaganda. J. B. B. R. A. S., Vol 15., 1939, P.1—35.
: Ismailis and Qarmatians. J. B. B. R. A. S., 1940, p. 43—85.
: Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids. Oxford, 1942.
: The alleged Founder of Ismailism. Bombay, 1946.
: Studies in the Early Persian Ismailism. Leiden, 1947. The Ismaili Society Series. No. 3.
- Kremer** : Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen 2 Bände. Vienna, 1875—1877.
- Lane — Poole** : History of Egypt in the Middle Ages. London, 1901.
- Lavoix** : Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale. t3 : Egypte et Syrie. 1896.
- Léon Diacre** ed. : CSMA. 1828.
- Lewis** : The Origins of Ismailism; a study of the historical background of the Fatimid Caliphate. Cambridge, 1920.
- Mari** : Polemics on the origin of the Fatimid Caliphs. London, 1934.
- Mann** : The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs, Vol. Oxford, 1920.
- Mangoliouth** : On Mahdis and Mahdism, Proceedings of the British Academy Vol. VII, pp 1—21.
- Minorsky** : La domination des Dailawites.

- Nicholson (J)** : An Account of the Establishment of the Fatemite Dynasty in Africa. Tubingen, 1840.
- O'Leary** : A short history of the Fatimid khalifate. London, 1953.
- Quatre** : Vie du Calife fatimide Moeizz lidin Allah. J. A. 1836.
- Recueil des Historiens des Croisades** : Hist. Occ. t. I - VI. Paris 1844-86 ; Hist. Arm. 1-2. 1869 ; Hist. Gr 1-2. Paris.
- Runciman** : A History of the First Bulgarian Empire. London, 1930.
: La Civilisation byzantine 330-1453. trad. Lévy. Paris, 1952.
- Schlumberger** : L'Épopée Byzantine à la Fin du Dixième siècle, 3 Vol. Paris, 1896-1905.
: Un Empereur byzantin au X^e Siècle. Nicephore Phocas Paris, 1890.
- Snoek Hurgronje** : Der Mahdi. Revue Coloniale Internationale. 1886.
- Stern** : Herterodox Ismâ'ilism at the time of al-Mu'izz. B. S. O. A. S. 17, 1955, pp. 10-33
- Vatikiotis** : A Reconstruction of the Fatimid Theory of the State. Isl - Cult. 28 ; 1954, pp. 399-409.
: The Syncretic Origins of the Fatimid Da'wa. Isl. Cult. 28, 1954, pp. 475-491.
- Wenkeressé** : Les pays des Alaouites. Tours, 1940.
- Wiet** : L'Égypte musulmane de la conquête arabe à la Conquête ottomane t IV. Le Caire, 1938.

- et Combe et Sauvaget : Répertoire chronologique d'épigraphies arabes. Le Caire, 1931.
- Wolff : Die Drusen und ihre Verlaufs. Leipzig, 1845.
- Wissnenfeld : Geschichte der Fatimiden Chalifen. Göttingen, 1881.
- Zanussi : L'Egypte et l'équilibre du Levant au Moyen Age. Marseille, 1936.

الكشاف

- الأعلام :
- ابن الأثير ١٦٢ .
- ابن أبي عوبان ٦٥ ، ٨٦ .
- ابن أبي الموام ٩٩ ، ١٠٧ ، ١١٨ .
- ابن دواس ١٧٠ — ١٧٢ .
- ابن حاد ١٥ ، ٥٥٥ .
- ابن حوجب ١٤٦ ، ٥٤٤ .
- ابن خلدون ١١٤ ، ١٤٢ .
- ابن دواس ١٧٠ — ١٧٢ .
- ابن طاهر الوزان ٥٦ .
- ابن صفاري ١٦٤ .
- ابن عمار ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٧ .
- ٥٦ ، ٥٩ .
- ابن الصياد ٧٤ .
- ابن كاضي ٣٩ ، ٧٧ ، ١٢٣ .
- ابن التميمي ٩ .
- ابن حاتمي ١٩ ، ٢٠ .
- ابن الهيثم ٦٤ — ٦٥ .
- ابن يونس ١١٢ .
- أبو تغلب ١٢٩ .
- أبو ركونة ٥٤ ، ٨٩ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .
- أبو سعيد ٧٢ ، ١٤٨ .
- أبو عبد الله القيسي ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .
- أبو الطاهر سليمان ٧١ — ٧٣ ، ١٤٨ .
- أبو الفتح بن جعفر ٥٥٤ ، ١٥٢ .
- أبو الفضائل بن حمدان ١٢٦ ، ١٢٥ .
- أبو القاسم محمد (القاسم) ١٤ ، ١٥ ، ١٩ .
- شرفي بردي (١٢٦) .
- ١٣٩ ، ١٤٥ .
- الأدارس — ١٢٤ .
- إدريس (العيبه) ٣٥ ، ١١٢ .
- الأخزم ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ .
- ١١٧ .
- الأخيد ١٩ ، ٧٠ ، ٣٣ ، ٩٧ .
- أوسانيوس ٢٥ ، ٢٠٢ .
- الأزهر ٨٠ .

- الدرزي ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٩ .
١٤٠ .
الدرزي ٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٩ .
١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .
فابدها .
دي ساسي ١١٠ ، ١٢٣ .
واحدة ٨٩ .
الروذراوري ٣٣ .
الروذباري ٥٤ .
الروس ١٢٩ ، ١٣١ .
الروم ٤٥ ، ١٢٩ فابدها .
ويدان الصقل (زيدان) ٣٣ .
زخاربا ١٠٣ .
زرعة بن عيسى ٥٦ .
زمكيس (ابن الشقيق) ١٣٠ .
زنانة ١٥٤ .
زويلا ١٠١ .
زيد بن علي ١٣٨ .
سنت الملك (سيدة الملك) ٢٥ ، ٣٤ .
٦٨ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ، ١٦٣ .
١٦٩ فابدها .
سجنون بن سعيد ١٦٤ .
سعد النوك ١٣٠ ، ١٣١ .
سكين ١٧٦ .
السلقي ١٠٩ .
سيف النوك ١٢٩ .
السيوطي ١٠٥ .
الشافعي ٧٢ ، ٨٧ .
صالح بن علي ٤٤ .
صالح بن مرهاس ١٣٦ .
صنهاجة ٢٨ ، ١٥٤ فابدها ، ١٦٤ .
الظاهر ٥٢ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٢٥ .
١٢٦ ، ١٤٦ ، ١٧٦ .
اسماعيل بن جعفر ١٩ — ٥٣ .
الإسماعيلية ١٢ فابدها ، ٢١ ، ٧٥ ،
٨٣ ، ٨٤ ، ١٩٨ ، ١٥٩ ، ١٢٣ ،
١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .
الأغالبة ١٤ ، ١٥ ، ١٦٦ — ١٦٧ .
افتكين ١٣٠ ، ١٤٩ .
أنا ميخائيل ٢٤ .
باديس ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ،
١٦٣ .
باسيل الثاني ٥٥ ، ٥٣١ — ١٣٩ ، ١٤٤ .
جرجان ٣٠ فابدها ، ٥٣ ، ٥٢ ، ١٣٢ —
١٣٤ .
الباقر ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٣ .
البويهيون ٥٧٧ فابدها ، ١٤٩ .
بنو سليم ٢٧ ، ١٦٠ .
بنو قرعة ٤ ، ١٦٧ .
بنو هلال ٢٢ ، ١٦٠ .
الجزجرائي ٦٠ — ٦٩ .
جعفر بن فلاح ٢٢ .
جعفر بن محمد الصادق ١٤٤ .
جوهري الصقلي ١٩ ، ٧٠ ، ٥٤ ، ٧٤ .
حسان بن المبرج ٢٣ ، ١٥٣ .
الحسن بن أحمد الأعصم ٢٢ ، ١٣٠ ، ١٤٨ .
حسان بن الأشعث ٣١ .
الحسين بن جوهري ٥٤ ، ٥٣ — ٢٣٩ ، ٥٥ فابدها .
الحسين بن علي ٩٠ .
الحسين بن النعمان ٦٧ .
الحدادوني ١٢٨ فابدها ، ١٣٥ — ١٣٦ .
حزة بن علي ١١٧ فابدها ، ١٧٤ .
ختكين ٥١٤ ، ١٩٥ .
خطير الملك ١٧٩ .
داميانوس الديلاستيوس ١٣٢ .

- فاطمة ٢٢ ، ٧٧ ، ١٤٢ .
- الفضل بن جعفر ٥٦ .
- الفضل بن الحسن ١٦٢ .
- قويد ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .
- القادر بالله ١٤١ — ١٤٢ .
- القرامطة ٢١ ، ٧٧ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٦٢ .
- ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٦٢ .
- قراوش ١٤١ .
- القاعة عندى ٨٧ .
- كتابة ١٤ ، ١٥ ، ٢٨ ، ٧٩ ، ٣٥ .
- ٣٦ ، ٦٠ ، ١٥٤ ، ١٧٠ .
- الكرماني (حميد الدين) ٨٤ ، ١١٦ .
- لؤلؤ ١٣٥ ، ١٣٦ .
- مالك بن ألس ٧٢ ، ٨٧ .
- مالك بن سعيد ٦٨ .
- محمد بن إسماعيل ١٢ ، ١٣ ، ١٤٤ .
- محمد بن النعمان ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٧ ، ٨٧ .
- محمود الغزنوي ١٤٦ .
- المرادسيون ١٣٦ .
- المصبحي ١٨١ .
- المستنصر بالله ١٠٣ .
- المعز بن باديس ٨٩ ، ١٦٣ ، ١٦٣ ، ١٦٣ ، ١٦٣ ، ١٦٣ .
- المعز لدين الله ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٢ ، ٢٢ .
- ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤١ .
- ٦٤ ، ٧٧ ، ٩٧ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٤ .
- ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٣ .
- ١٥٤ ، ١٥٤ .
- المرزباني ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٠ .
- ٨٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ .
- الأفرج بن دحفل ١٣٤ .

- العباسيون ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٣٧ ، ١٣٧ ، ١٣٧ ، ١٣٧ .
- عبد الرحيم بن الياس ١٧٧ ، ١٧٧ ، ١٧٧ ، ١٧٧ ، ١٧٧ ، ١٧٧ .
- عبد العزيز بن محمد ٦٨ .
- عبد الله بن سبا ٧٢ ، ٧٢ .
- حميد الله المهدي ١٤ — ١٦ ، ٢٧ ، ٢٧ .
- عثمان بن عفان ٩ ، ٩٦ .
- للعزيز بالله ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٤ .
- ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٢ .
- ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٧٧ ، ٨٠ .
- ٨١ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٢٧ .
- ١٣٠ — ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٠ .
- ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٦ .
- القليليون ١٤١ ، ١٤٢ .
- عقد الدولة ١٣٩ ، ١٤٠ .
- عمر بن الخطاب ٨ ، ١٦ ، ٥٩ ، ٧٥ ، ٩٥ .
- ١٠٨ .
- عمر بن عبد العزيز ٨ ، ١٦ ، ٤٠ ، ٥٩ .
- ١٠٨ .
- الملاقة ١٣٢ .
- هل بن أبي طالب ٩ — ١١ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٢ .
- ٧٣ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١١١ ، ١١١ .
- ١١٢ ، ١١٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ .
- علي بن الحسين المغربي ٥٦ ، ١٥٢ .
- علي بن عمر المداس ٥٣ ، ٥٤ .
- علي بن الفضل ١٤٦ — ١٤٧ .
- علي بن النعمان ٦٥ ، ٧٧ .
- علي بن يونس ٨١ .
- عيسى بن نسطورس ٥٨ .
- هنان ١٢٣ .
- هين ٥١ ، ٦١ ، ٩٢ .
- هاتك ٩٣٦ .

بيت المقدس ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٠ .
نفيس ٤٠ .
الجزائر البحرية .
الجزيرة ٢٢ ، ١٣٩ .
الجزيرة العربية ١٤٦ ، فإ بعدها .
جنوة ١٦٧ .
الجزيرة ١٦١ .
الحبشة ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .
الحجاز ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، فإ بعدها .
حلب ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٥ .
١٣٦ .
حلوان ١٧ .
دمشق ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٧٨ .
دمياط ٤٠ .
رومية (رومة) ١٦٦ .
سجلماسة ١٥ .
سلاية ١٢ — ١٥ .
السند ١٤٧ .
الشام ١٤ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ .
٣٠ ، ٣١ ، ٦٢ ، ١٠١ ، ١٠٨ .
١٢٧ ، فإ بعدها ١٥٠ .
سقلية ١٦٤ ، ١٦٦ ، فإ بعدها .
صور ١٣٢ .
طرابلس ١٥ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .
١٦٣ .
طور سيناء ١٠٠ .
العراق ١٠ ، ٢٢ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٣ .
١٣٧ ، فإ بعدها ١٤٩ .
خديرخم ١٧ ، ٧٥ .
بارس ١١٧ ، ١٣٧ .

القشوري ٥٤ ، ٥٥ .
منجوتسكين ١٣٩ .
المهدى ١٨ ، ١٩ ، ١٤٥ .
المنصور ١١٢ ، ١١٣ .
المنصور بن باديس ١٥٦ ، ١٦٣ .
منصور بن عبدون ٥٤ .
ميون ١٣ ، ١٤٤ .
ناصر الدولة ١٣٩ .
النصيرية ١١٩ .
النعمان بن حيون ٦٥ ، ١٣٥ .
النوبختي ٩ .
تقفور فوكاس ١٢٩ ، ١٣٠ .
يحيى الأنطاكي ٤٩ ، ٥٦ ، ٩٨ .
ينال ١٥٨ — ١٥٩ .
يوسف بن زيري (بلكين) ١٥٤ — ١٥٦ ،
١٦٢ .

الأماكن

الأحساء ٢١ .
الأسكندرية ٢٠ ، ٥٤ ، ١٥٩ — ١٦٠ .
آسيا الصغرى ١٢٩ .
اطفيح ١١١ .
إفريقية ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٦٨ .
الأندلس ١٧ ، ١٩ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ،
١٧٣ .
أنطاكية ١٣١ .
البحرين ١٣ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٤١ ، ١٤٨ .
برقة ١٥٦ ، فإ بعدها .
بليس ٢٥ ، ١٦٠ .
بغداد ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ،
٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
٩٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٠ ، ١٠٠ ،
١٠١ ، ١٠١ ، ١٣٥ ، ١٣٥ ،
١٥١ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، فاجدهما .

المغرب ١٩ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ،
١٥٢ ، فاجدهما .

القوس ٨١ .

مكة ١٧ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٦ ، فاجدهما

المتان ١٤٦ .

الهدية ١٩ ، ١٦٥ .

الموصل ١٤١ .

النوبة ٩٠٠ ، ٩٠٨ .

حجر ٢٥ .

الهند ١٢ .

العين ١٣ ، ١٤٦ ، فاجدهما .

الأمراء ١٣٤ .

النسطاط ٢١ ، ٤٩ ، ٦٠ .

قسطاين ١٣٠ .

القيوم ١٦٥ .

الأميرة ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٠ .

٤٣ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٧٧ ، ٨١ .

٨٥ ، ١٣٤ ، ١٥٩ ، ١٦٢ .

القطنطينية ١٣١ — ١٣٣ ، ١٦٧ .

قلورية (كالبريا) ١٦٦ .

القيروان ١٥٧ ، ١٦٤ .

الكوفة ٧٧ ، ٧٧ .

مالطة ١٦٦ .

اللمبة ٩٢ ، ١٥٠ ، فاجدهما .

حصرة ١٥ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ .

٢٨ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٨ .

٦٠ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ .

الملاحق

الملحق رقم ١

سجل الخليفة الحاكم بأمر الله ، إلى مارون بن محمد القائم بالدعوة باليمن

(ميونخ الأخبار ١/٢٧٩ - ٢٧٤)

عبد الله بن محمد ، الصليبيون والحركة الفاطمية في اليمن ، ص ٣٠٩ ملحق رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين .

من عبد الله ووليه الإمام ، الخصور بالله أبي علي ، الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى مارون

أبي محمد .

سلام الله عليك ، فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ورساله أن يصل
علي جده محمد خاتم النبيين ، ورسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً .
أما بعد ، فالحمد لله الذي نعمه لا تحصى على من أطاع وعصى ، فهو الطاعة لما به من نعمة
وعلا ، وهو العصية إلى حد ما له إيلاً . يستفيد هذا بشكره رحمة ورضواناً ، كما يستفيد ذلك
ببكفره إثمًا وعدواناً ، وكل سوف يؤتي كتابه ، ثم لا شك يوفي حساباً . فأما من أوتي كتابه
يمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ،
ويصلى سعيراً .

وإن الذي كتبت به يا مارون بن محمد عنك وعن المؤمنين بأرض اليمن ، على يد المعروف
بأبي الخير بن محمد بن يوسف ، بتاريخ يوم الاثنين ثمان ليال خلون من شهر شوال سنة تسعين
وقلتائة ، قد وصل . فأما ما خرجت من خبر من طلبت ما لم يكتب له ويقوم ، فأمره لا بد أن
يتقم ، وذكره بشار له سوف يومئذ .

وأما ما ذكرته إنفاذه على يد رسولك من قرابين المؤمنين ، فهو من الذهب وزن سبعين
حزباً ومن الورق الفصا درهم . فاقه يتقبل من عمل ومن يصل من الصالحات وهو مؤمن ،
فلا كفران لحبه ، وإن له كاتبون . وعليك أن تسلك بالمستجيبين الواجب ، وتجنب بهم كل
طريق بجانب ، لكتاب الله وسنة نبيه سيدنا محمد ، والأخوذ من آياتنا الأئمة المهديين صلوات
الله على النبي ووصيه وعليهم أجمعين ، والمسحوق من أقواء المحققين ، لا الأخوذ عن السنن
المنحرفين ، وليسكن فتواك للمستفيدين في الحلال والحرام ، من كتاب الهمام ، دون ما سواه
من الكتب المفتولة .

وأما ما سألت لإفراذه إليك من الدعاء المبارك ، فسيأتيك منه ما يجب في وقته على يد من يوثق بتأديته وأمانته . وقد كتب إلى الحضرة مظفر بن زياد كتاباً ذكر حامله أنه ضاع منه في طريقه ، وسئل عما تضمنه ؟ فحكى أن الذي يحفظه منه استدعاء من يأخذ عليه من الحضرة ، فأجيب إلى الرجوع إليك في هذا إذ كنت منه قريباً ، ولما هذه خبيثة منصوباً . فاعرف ذلك ، واطلع ما عند مظفر وقره الله ، وطلع الحضرة إن شاء الله .
والسلام عليك ورحمة الله .

وكتب لعشر خلون من ذي القعدة من إحدى وتسعين وثلاثمائة .
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد ، وآله الطاهرين ، وسلم عليه وعليهم أجمعين .

ملحق رقم ٢

صيقة الأمان ، التي أخرج الحسين بن جوهري
عيون الأخبار ، ٧/٦ ورعا ٢٤٨٤ — ٢٥١

بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد ، فإنك بأمر المؤمنين ظهرت ، وبسببها نمت نبت ، وأغصانها أفلتت ، ودوحاتها أظلتك ، وعهدتها تيمنتك ، وعقدتها ذخرك وغنيحتك ، وكم لأبائ أمير المؤمنين على أبائك نعم أمثالها ، وفيهم عوائدها وبوادئها وأشكالها ، فاعترروهم من التجار ، وملكوهم أزمة الأحرار ، وأعطوهم أعنة السكبار ، وجعلوا أعقابهم ملوك الأقطار ، وأعلام الأمصار ؛ فصاروا رؤساء بعد أن كانوا أذئاباً ، وصدروا بعد أن كانوا أعقاباً ، فقادوا المساكين ، ورقوا رهوس النابر . وركبوا رقاب الدهر ، وحكموا في الأموال والديار ، ينفذ الأمر ، وأبقى ذلك أمير المؤمنين ووفره ، وأفاض بسجاله وادره ، ولم يقتصر بك على ذلك حتى جذب بصنيعك من معارج العبيد ، إلى مطالع الأحرار الصيد ، فمعد لك الوزارة والقداد . وجللك رداء العز والسيادة ، وألقى إليك مقاليد الأمر ، وبسط يديك في البدو والحضر ، وأعطاك ما لم تسم بك إليه حمة ، وخولك ما لم يبالغ بك إليه أمنية ، وفضلك على كثير من إليه ، وعصبه وأدانيه وأقاربه ، وعظم خطرک وقدرک ، وأنفذ صيقتك وذكرك ، تنهى وتأمرو ، وترى وتصدر ، وتنفع وتضر ، وتسوء وتسر ، وصرت بشدة أمرک ورفعة قدرک جباراً عظيماً ، وسلطاناً قوياً ، تعضى ما شئت ولا تناقض ، وتعلك ما أردت ولا تعارض ، ولم يدرك أن مثل إحسانه إليك بكفر ، ومثل متجره فيك يخسر ، فبطرت عيشك ، ونسيت أمسك ، وجهات فضلك . وختت ولي نعمتك ، وعصيت مالك ناصيتك ، فاستبدلت بشعار الطاعة جلباب العصية ، وركبت بمركب العبودية مركب الحرية ، وأوضعت وأوجعت قائد الضلالة والجهالة ، ونقضت العهد وحللت العقد ، ونزل إليك بسوء نيتك وسقم طويتك ، الضر الذي وليت عليه ، فقاتلت

أن أمير المؤمنين — وبغض الظن لأم — قال هما معادك ، وبدا له فيما علاقتك — وحلها .
 من ذلك — وما عسى — غفر الله لك — أن تقول إذا تناقلت زياتك الألسن العادلة ،
 وبنت حديثك الأندية الحانقة ، وما صدرك إذا فيل لك لم خرجت عن الأوطان ، وتطرحت
 في البلدان ، وخليت دارك التي فيها درجت ، ومنها خرجت ، وقلدت نفسك بما لا يدحضه
 الاعتذار ، ولا يعفيه الليل والنهار ، ولم يتلم لك مال ، ولا يغير لك حال ، ولم تبغ ثوب
 السكرامة ، ولم تسلب ظل السلامة ، فهوذ بالله العظيم من نعمة تنهري عن جلبابها ، ومرهبة
 تصاغ من إهابها ؟ ومع ذلك فتدعى أنا نيتي لك النوائل ، وتنصب لك الحبال ، وتقص
 منك المقاتل ، ونشره إلى حيازة مالك ، وتسارع إلى استنظام حالك ، لا عن دلاة تقيها
 وتظهرها ، ولا عن حجة تدلى بها وتذكرها ، إلا إرادة أن يتداول الناس دعواك ، ويتفاوضوا
 شكواك ، فيخيل في نفوسهم ، ويقرر في قلوبهم ، أن لك رخصة فيما ارتكبت ، وفسحة فيما
 اجتنته ، وبإاقت لو كانت التهمة منك بنا واقمة ، لكانت طاعتك لنا أزين من مخالفتنا ، كيف
 وعلام الحفايا والنيوب ، والمطلع على الضمائر في القلوب ، يشهد عليك باستحالة ما تذكركه ،
 ويناقض ما تضمنه ، ولو كان أمير المؤمنين يريد بك سوءاً ، وبغض لك مكروهاً ، لكأن
 مراده أسير ، وطريقه أحضر ، ولأخذك جهراً ، وأسرك نهراً ، ولم يراقب فيك أمراً ،
 فإن الله تعالى قدره ، وبقه تعالى القدرة التي لو رام بها البر لأغرقه ، أو البحر لأحرقه ،
 أو الجبل الراسي لدكده ، والفلك الدوار لأمسكه ؟ فإن نزلت عن مطية العصيان ، وخلمت
 خلة الطفيان ، واستقلت عثرتك ، واستتفرت ذنبك ، وأتيت إلى باب مولاك ، ورجعت إلى
 آخرتك وأولاك ، وجدته عليك عطوفاً ، وبك رعوفاً ، وامدرك مهنداً ، ولجريتك
 متعمداً ، فيسهب ذيله على ذنوبك ، ويسبل ستره على عيوبك ، ويشملك أمانه الذي لا يسه
 يوق النار ، وتصرف عنه آفات الليل والنهار ، ويردك إلى سبيل وقائك ، ويعيد إلى أرضك
 صوب سمائك ، ويهطف عليك بالحفظ والاستقامة إليك ، والشح عليك ، ورض الظنة
 عنك ، وإلقاء كلام الوحشين منك ، فيرد أقطاعك ورسومك ، ويراعى أمورك وحقوقك ،
 فتشتد أواخيك ، وتحمى نواحيك ، وتزاد على ما كنت تحويه ، وتعطى أكثر مما ترومه
 وتبتغيه ، وتكون في أيامه مرفهاً مبجلاً ، وفي دولته ممزراً ومفضلاً ، مرفوعاً عن بذلة
 الخدمة ، محمولا على جلاله المحرمة ، مساعماً فيما تطالبه وتبواه ، مسرفاً ما تقترحك وتتمناه ،
 ومشفهاً فيما تلتسه ، مجاباً إلى ما ترومه وتفعله ؟ فإن أبيت إلا الإباء والعلو والجحاح والحق ،
 فما أحون انتسافك ، وما أسير اختطافك ، وما أقرب ما تلغف عليك الحبال ، وتحيط بك
 النوائل ، وتساورك المنية ، وتحيط بك الأمانة ، وقد أعذر من أعذر ، والسلام على من
 أبصر وفكر ..

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد نبيه ، وآله الطاهرين .

(م — ١٦ الحاكم بأمر الله)

نسخة المسجل الذي وجد مطابقا على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم

مخطوط بدار المكتب المصرية ، رقم ٤٧ ، قائم النحل ، ومخطوط بالمكتبة الأممية بباريس ،

برقم ٦٧٥٩ ، وعنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ٢٥٩ - ٢٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم .

والصافية لمن يفظ من روض العاقبين ، وانتقل عن جهل الجاهلين ، وأخلص منه اليقين ،
فياخذ بالروية إلى الله تعالى ، وإلى وليه ووجهته على العالمين ، وخليفته في أرضه ، وأبيه على
خلقه أمير المؤمنين ، واغتم الفوز مع المطهرين والأتقيين ، ولم يكذب يوم الدين ، وكان بالنيب
من الصادقين ، والواقين ، وأعتقد أن الساعة آتية بغتة لا ريب فيها ، وأن الله لا يضيع أجر
الهادين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، المرده الشياطين ، الفسقة للارقين ، وكل خلاف مهين ،
الناكثين الباطنين ، الكاذبين الطافين ، أهل الخلاف والناقضين ، الكاذبين بيوم الدين ، المنصوبين
عليهم والضالين ، والحدقة عند العاكرين ، جدا لا فاذ لا غيره أبدال الأبدان ، وصلى الله على سيد
المرسلين ، محمد المصطفى بالقرآن إلى الخلق أجمعين ، ومبصرا ونذيرا بأمة من شريته هادين
مهديين ، كراما كاتبين ، شهيداه على العالمين ، ليدينوا للناس ما هم فيه مختلفون ، وعنه
يتأولون ، ويرجعونهم إلى أنبياء العظام ، والصراط المستقيم ، سلام الله الذي السامع عليهم إلى
يوم الدين .

أما بعد ، أيها الناس فقد سبق إليكم من الوعد والوعظ والوعيد ، من ولي أمركم وإمام
عصركم ، وخلف أنبيائكم ووجهة بارئكم ، وخليفته الشاهد عليكم بموالاتكم ، وجميع
الأمم قد تم فيه ، من الأعداء والأعداء ما فيه بلاغ إن صرع وأطاع ، واهتدى وجاهد نفسه
من الطوى وأتى الآخرة عن الدنيا ، وأنتم مع ذلك في وادي الجمالة تسبحون ، وفي تيه الضلالة
تتوسلون وتلقون ، حتى تلاقون يومكم الذي كنتم به توعدون ، كلاسوف تملكون ، ثم كلاسوف
تملكون ، كلاسوف تملكون علم اليقين ، وقد علمتم معسر الكفاية ، أن جميع ما ورثه الله
على نبيه وخليفته في أرضه ، أمير المؤمنين ، سلام الله عليه ، من النعم الظاهرة والباطنة ، قد
تداول إمام عصركم ، لشريفكم ومشرؤمكم من خاصتكم وعامتكم ، من ظاهر ذلك وباطنه ،
على الإكثار والإمكان بفضله وكرمه ، حسب ما رأى سلام الله عليه ، ولم يغفل بحزب عطاائه ،
ومناكم منه ، مع ذلك ما أوجه الله تعالى له عليكم ، في كتابه من الحق ، فيما لم يكن لكم
ولم يشاركم في شيء من أحوال هذه الدنيا نزاهة منها ورفضا منه لها ، بل مقدار ، وممكنته ، الأمر
سبق في حكمته ، وهو سلام الله عليه أعلم به ، فأصبحتم وقد حرتم من فضله وجزيل عطائه ،
ما لم يغفل مثله بشر من الماضين من أسلافكم ، ولا أدرك قوة أنبياءه من الأمم الذين
خلوا من قبلك من المهاجرين والأنصار ، في متقدم الأزمان والأعصار ، ولم تنالوا ذلك من

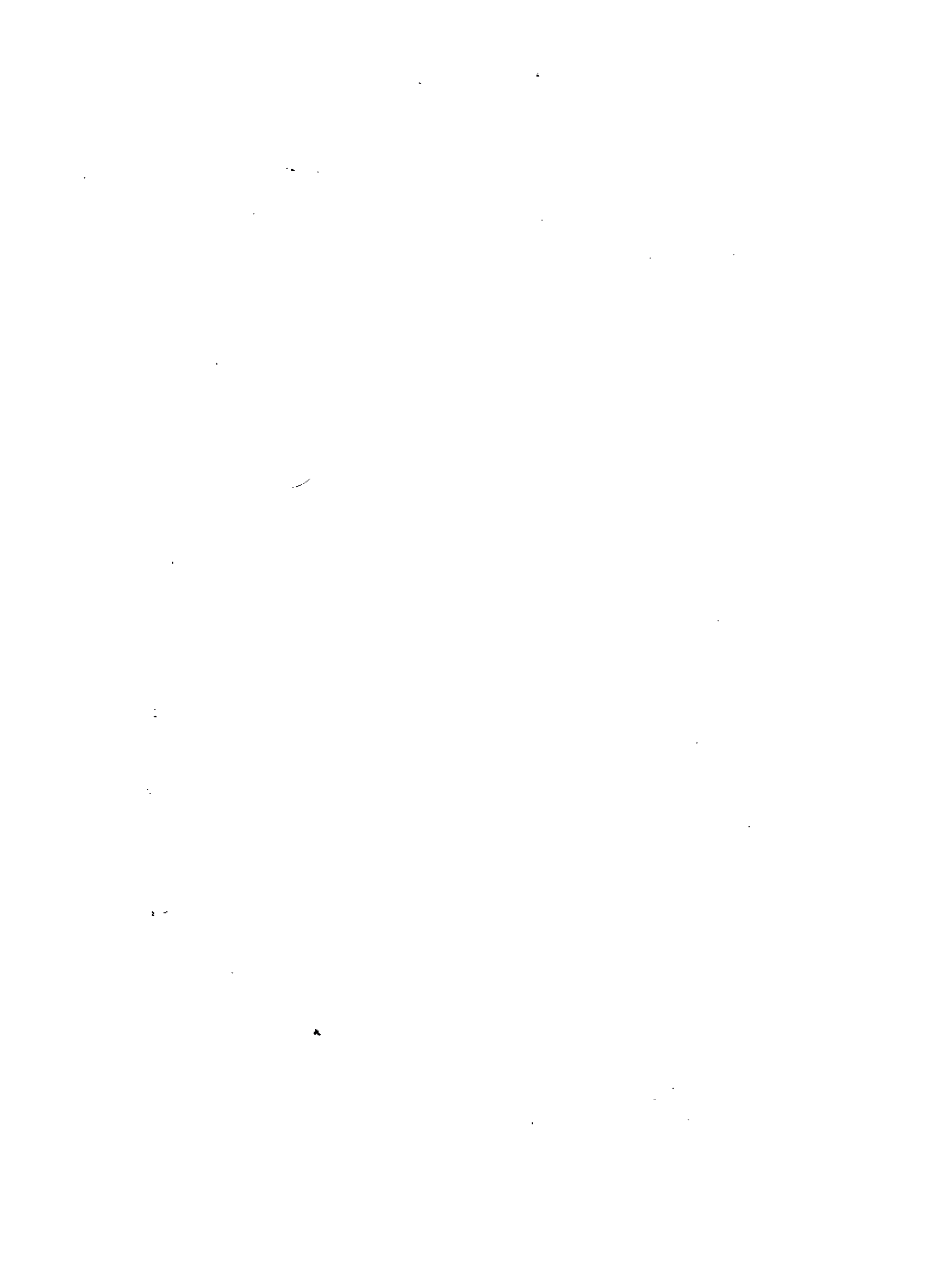
ولى الله باستحقاقه ، ولا يعمل جاهل منكم من ذكر وأنتى ، بل منة منه عليكم ، واطفا بكم
ورأفة ورحمة ، واختبارا ليلوكم أيكم أحسن عملا ، واتمروا قدر ما خصصكم به فى عصره
من نعمته ، وحسن منته ، وجميل لطفه ، وعظيم فضله وإحسانه ، دون من قد سلف من قبلكم ،
فاشكروا الله وولييه كثيرا على ما خولكم من فضله ، وأطعمكم تشكروا ، وتعملون عملا
يرضى ويضامى أعمال الأهم السابقين أضعافا ، حسب ما ضاعفتم لكم ولى الله فى عصره من
نعمه الجليلة الجلية ، من القناطر المنقورة من الذهب والفضة ، والحيل السومة والأفام ،
إلى غير ذلك من الأرزاق ، والأقطاع والضياع وغيره من أغراض الدنيا ، على اختلاف أصناف
إحسانه ، ورفى خاصتكم وعامتكم إلى الدرجات العالية ، والرتب السامية ، لتقفوا
مسالك أولى الألباب ، وأمركم وشرفكم بأحسن الألقاب ، وجولكم فى الأرض مشرفا
ومضربا ، وصهلا وجبلا ، وبرا وبحرا ، فأتم ملوكها وسلاطينها ، وجباة أموالها ، تلك لكم
عبادة ولى الله الرقاب ، وتنقاد إليكم الوفود والأنساب ، وأن تمدوا نعمة الله لا تحسوموا ،
فعمتم فى فضل أمير المؤمنين ، سلام الله عليه ، وهذا بغير عمل ، وترجون بعد ذلك حسن آيب .
ومن نعمه الباطنة عليكم ، تمسككم فى ظاهر مراتبكم ، والآنه ، تعززون بعمان دنياكم ، وترجون
بها نجاحكم ، والفوز فى آخرتكم ، فقد تمنون على الله وعلى وليه بإيمانكم ، بل الله يمن عليكم
لذ هذاكم إلى الإيمان ، فأتم متظاهرون بالطاعة متمسكون بالمصيبة ، ولو استتمت على
الطريقة الوسطى ، لا ضيق ما غدا . ثم من نعمه الباطنة عليكم أحياءه لسن الإسلام
والإيمان ، التى هى الدين عند الله وبه شرفتم وظهرتم فى عصره على جميع المذاهب والأديان ،
وميزتم من عبدة الأوثان ، وأبائهم عنكم بالذلة والحرمان ، وهدم كنائسهم ، ودمم أديانهم ،
وقد كانت قديمة من قدم الزمان ، وانقادت القمة إليكم طوعا وكرها ، فدخلوا فى دين الله
أفولجا ، وبنى الجوامع وشيدها ، وعمر المساجد وزخرفها ، وأقام الصلاة فى أوقاتها ، والزكاة
فى حقها وواجباتها ، وأقام الحج والجهاد ، وعمر بيت الله الحرام ، وأقام دعائم الإسلام ،
وفتح بيوت أمواله ، وأنفق فى سبيله ، وخفر الحاج بساكره ، وخفر الآبار ، وآمن السبيل
والأقطار ، وعمر السقايات ، وأخرج على الكفاة الصدقات ، وسد العورات ، وترك الظلمات ،
ورفع من خاصتكم وعامتكم الرسوم والواجبات ، التى جعلها الله تعالى عليكم من المنقذات ،
وقسم الأرض على الكفاة شرا شيرا ، وداولها بين الناس حينا ودهرا ، وفتح لكم أبواب
دعوته ، وأبديكم بما خعه الله من حكمته ، ليهدىكم بها إلى رحته ، ويحسنكم على طاعته ،
وطاعة رسوله وأوليائه عليهم السلام ، لتبافوا مبالغ الصالحين ، فشيتم العلم والحكمة ، وكفرتم
بالفضل والمنة ، وقيتم ذلك وراعهظوركم ، وآثرتم عليه الدنيا كما آثرها قبلكم بنو إسرائيل ،
فى قصة موسى عليه السلام ، فلم يجبركم ولى الله عليه السلام . وغلق باب دعوته ، وأظهر لكم
الحكمة ، وفتح لكم خارج قصره دار علم ، حوت من جميع علوم الدين وآدابه ، وفتح
الكتاب ، فى الحلال والحرام ، والقضايا والأحكام ، مما هو فى صلب الأولين ، وصحف
إبراهيم وموسى صلى الله عليهم أجمعين ، وأمدكم بالأوراق والأرزاق والخبر والأقلام ، اندركوا

بذلك ما تظنون به وتصبصون به وبه من الجهل تفوزون ، وقد كنتم قبل ذلك في طلب
 بعضه تجهوا ، فرفضتموه وقتلتموه ، ومن بيعة أعرستم ، لأعراس المضلين ، ولم يردكم ذلك
 إلا فرارا ، وماله بكم الهوى إلى الموت ، وكنتم من أكساب الميتات ، وتقتسم العلم ، وأظهرتم
 الجهل ، وكثير بغيكم ومرحكم على الأرواح ، حتى كاد لما أن تضح لك الله تعالى فيكم من كثرة
 جوركم ومرحكم عليها ، وولي الله سلام الله عليه ، ، مكافع فيكم وجاء أن تدين غاصتكم ،
 وتعتيق من الحكر والجهل غاصتكم ، فإزددتم إلا دافينا وعصيانا واختلافنا ، فتناجوتون
 بالإثم والمدوان ومهصية الرسول ، وعدو الله وعدو أمير المؤمنين ، قد قهر عن الفساد يده
 مخافة من سطوات ولي الله ، ورضن منه بالمخالفة والمهادنة ، حتى ليس لأمر المؤمنين سلام الله عليه
 عند مجاهدته ، ولا ضد يعانده ، والمكلى من هيئته غابت وجل ، وأتم مضمير الخاص والعام
 يضرته ، تضمكم دولته ، وتشملكم ولايته ، وتلزكم طاعته ، وأتم مع ما تقدم ذكره
 من مساوئكم متعاقبين متماندين متزاحمين ، يجاهد بخصمكم بعضا كالروم والخزرجاء من الله
 بغير مخافة منه ولا ترقب ، ولا ينهيكم عن سفك الدماء ويملك الحرم دين من الله ، ولا وقارا
 من أممكم ولا يقينا ، قد غلب عليكم الجهل فلن ترجو الله وقارا ، ولن تقولوا إن إمام عصركم
 واحد ، وأن الإسلام والإيمان قد عملاكم وجملكم تحت طاعة الله وطاعة رسوله ، وولييه أمير
 المؤمنين سلام الله عليه ، فإننا لله وإننا لله وأجمعون . فأى نازلة هي أكبر منها ، وأى ضمانة لأعدوه
 وبيدكم أعظم من مثلام . لقد أصبتم أيها الناس ، أنفسكم وأديانكم ، وأصعب فيكم أمير
 المؤمنين سلام الله عليه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أفأنتم أيها المنافقون أن
 يصيبكم ما أصاب من كان قبلكم من أصحاب الأيكة وقوم تبع ، ألم تسمعوا قول الله تعالى :
 ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بقاد ، بارم ذات الماء . . . الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ،
 فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك أبارم صادم . سورة الفجر (٨٩) » ، وقوله تعالى :
 ﴿ ألم نهلك الأولين ، ثم إن تبعهم الأخرين ، كذلك فعل بالجرمين . سورة الرسالات ٧٧ : ١٩ -
 ١٨ ﴾ ومثل هذا أكثر في كتاب الله عز وجل . ما أصاب أهل الفساد والخلاف والمناقين
 والفسدين في الأرض ، فقد غضب الله تعالى وولييه أمير المؤمنين سلام الله عليه ، من عظم
 إسراف السكافة أجمعين ، ولذلك خرج من أوساطكم ، قال الله ذو الجلال والإكرام :
 ﴿ وما كان الله ليعذبهم ، وأنت فيهم ٨ : ٣٣ ﴾ . وعلمه استطول الله تعالى ، تدل على سخط
 الرب تبارك وتعالى ، فن دلل غضب الإمام ، غلق باب دعوته ، ورفع مجالس حكمته ، ونقل جميع
 دواوين أوليائه وعبيده من قصره ، ومنعه من السكافة سلامه ، وقد كان يخرج لأبوم من
 حضرة ، ومنعه لهم من الجلوس على مصاطب سقائف عرمة ، وامتناعه عن الصلاة بهم
 في الأعياد وفي شهر رمضان ، ومنعه المؤذنين أن يسلوا عليه وقت الأذان ، ولا يقروا ،
 ومنعه جميع الناس أن يقولوا مولانا ، ولا يقبلوا له التراب ، وذلك مقترض له على جميع أهل
 طاقته ، وإنماؤه جميعهم عن الترجل له من ظهور الدواب ، ثم لباسه الصوف على أصناف
 ألوانه ، وركوبه الأتان ، ومنعه أوليائه وعبيده الركوب معه حسب المادة في موكبه .

حرامتناه إقامة الحدود على أهل عصره ، وأشياء كثيرة خفيت عن العالم ، وهم عن جميع ذلك
 في غمرة ساهون ، استمعوا عليهم الشيطان ، فأناهم ذكر الله و أولئك حزب الشيطان ، ألا
 أن حزب الشيطان هم الخاسرون . فقد ترك ولي الله أمير المؤمنين — سلام الله عليه — الخلق
 أربعين سنة ، يفتنون ويلبسون في التيه والعس ، الذي آثروه على الهدى ، كما ترك موسى
 قومه حين أن الهلاك أن يهجم عليهم وهم لا يعلمون ، وخرج منهم وهم في شك منه مختلفون ،
 مذنبون بين ذلك ، لا إلى الحق يلتمسون ، ولا إلى ولي الله يرجعون ، قال الله تعالى : **قوله** **وذرني**
الرسول ، وإلى أولى الأمر منهم لطفه الذين يستنبطونه منهم ٤ : ٨٤ . أيها الناس كلام الله أو هذا
 واعظ ، وبين منه وعظكم هذه الموعظة ، من الفتر والحاجة إلى عفو الله تعالى ، وعفو وليه أمير المؤمنين
 سلام الله عليه ، أعظم منكم . فبالسيان تسكون الذممة ، وبالغفلة تسكون الذممة ، وبالغفلة
 تسكون الذممة ؟ وقد قال الله تبارك وتعالى : **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا**
الله واستغفر لهم الرسول ، لرجسوا لك توابا رجيا ٤ : ٦٤ . وقال عز من قائل **لا من تاب وآمن**
وعمل صالحا إن الله يذهب التوابين ويغيب المنظرين ٢ : ٢٢٢ . وقال تبارك وتعالى : **وإذا سألك**
عبادني مني ، إني أني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني ٢ : ١٨٦ . فالبدار البداءة معي الناس
 أن وقفتم على براع من الأرض يكونه أول طريق سلكها أمير المؤمنين سلام الله عليه وقت
 أن استغفروا أعينكم ، وتبتمموا فيها بأنفسكم وأولادكم ، وطهروا قلوبكم ، وأخلصوا فياتكم
 الله ورجب الطابن ، وتوبوا إليه توبة نصوحا ، وتوسلوا إليه بأوجه الوسائل بالصفح عنكم
 والذممة لكم ، وأن يرحمكم بمودة وليه إليكم ؟ وبصاف بقلبه عليكم ، فهو رحمة
 عليكم وعلى جميع خلقه ، كما قال تبارك وتعالى **رسوله صلى الله عليه وعلى آله : وما**
أرسلناك إلا رحمة للعالمين ٢١ : ١٠٧ .

فالخذار الخذار أن يقفوا أحد منكم لأمر المؤمنين سلام الله عليه ثرا ، ولا تكشفوا
 ذلك خبرا ، ولا تبرحوا في أول طريق يتوسل جيمكم ، كذلك أمراؤنا ، فإذا أطلت عليكم
 الرحمة ، خرج ولي الله إمامكم باختياره راضيا عنكم ، ظاهرا في أوساطكم ، فواظبوا
 على ذلك ليلا ونهارا ، قبل أن تحرق الحاقة ، وتخرج القارعة ، وينلق باب الرحمة ، وتحمل بأهل الخائف
 والعتاد النعمة ، وقد أعذر من الذي ، ونصيح من قبلكم نفسه وعذر ، والخطاب لأولى
 الأبواب منكم ، والتمين عليهم ، والشريعة لله تبارك وتعالى ، والتوفيق به ، والسلام على
 من اتبع الهدى ، وخشى عواقب الردى ، وصدق بكلمات ربه الحق .

وكتب مولانا دولة أمير المؤمنين سلام الله عليه في شهر ذي القعدة سنة إحدى وعشروا ربهاة ،
 وصلى الله على محمد سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وسلم على آله الطاهرين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .
 ثم تفضل أصحاب العمل بهذه الموعظة من المتقين ، ولا يمنع أحد من استغفارها وقراءتها ، نفع الله
 من وفق للعمل بها فيها من طاعة الله وطاعة وليه أمير المؤمنين ، سلام الله عليه . حرام حرام
 على من لا يستغفروا ويقرأها على التوايين في جامع أسفل ، وحرام حرام على من قدر على
 استغفارا ، وقصر ، والحمد لله وحده .



AL - HAKEM BIAMAR ALLAH
Le Calife Blasphémé

par

Dr. A. M. MAGUED
Professeur de l'Histoire Islamique
A
La Faculté des Lettres
Et
Directeur du Centre des Etudes de Papyrologie
Université de Ain Shams

Deuxième Edition

Le Caire
1983

Editeur
Librairie Anglo-Egyptienne